

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

التخصص: اللغة العربية وآدابها

الفرع: الأدب الشعبي

إعداد الطالبة: خليفة زكية

الموضوع:

الأشعار والطقوس الجنائزية بمنطقة

- واقتون -

مقاربة أنثروبولوجية وظيفية

لجنة المناقشة:

د/حورية بن سالم: أستاذة محاضرة صنف (أ) بجامعة تيزي وزو.....رئيسا

د/ زهية طراحة: أستاذة محاضرة صنف (أ) بجامعة تيزي وزو.....مشرفا ومقررا

د/ خالد عيقون: أستاذ محاضر صنف (أ) بجامعة تيزي وزو.....ممتحنا

د/ نصيرة عشّي: أستاذة محاضرة صنف (أ) بجامعة تيزي وزو.....ممتحنا

تاريخ المناقشة: 2013/03/10

السنة الجامعية: 2011- 2012

شكر و امتنان

الحمد لله فله الفضل من قبل ومن بعد، ثم خالص الشكر لأناس لم يتوانوا عن تقديم كل ما كان بوسعهم للمساعدة في إتمام هذا العمل، فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم إليهم بجزيل الشكر، وأولهم الأستاذة المشرفة : **الدكتورة زهية طراحة** عرفانا بفضلها لما بذلته من جهد في تصحيح هذا العمل إذ ظلت تمدنا بالنصح المفيد والرأي السديد، ولم تبخل يوما بالكلمة الطيبة، أو الابتسامة المشرقة التي طالما رفعت من معنوياتنا، و أظن أن كلمات الشكر و الامتنان غير كافية لموافاتها حقها.

كما أنقدم بالتقدير الجميل، والشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة **زهية أيت قاضي** التي ظلت تشجعنا وتحثنا على البحث والعمل الجاد، ولم تبخل علينا بإمداد يد العون عن طريق إرشادنا، وتزويدنا بالمراجع التي تخدم موضوع بحثنا، كما أخص بالشكر الأستاذ : **الدكتور عبد الحميد بورايو** على روحه الأبوية، وسعة كرمه فلم يبخل علينا بالمراجع المفيدة.

كما لا أنسى فضل **والديّ** اللذين وفرا لي الجو المناسب للعمل، و **أختي نبيلة** التي ظلت تدعمني و تساعدني طوال فترة إنجاز هذا البحث.

والشكر الكبير للرواة والمخبرين الذين اقتطعوا من وقتهم الكثير، وتكبدوا مشقة نفسية بالغة، وهم يتحدثون إلينا عن أدق تفاصيل الظاهرة، وقد جاءت كل أسمائهم في فهرست الرواة.

إهداء

إلى أعزّ من في الوجود: والديّ الحبيبين.

إلى من ظلت تمدّني بكل ما تختزنه ذاكراتها الشعبية من تراث، ولم تمل يوما من تساؤلاتي التي لم تعرف النهاية: جدّتي الغالية أطال الله عمرها.

إلى إخوتي راديه، نبيلة، وعبد النور خاصة محبوبيّ الصغيران دليّة، ومجيد الذي أشكره كثيرًا على هدوءه أثناء تحرير هذا البحث .

إلى من اعتبرها منارة سرت وفق نور توجيهاتها القيّمة: مشرفتي العزيزة الدكتورة زهية طراحة.

إلى الخالة وردية و نعيمة، وإلى أصدقائي الأعزّاء: مليك وصبرينة.

إلى روح الأستاذ القدير الدكتور: محمّد يحياتن الذي طالما شجع شعبتنا على البحث، والاجتهاد(تغمّده الله برحمته).

إلى الأساتذة الأفاضل: الدكتورة: حورية بن سالم، الدكتور: خالد عيّقون و الدكتورة: نصيرة عيشي، الذين لم يتوقفوا يوما على تشجيعنا .

إلى كل من سعى، وما زال يسعى لتدوين ودراسة الموروث الشعبي القبائلي خاصّة، والجزائري عامّة.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد.

المقدمة

يحتلّ الإرث الشعبي مكانة مرموقة في المجتمعات الإنسانية التي لا تزال متمسكة بأصالة تاريخها الثقافي المتوارث أبا عن جد وجيلا عن جيل، حتى وإن تغيّر الزمان فإنّ الانتقال الشعوري، أو اللاشعوري يجعله صامدا، متربعا على عرش ذواكر حامله، حيث مثل التاريخ الفكري لكلّ أمة من الأمم برزت من خلاله تجاربها الحياتية، بكلّ ما احتوته من آلام وانتكاسات، وآمال وطموحات.

تجلّى ذلك من خلال طقوسه الدينية ومشاعره الفردية، أو الجماعية التي عبّرت عن كيانه من خلال ما أنتجه شفويا من حكايات، وألغاز، وأمثال، وأساطير، وأشعار. وتعتبر هذه الأخيرة من أكثر الأشكال الأدبية تعبيرا عن مشاغله، ومخاوفه، وانشغالاته. وستكون محورا لاهتمامنا في هذا البحث، إذ سنركّز على الذكر الجنائزي هذا الشعر الذي يرافق الطقس الأخير من طقوس العبور وهو الموت.

ولعلّ أهمّ ما دفعنا للبحث في الموضوع الذي جاء في عنوان "الأشعار والطقوس الجنائزية بمنطقة - واقتون - مقارنة أنثروبولوجية وظيفية"، الدوافع الآتية وقد رتبناها حسب أهميتها :
أولا: الدافع العلمي وهو هدف كلّ باحث أكاديمي يسعى وراء الحقيقة والغاية العلمية، ونظرا لاستبعاد البحث في هذا الموضوع من أكثرية الطلبة لاعتباره مزعجا لا يشجع على التفكير، أو الحديث وجدنا من النفس اندفاعا لدراسة، واكتشاف ما تزخر به المخيلة الشعبية من إبداعات شعرية، وممارسات طقوسية، ومعتقدات دينية حول ظاهرة الموت .

ثانيا: ندرة المصادر، والمراجع الجزائرية المتخصصة في هذا الموضوع.

ثالثا : الخوف من ضياع، واندثار الموروث الشعبي المحلي، ورغبة تقديم مرجع تراثي يوضع أرشيفا في مكتبة البلدية التي تفتقر للكتابات التي تبرز تراثها الشعبي جعلنا نسعى لتدوينه، ومحاولة تحليله، محاولين الإجابة على التساؤلات التالية :

- كيف عبّر المخيال الشعبي عن ظاهرة الموت من خلال فنونه القولية، وما هي الطقوس التي قام بها لردّ شرّه؟.

- ما الذي جعل الإنسان يشعر بالخوف من الموت، وكيف تجلّي خوفه في إبداعاته الشعرية ؟ وما هي الوظيفة التي تؤديها الأشعار والطقوس الجنائزية؟.

وانطلقنا من فرضيات قد أثبتتها مسار البحث وهي كالآتي:

- إنّ الأذكار الجنائزية، والطقوس الممارسة لراحة الأموات وراحة الأحياء، هي التي عبّر من خلالها المخيال الشعبي عن ظاهرة الموت.

- يمكن أن تكون عدم دراية الإنسان بما سيؤول إليه بعد وضعه في القبر، هو ما شكّل لديه الخوف، والقلق من ظاهرة الموت.

- إنّ الوظيفة السوسيو نفسية قد تؤدي إلى تلبية الاحتياجات الفرعية، أو الأولية للإنسان من خلال أشعاره، وطقوسه الجنائزية كما يمكن أن تؤدي إلى كشف الصّراع المكبوت بين الرجال والنساء. وللتأكد من صحّة هذه الفرضيات، ولإبراز النتائج الشعري الذي تشكّل في الفكر الشعبي إزاء ظاهرة الموت، وما يرتبط به من طقوس، ومعتقدات سنستعين بدءًا بالمنهج الأنثروبولوجي الذي كانت أول مراحله ما يطلق عليه الاثنوغرافيا (الناسوت) وهو المعاينة والوصف والعمل الميداني، ثمّ محاولة تحليل وتفسير كل ما قمنا بجمعه وتوليّفه آخذين ببعض أفكار نظرية طقوس العبور، وكذا بعض أفكار علماء النفس كفرويد، وبعض أفكار المدرسة الوظيفية.

كانت طبيعة عملنا الاثنوغرافي جدّ شاقة، ومحفوفة بالمخاطر، إذ تطلبت منا كثيرًا من الصبر، والعزم على المواصلة لأنّ أهم الصعاب التي اعترضتنا:

التصدي لتسجيل المادة من طرف أصحاب الجنائز لعدم تفهمهم طبيعة عملنا. فلم يؤذن لنا بالتسجيل، أو التصوير في بدايات الخروج لجمع مادة البحث. ونستطيع القول إنّّه لم نتلقى صعوبة كبيرة في جمع المادة المتعلقة بالنساء مقارنة بالمادة المتعلقة بالرجال، فوالدي لم يتقبل فكرة أن ننزل إلى وسط الرجال في الجنائز للتسجيل، أو التصوير، وتمكننا في الأخير من الحصول على مادة لا بأس بها بعد اللجوء إلى الحيلة. إضافة إلى صعوبة تسجيل المادة الاثنوغرافية اعترضتنا مصاعب في ترجمة بعض النصوص من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية، كما أنّ ندرة المصادر، والمراجع المتخصصة في هذا الموضوع من الأمور التي أتعبتنا كثيرًا.

وقد تطلبت منا طبيعة عملنا هذا تقسيمه، وتوزيع عناصره على الشكل التالي:

مقدمة تناولنا فيها موضوع البحث، و إشكاليته مبينين سبب اختياره، وبعض الصعوبات التي لاقتنا أثناء العمل.

مدخل حددنا فيه أهم مصطلحات البحث (الأذكار، الطقس، طقوس العبور، الجنائز، تحديد منطقة البحث(واقثون) ومنهج الدراسة). مرفقا بثلاثة فصول. كان الأول مُعْتَوِّناً بدورة الحياة وطقوس العبور، تناولنا فيه الطقوس المرافقة لكل طور من أطوار حياة الإنسان من زواج، وميلاد، وختان، ووفاء مبينين أهم الطقوس المكرورة في دورة الحياة مع محاولة إبراز مواطن الإلتلاف، والاختلاف بين هذه الطقوس.

عنونا الفصل الثاني بالأشعار والطقوس الجنائزية، تناولنا فيه كل الممارسات المصاحبة لظاهرة الموت بدءاً بالاحتضار، مروراً بإعلان الوفاة، والسهر على الميت، وبكائه ثم تجهيزه، ودفنه، ثم عرض طقس استحضار الأرواح الذي يعد أهم طقس يمارس للاطمئنان على حال المتوفى. ختماً بمناسبة الأربعين مع إدراج الأشعار التي تتخلل هذه المراحل، منذ الوفاة إلى التوديع الأبدي.

جاء الفصل الأخير بعنوان: وظيفة الأشعار والطقوس الجنائزية، حاولنا أن نحدد فيه الوظائف المختلفة التي يؤديها التراث الشعبي الجنائزي، فبدأنا بالوظيفة الثقافية، ثم الدينية بعدها الوظيفة الاجتماعية فالنفسية والتي قمنا من خلالها بتحليل بعض الرموز في بعض الأشعار التي تبين التصورات التي دارت حول الموت الذي طالما أخافه.

وكانت الخاتمة العنصر الأخير الذي يوجز أهم النتائج، والاقتراحات التي توصلنا إليها متبوعة بالمدونة الشعرية المعروضة باللغة الأصلية التي تقابلها الترجمة العربية، ثم تليها فهارس البحث المتضمنة لفهرست الصور، وفهرست الرواة، والمخبرين، ثم فهرست المصادر والمراجع وأخيراً الفهرست الخاص بمواضيع البحث.

خشابنة/ واقثون/ تيزي وزو: 2012/05/27.

المقدمة

فضلنا كتابة النصوص بالقبائلية بالأحرف العربية ، لكن واجهتنا صعوبة غياب بعض الأصوات في أبجديتها ، فاستعنا الجدول الذي قدّمت فيه الأستاذة: زهية طراحة قائمة أحرف معدلة عن أحرفها الأصلية ، أين حاولت تقديم الحرف الزائد المعدل ووصفه وذكر ما يقابله في الأبجدية الصوتية الدولية: وفي الفرنسية أحيانا أخرى وسنتبعه بذكر أمثلة عنه بالقبائلية، مع ترجمة معانيها إلى العربية¹.

الحرف الزائد	وصفه وما يقابله في الأبجدية الصوتية الدولية (أ.ص.د)	أمثلة عنه بالقبائلية	معاني الأمثلة بالعربية
پ	حرف شفوي وهو " v " في الفرنسية	أپرید، پاپا	طريق، أبي
تس	حرف معطش يقابله " Ts " في (أ.ص.د)	يُنْسَالِي، يَنْسَوِي	يصعد، يأخذ
تش	حرف معطش يقابله " Ts " في (أ.ص.د)	يَنْشَأ، يَنْشُور	أكل، امتلأ
چ	حرف معطش وهو " j " في الفرنسية	إچاح	جاح
ژ	حرف مفخم وهو " z " في الفرنسية	إژدَا، أژطَا	طحن، نول
ڤ	حرف شفوي لهوي وهو " GW " في (أ.ص.د)	تڤرا، تڤرڤين	نهاية، جمرة
گ	حرف شفوي لهوي وهو " GW " في (أ.ص.د)	أگسوم، إگشم	لحم، دخل

¹ - زهية طراحة: فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع - دراسة أنثروبولوجية للحكاية القبائلية العجيبة، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2011، ص15.

المدخل

تحديد مصطلحات البحث

- 1- الأذكار: المفهوم العام، و الإثنوغرافي
- 2- الطّقس
- 3- طقوس العبور
- 4- الجنائز: المفهوم العام، و الإثنوغرافي
- 5- تحديد الموقع الجغرافي لمنطقة البحث "واقنون"
- 6- منهج الدّراسة

1- الأذكار: المفهوم العام، والاثنوغرافي:

أ- المفهوم العام:

جاء في لسان العرب أنّ ذكر: يعني الحفظ للشيء وتذكره، الذكر يعني الصلاة، الذكر: قراءة القرآن، الذكر: التسبيح، الذكر: الدعاء، الذكر: الشكر، الذكر: الطاعة، كما يعني الفخر والشرف¹

ب- المفهوم الاثنوغرافي:

سنعتمد أثناء بحثنا هذا على شعر الجنائز الذي يطلق عليه محليا تسميته : «أَذْكُرُ نَأْثَ لَخْرَثُ» وعليه يتوجب علينا تحديد هذا المفهوم الذي يعتبر واحداً من الفروع الثلاثة للأذكار حسب التقسيم المحلي. وسنعتمد في هذا على الآراء، والاستنتاجات، وقد استوحينا تعاريف الأصناف المتفرعة من الأذكار من خلال الملاحظة بالمشاركة.

تتشطر من الأذكار حسب التقسيم المحلي ثلاثة أصناف حيث تتميز بتسميات تميز كل صنف عن الآخر، وهي على هذا النحو:

1- أذكر الربّي "أي ذكر الله" :

يتم هنا ذكر الله وحده عن طريق التهليل والتسبيح والتوحيد بعد الصلاة ، وربما كان هذا الصنف هو نفسه ما جاء في جزء من معاني الذكر في لسان العرب.

2- "أذكر أفنبي" أي ذكر النبي :

يقال فيه شعر معبر عن عواطف الحب، والتقدير ثم الاشتياق للقاء رسول الله كما نجد فيه قصص الأنبياء، والسيرة النبوية الشريفة منسوجة بكلام محكم الانتقاء يجعل السامع متلهفاً، وتوافقاً لمواصلة بقية الأبيات ونجد هذا الصنف مؤدى في الزوايا، والمقامات وفي ممارسة الأشغال اليومية كغزل الصوف ونسج الزرابي².

¹- ينظر: ابن منذور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، المجلد 4، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، ص308.

²- عن المخبرة : فرحات ذهبيّة(89) سنة، قرية خشابنة، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو، بتاريخ:2011/06/05.

3- "أذكر ناث لآخارث" أي ذكر أهل الآخرة :

هو موضوع بحثنا، وهو مجموعة أبيات شعرية مؤداة بصوت شجي عبر ألحان حزينة توقظ الأحاسيس بشكل صارخ فتستحضر الدموع، والخشوع في آن واحد، وهو صنف خاص ُتردّد أشعاره فقط في الجنائز مرافقة طقوس الوفاة في بعض الأحيان. فتصف بكلماتها خوف المعاناة من عذاب القبر حيناً، وتوسلاً بالظفر بحياة هادئة طيبة في الجنة، وانفطار الأفئدة المحترقة لتذكر الموت حيناً آخر¹. وهنا يجدر بنا القول إن هذا الشكل التعبيري يشترك في أدائه الرجال والنساء. في الأخير يجدر بنا عدم تجاهل صنف آخر يرد فيه ذكر القصص الديني في شكل قالب شعري جميل، تتجلى فيه معظم الشخصيات الدينية التي مرت في عصر النبوة، والتي حققت انجازات عظيمة، حتى وإن لم تطلق عليه الجماعة الشعبية تسمية ما إلا أنه ينحصر فيما يمكن أن نسميه الشعر القصصي النبوي.

2- الطقس:

تشتق كلمة "Rite" من الكلمة اللاتينية "Ritus" والتي تعني عادات، وتقاليده مجتمعة ما كما تعني كل أنواع الاحتفالات، والمراسيم التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي، وهو خلق لماض غامض غالباً لكنه يأخذ معناه عند الذين يستخدمونه على أنه فعل ديني². يندرج الطقس في الحياة الاجتماعية بعودة الظروف التي تستدعي إعادة القيام به، يهدف لتأدية مهمة، وإعطاء نتيجة عبر تلاعبه ببعض الممارسات لاجتذاب العقول، وجعلها تؤمن به قبل التفكير بتحليل المعنى، عندما يبين بشكل حازم الإمكانية التي يأخذها في كونه موجوداً خارج إطار الموضوع، أي خارج كل حدث ديني مسبق، وقد استطاع الدكتور نور الدين طوالي في بحث تناول فيه طقوس الختان في الجزائر أن يثبت هذه الواقعة المميزة إذ يخضع الختان لمظهر خارجي أكثر من خضوعه لمبدأ ديني.

¹ - عن المخبر: بوجعوبوط أكلي، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

² - voir : jean maisonneuve :les rituels,prèsse universitaires de France,paris ,france,1^{er} édition, 1988, p 3.

يأتي أفضل ممثلي المدرسة الدوركايمية: ر. هرتز، ه. هوبير، و م. موس ليقترحوا تحليلات لبعض أكبر فئات الممارسات الطقوسية (قربان، ابتهاج، طقس جنائزي، ممارسة سحرية) مع إيلاء الاهتمام للتصورات المرتبطة بها. لكن فون جنيب هو أول من قام بمساهمة جادة في دراسة التكوّن الفعلي للطقوس مع تركيزه على الفئة المسماة بطقوس العبور. هناك أربع فئات من المناسبات العامة التي تنتج عنها منظومات طقوس مختلفة والقائمة على التعارض بين الجماعة والفرد من جهة، وبين المتكرر والطارئ من جهة أخرى وتقوم كل ثقافة باعتماد وسائل متفاوتة، ومتنوعة لتطوير تلك الاحتمالات التي ينطوي كل منها على عدد من الخيارات. أول فئة هي فئة الطقوس الدورية والتي تنقسم إلى: دورة الطقوس الموسمية التي تتوزع على مختلف فترات السنة، وتهتم معظم أفراد الجماعة. ثم دورة الحياة (ميلاد، زواج، موت)، تأتي الفئة ما قبل الأخيرة وهي الطقوس الطارئة، وتكون مرتبطة بالحياة الجماعية (حرب، وباء، جفاف...) أما الفئة الأخيرة فهي طقوس ذات التوجه الفردي، وتكون مرتبطة بالحياة الفردية (عقم، مرض، خلاف، ولادة توأمين...)¹.

الطقوس الدورية تجري للاحتفال بمناسبات وضعية أو لاتقاء خطر محقق أو تقبل الأمور الحتمية، أما **الطقوس الطارئة** فهي على عكس ذلك تدع الأمور تجري مكثفة بتشكيل وسائل مجابهة مصائب متوقعة، أو بطبع مفاجآت سارة وفي الطقوس المرتبطة بالحياة الجماعية يكون الأشخاص ممثلين للشأن الاجتماعي، أما في الطقوس ذات التوجه الفردي فإنّ الشخص عبر هويته الجسدية، والعاطفية والفكرية يجد في تصرفه خدمة جماعية متكاملة².

3- طقوس العبور:

ظهرت عبارة طقس العبور للمرة الأولى على لسان فون جنيب عام 1909، فكل إنسان يمر حسب نظريته بمراحل عدة خلال حياته، وتتوأكب هذه التحولات بطقوس مختلفة طبقاً لكل مجتمع. فالولادة هي المناسبة الأولى لطقوس العبور³، ويمكن للطفولة أن تنقسم إلى مراحل عدة، ولكن

¹ - ينظر: بيبير بونت: معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

"مجد"، ط1، 2006، ص 631 إلى 633.

² - ينظر : المرجع نفسه، ص 633.

³ - Arnold Van gennep : rite de passage, picard ,France, paris ,2011,page 75.

العبور إلى سن النضوج هو الذي يترافق مع طقوس المسارة، ويشكل الزواج أيضا جزءًا من هذه الطقوس. كما يتم إعلان المرأة أمًا مستقبلية لدى الحمل، ثم أمًا بالفعل لحظة الولادة وهناك أيضا الطقوس الخاصة بالأب، والتي يقل عددها عن الطقوس الخاصة بالأم. وآخر طقوس العبور هي تلك الخاصة بالموت. كما توجد طقوس عبور خاصة بتولي منصب ما، وتمثل جميع هذه الطقوس من الناحية الشكلية بنية ثلاثية حسب فون جنيب، المرحلة الانفصالية، المرحلة الكامنة، ومرحلة الاندماج، وتختلف هذه المراحل الثلاثة حسب أنواع الانتقال من حالة لأخرى فردية، أو جماعية كما تعيد تحديد الأوضاع والأدوار¹.

4- الجنائز: المفهوم العام، والاثنوغرافي :

1- المفهوم العام:

جاء في لسان العرب: أَنَّ جنز الشيء جنزًا، ستره وذكروا أَنَّ النوار لما احتضرت أوصت أن يصلي عليها الحسن فقال: إذا جنزتموها فأذنوني. الجنَازة والجنَازة : فالجنَازة بالفتح تعني الميت على السرير فإذا لم يكن عليه الميت فهو سرير ونعش أمَّا الجنَازة : الإنسان الميت والشيء الذي نُقِلَ على القوم فاغتنموا به و يقول الأصمعي: الجنَازة بالكسر هو الميت نفسه، والعوام يقولون إنه السرير، وتقول العرب تركته جنَازة أي ميتًا². جاء في المعجم الوسيط: أَنَّ الجنَازة: النعش والميت وهما مع المشيعين³. وجاء ذكر الموت في القرآن الكريم في أكثر من آية منها ما جاء في الآيات التالية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾⁴، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾⁵.

أمَّا الفقهاء، وعلماء الدين: فقد اكتفوا بالتعريف الذي ثبت عن علماء اللغة، وركّزوا في كتبهم على الأحكام المتعلقة بالجنائز كالغسل، والكفن، والصلاة، والدفن. لقد جاء في أحكام الجنائز للأستاذ محمود المصري أن من تولى غسل الميت له أجر عظيم مستند لحديث (ص) "من غسل مسلماً فكتّم عليه غفر له الله أربعين مرة. وقد تحدث عن كيفية الغسل شرعاً حيث يبدأ بثلاث غسلات

¹ Arnold Van gennep : rite de passage,op.cit, p76.

² ينظر: ابن منذور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:المرجع السابق نفسه، ص324إلى325.

³ ينظر: د.إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، باب الجيم، القاهرة، بدون طبعة، 1972، ص140.

⁴ القرآن الكريم: سورة العنكبوت: الآية (57).

⁵ - المرجع نفسه: سورة الزمر: الآية (30).

فأكثر، ويشترط أن تكون الغسلات وتراً، ثم يقرن السدر، أو ما يقوم مقامه في التنظيف بتلك الغسلات ويخلط مع آخر غسلة منها شيء من الطيب والكافور أولى. يسرح الشعر وتجعل ثلاث ضفائر للمرأة ثم تلقى خلفها، ويجب أن يتولى غسل الذكر الرجال، وتغسل الأنثى من قبل النساء ولا يشرع غسل الشهيد قتيل المعركة¹.

أما ما تعلق بالكفن فإنه استناداً لقوله (ص) "البسوا من ثيابكم البياض فإنها خير ثيابكم، وكفنوا فيها". يتكون الكفن من ثلاث أثواب لحديث أئمة عائشة رضي الله عنها " أن رسول الله (ص) كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية ولا يجوز المغالة في الكفن ولا الزيادة فيه على ثلاثة لأنه خلاف ما كفن فيه رسول الله (ص) والمرأة في ذلك كالرجل إذ لا دليل على التفريق².

أما الصلاة عن الميت فهي فرض كفاية ويستثنى من ذلك الطفل الذي لم يبلغ لأن النبي (ص) لم يصل على ابنه إبراهيم عليه السلام والشهيد كذلك والاستغفار والترحم على الكفار والمنافقين لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآثُورًا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾³. تجب الجماعة في صلاة الجنازة كما تجب في الصلوات المكتوبة⁴. أما ما تعلق بالدفن فإنه واجب حتى ولو كان الميت كافراً، ولا يدفن مسلم مع كافر، ولا كافر مع مسلم بل يدفن المسلم في مقابر المسلمين، والكافر في مقابر المشركين ويجوز للزوج دفن زوجته بنفسه ولمزيد من الإطلاع على ما جاء في أحكام الجنائز يرجى الإطلاع على المراجع التي جاءت تحت عنوان أحكام الجنائز.

ب- المفهوم الانتوغرافي:

إذا جئنا إلى المفهوم الانتوغرافي المحلي: فإنه يطلق على الجنائز تسمية "تَمَظَّلَتْ"، وتعني الدفن وعندما يقال "أولاً ش وي فحظرن تمظلتيس". بمعنى: "لم يحضر أحد وفاته ودفنه"⁵.

¹ - ينظر : محمود المصري : أحكام الجنائز، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2006، ص 15 إلى 16.

² - ينظر : المرجع نفسه، ص 16 إلى 18.

³ - القرآن الكريم: سورة التوبة : الآية (84).

⁴ - ينظر : محمود المصري : المرجع السابق نفسه، ص 25.

⁵ - عن المخبرة : خليفة خلوجة (70) سنة، قرية خشابنة، بلدية ودائرة واقنون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ: 2011/10/26.

وفي مجمل القول فإن مفهومها لدى سكان المنطقة هو حدث الوفاة، والدفن وما يصاحبه من شعائر، وتضامن إزاء أهل المرحوم.

وبمعنى أدق فإن لفظة "تَمَظَّلْتُ" جاءت من الفعل "يَمَظِّلُ" بمعنى: دفن، وهذا يدلّ على أنّ حدث الوفاة متعلّق بالدفن، ولا دفن بدون تجسّد التعاون الذي يقدمه المتضامنون، و"تَمَظَّلْتُ" هي: "دَلَمَيْتُنِي أَكْذُ الرُّعْيِ، دُلْعَاشِ آدْيَاسُنْ أَثْوِينْ أَثْمَظِّلُنْ أَذُونُسُنْ أَذْخَرُنْ" بمعنى أنّ الجنازة هي: الميّت والبكاء عليه، وحضور النَّاسِ للدفن والمؤانسة¹، وعليه فإنّ اللفظة المحليّة لا تختلف عن التعريف اللغوية إلّا في البكاء على الميت، والذي لم يرد فيما ذكره اللّغويّون.

5- تحديد الموقع الجغرافي لمنطقة البحث (واقنون):

تقع دائرة واقنون في القسم الشمالي لولاية تيزي وزو. يحدها من الشمال بلدية بوجيمة، و من الجنوب بلدية تيزي راشد، و ولاية تيزي وزو، أما غربا فتحدها بلدية ماكودة وسيدي نعمان، ويحدها شرقا كل من فريحه ومقلع .

تقدر المساحة الإجمالية ب 141.21 كلم، تتألف من الناحية الإدارية من ثلاث بلديات هي بلدية تميزار، وبلدية آيت عيسى ميمون، وبلدية واقنون التي تعد مقر الدائرة حيث تتألف هذه الأخيرة من اثني عشر قرية هي: ألما لوصيف، أفني بقدال، أفني أزارز، أمالو، لعزيب أحداذ، بودشيشة، تشلاوطي، جبلّة، احديقاون أفلاّ، أحديقاون بوادا، خشابنة، تقوبعين وتامدة.

قدرت الكثافة السكانية للمنطقة حسب الإحصائيات التي أجريت عام 2008م ب 17425 نسمة. تتوفر البلدية عل ثانوية واحدة، ومتوسطتين، وثلاث مدارس ابتدائية، وجامعة متفرعة من الجامعة المركزية لمولود معمري كما تحتوي على مركز للشرطة، ودار للشباب، و عيادة متعددة الخدمات، وقاعة متعددة الرياضات، وملعب لكرة القدم، ومسجد كبير في مركز المنطقة، ومصنع لإنتاج السميد والفرينة².

¹ - عن المخبرة : حاجي ذهبية (79) سنة، قرية إيحديقاون أبوادة، بلدية ودائرة واقنون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ : 2012/01/29.

² - حصلنا على المعلومات من رئيس البلدية السيد علي بلخير بتاريخ: 2011/08/21.

عاشت أهالي المنطقة فيما مضى على محاصيل زراعية من إنتاج أراضيهم، كانت قليلة لكنها كافية لسد احتياجاتهم اليومية تمثلت في القمح، والبقول، وزيت الزيتون، وكل أنواع الخضار الموسمية إضافة إلى بعض الثمار كالتين، والصّبار، و الإجاص، والبرقوق، كما تتفن النساء نسج الزرابي وصناعة الأواني المنزلية الفخارية.

أما الآن فقد صارت المنطقة تعتمد كثيراً على التجارة واليد العاملة بالأجرة لكن هذا لا يعني أنها تخلت عن الفلاحة والحرف التقليدية .

امتازت العائلة بحجمها الكبير حيث يجتمع أفراد العائلة الصغيرة مع أفراد العائلة الكبيرة في بيت واحد، تعود السلطة العائلية للجد الأكبر لكن مع مرور الوقت اندثرت العائلة الكبيرة خصوصاً في القرى القريبة من مركز المنطقة حيث استقلّ الأبناء عن الآباء بعد الزواج، إلا أنّ هذا الاندثار ليس كلياً، حيث مازلت بعض العائلات متمسكة بهذه الطريقة الجماعية للعيش خصوصاً الجبلية منها.

يتدين أهل المنطقة بالدين الإسلامي لكن مع مرور الوقت ظهرت طوائف تتدين بالديانة المسيحية وفي هذا الصدد يقول لنا أحد المسّنين¹: " زِيْغُ أَسْمِ يُطَفِّ رَيِّ السَّرِّ أَفْشَرْتَاغُ سَوِ لُجُومَعُ إِقَايْذُ تَسُوْحِيْذُنْ رَيِّ إِفْتَشُوْرُنْ تُدَارُ أَنْغُ، مَتَسْرَاغُ مَقْتَسُوْكَسُ السَّرِّ سَكْشَمَنْغَدُ لُجُومَعُ آقِي قَايْذُ أَرْقَارُنْ عَيْسَى ذَمْسُ الرِّيِّ، يُوْنْ ذَغَا أَنْأَنَ إِبُوجِمَعُ "

بمعنى: في الماضي لما ساد ستر الله على هذه البلاد، لم يكن في قرانا سوى الجوامع التي يتوحد فيها اسم الله، أما الآن وقد فسد الزمان فإنهم أدخلوا إلى بعض قرانا هذه الجوامع التي يقولون فيها أنّ عيسى ابن الله، وهناك واحد في بوجيمة².

إنّ منطقة واقتون وغيرها من مناطق القبائل لها معتقداتها الخاصة بها كتقديس الأولياء الذين حضوا بمكانة مرموقة لدى أهل المنطقة خاصة الولي الصالح: سيدي سعدو پلقاسم، و الولي

¹ - عن المخبر: بو جعبوط أكلي، المكان نفسه، بتاريخ 2011/20/08.

² - بلدية على مقربة من دائرة واقتون تابعة لدائرة ماكودة.

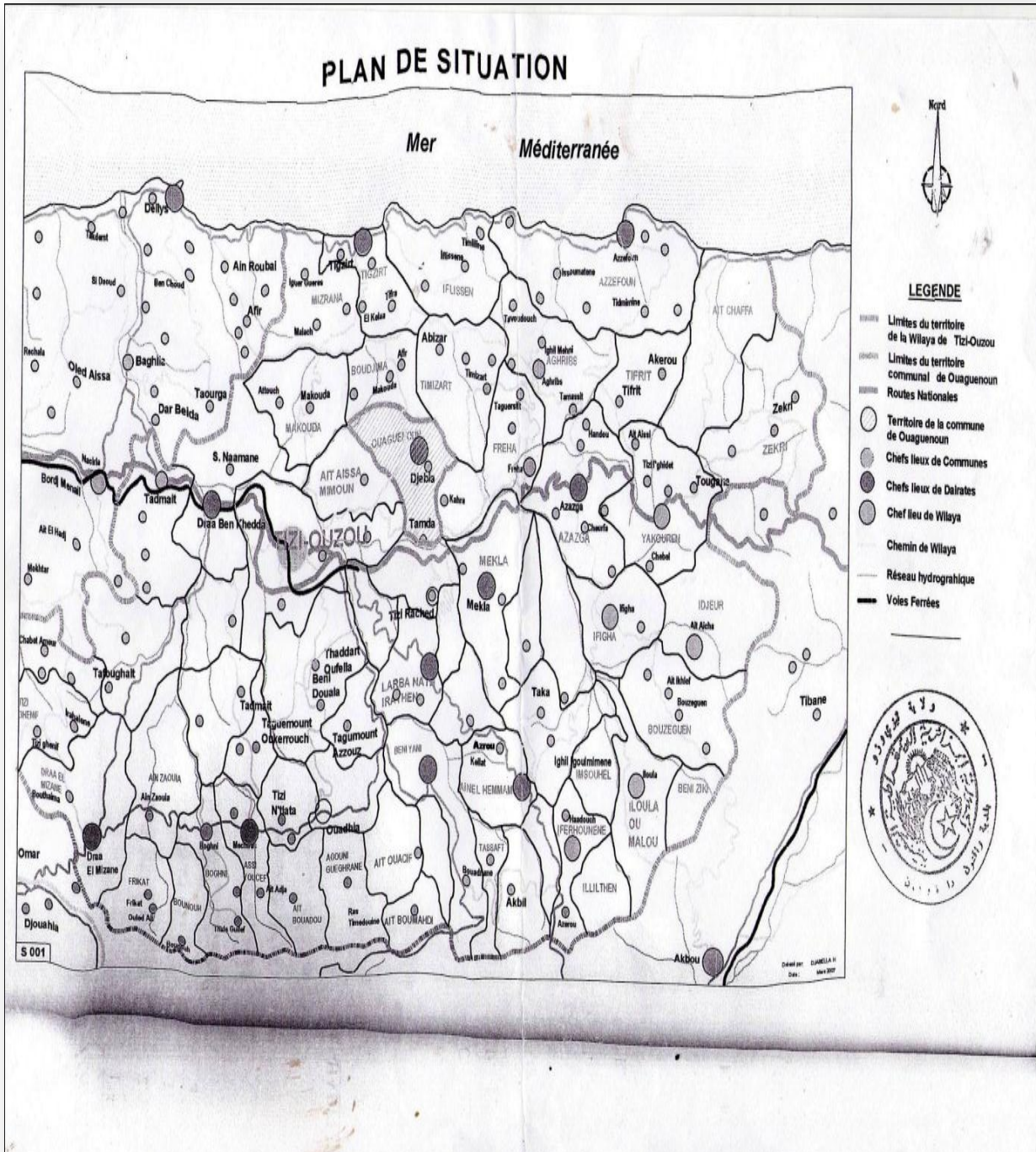
الصالح پاپا وُخليف اللّذان يعتبران ابني الولي الصّالح الكبير سيّدي پوپكر¹، كذلك الولي سيّدي الحبيب²، ويمّا تقمونت³، و الإعتقاد في الكائنات فوق الطبيعة كالجن وقدراته.

¹- يتواجد هذا الولي الصّالح بتقزيرت.

²- يتواجد هذا الولي الصّالح قرب مقبرة بتقوبعين، وقد أخذت هذه المقبرة اسم الولي الصّالح "سيّدي لحبيب".

³- لها ضريح بأعلى مكان في مقبرة بقرية "جبلّة" وقد أخذت هذه المقبرة اسم الضريح "يما تقمونت".

هاهي الخريطة التي تظهر الموقع الذي اتخذته المنطقة وما يحدها من دوائر¹.



¹ - حصلنا على الخريطة من رئيس البلدية نفسه، التاريخ نفسه.

6- منهج الدراسة:

سنسير وفق هذا البحث تبعاً للمنهج الأنثروبولوجي، والوظيفي لأنهما الأنسب لتحليل موضوع بحثنا، وسنحاول فيما يلي تحديد مصطلحي الأنثروبولوجيا، والوظيفية :

الأنثروبولوجيا: تعرف الأنثروبولوجيا على أنها علم مختص بدراسة الإنسان وثقافته وقد قسم الأنثروبولوجيون هذا العلم إلى ثلاثة فروع أساسية بحسب نظرتهم إلى إنسان على الشكل التالي¹:

النظرة إلى الإنسان باعتباره كائن حي مخلوق ضمن المخلوقات الأخرى فظهر فرع الأنثروبولوجيا الطبيعية، أو الفيزيائية.

النظرة إلى الإنسان باعتباره اجتماعيا بطبعه يعيش في جماعات مختلفة ساعدت على ظهور فرع الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

النظرة إلى الإنسان على أساس أنه حامل للثقافة، وناقل لها عبر الأجيال ساعدت على ظهور الأنثروبولوجيا الثقافية.

تعددت مصطلحات هذا العلم، ومفاهيمه بتعدد اتجاهاته، أو مراحل تطوره. وتعدّ الأنثروبولوجيا المرحلة الأخيرة من الدراسة، وبالتالي وجب تقديم تحديد بسيط لمراحل البحث هذه:

المرحلة الأولى: يطلق عليها " الناسوت " (الإنثوغرافيا)، « فالناسوت يتجاوب مع المراحل الأولى من البحث: المعاينة والوصف والعمل الميداني. والأدروسة التي تدور حول مجموعة محصورة النطاق بما يكفي لجعل الباحث قادراً على تجميع القسم الأعظم من معلوماته بناء على خبرته

¹ - ينظر: فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس إبراهيم: الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة، الأزاريطة، مصر، بدون طبعة، 2008، ص18.

الشخصية، إنّما تشكّل نمط الدراسة الناسوتية بالذات»¹. وسنسرّد لاحقاً التواريخ التي نزلنا فيها لإجراء التحقيق الإثنوغرافي بنوع من التفصيل.

المرحلة الثانية: يطلق عليها "النياسة" (الإثنولوجيا)، وهي لا تتأسّس فقط على المعرفة المباشرة بل يقوم فيها الباحث بعملية الجمع والتوليف وفقاً للاتجاه الجغرافي، إذا كان يهدف الجمع بين معارف متعلقة بالجماعات المتجاورة، أو وفقاً للاتجاه التاريخي إذا كان قاصداً كتابة التاريخ بالنسبة لأقوام أو عدة أقوام...².

المرحلة الثالثة: يطلق عليها "الإناسة" (الأنثروبولوجيا)، وهي مرحلة ثانية من الدراسة، وأخيرة من الجمع والتوليف. تستند إلى النتائج التي توصلت إليها الناسوت والإناسة. وتهدف إلى الإحاطة بمعرفة الإنسان معرفة إجمالية، تشتمل على موضوعها بكلّ اتساعه الجغرافي والتاريخي. تتطلّع إلى معرفة قابلة للتطبيق على التطوّر البشري بأسره، من أقدم الأعراف الإنسانية إلى أحدثها.³ فالمرحلة الثلاث يصعب الفصل بينها لأن الثانية مرتبطة قطعاً بالأولى، والثالثة بالثانية. وسنسعى للاستعانة بكلّ منها في الوقت ذاته قدر استطاعتنا، وسنعبر على مصطلح الناسوت بمصطلح الإثنوغرافيا فيما سيأتي من البحث.

الوظيفية: إنّ الوظيفية كتيّار علمي ومنهجي قد نمت وتطورت في اتجاهات مختلفة من بينها الاتجاه البيولوجي والاتجاه الأنثروبولوجي الثقافي، ففي البيولوجيا حدّد معنى الوظيفة على أساس أداء كل عضو دور وظيفة معينة ثم حاول علم النفس وصف العمليات العقلية كالإرادة والانتباه الانفعال لكنه لم يحدد مل يربط بينهما حتى جاءت مدرسة الجيشتالت التي أكدت على النزعة الكلية والتي تقول " إنّ كل عنصر يدرس في سياق الكل "⁴، أمّا في الأنثروبولوجيا الثقافية فقد

¹ - كلود ليفي ستروس: الإناسة البنائية، ترجمة: حسن قببسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص375.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص376.

³ - ينظر: كلود ليفي ستروس، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - ينظر: إيكه هولتكرايس: مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، ط1، 1972، ص

ظهرت الوظيفية على يدّ فرانس بواس، رادكليف براون، "برونيسلاو مالينوفسكي" Bronislaw Malinowski. تقوم الفكرة الأساسية للوظيفية عند مالينوفسكي على أن الثقافة تحقق حاجات للأفراد حيث رأى أنّ الثقافة ما هي إلاّ وسيلة لإشباع احتياجات الإنسان الأساسية والتكاملية، بالتالي فهي ما يسميه بالسمات البيولوجية، والنفسية للإنسان، وقد حاول توضيح مفهومه هذا بعدد من الأمثلة، فالإنسان في حاجته إلى الطعام يخرج للبحث عنه، ويقوم بسلسلة من العمليات من جمع للثمار، وصيد الأسماك، والحيوانات ثمّ إعدادها لتكون صالحة للغذاء، وبذلك فإن الحاجة للطعام محكومة بعدة عمليات يمكن تحليلها إلى عدة أجزاء، مع عدم إغفال العمل الأساسي فيها وهو الجوع، فوظيفة كل تلك العمليات الثقافية المذكورة هي إشباع الحاجة البيولوجية إلى التغذية¹. وأما الحاجات التكاملية فهي الحاجات الإنسانية للأمن السيكلوجية، التوافق الاجتماعي، والأشياء التي تتعلق بأنساق المعرفة في الحياة، القانون، الدين، السحر، الأسطورة، الفن².

وللحصول على المعرفة الشاملة لثقافة أي مجتمع كان على الباحث الأنثروبولوجي أن يقوم بمعاينة مجتمع الدراسة، والذي يشدد عليه مالينوفسكي في كل كتاباته إذ يصرّ على ضرورة المعاينة بالمشاركة حيث يقول: " لقد كنت أشتغل بمفردتي فقط، وكنت أصرف معظم أوقاتي في إقامة دائمة في القرى نفسها مختلطاً بسكانها، فكنت أراقب دائماً مشاهد حياتهم اليومية بحيث أن الأحداث العابرة والدراماتيكية كالوفيات والمشاجرات، لم تكن تغيب عن ذهني، ولا انتباهي ...". والحقيقة أن فائدة المعاينة كبيرة فهي تمكن الباحث من تسجيل ظاهرات فلا يتسنى للمعرّف أن يحدثنا عنها سواء عن قصد، أو غير قصد حيث يتمكن الباحث من مراقبة تصريحات المعرف للتحقق من مدى صحتها³. وفيما يلي تقديم للتحقيق الناسوتي الذي أجريناه كي نحصل عل مادة بحثنا.

¹ – Voir: Bronislaw Malinowski: une théorie scientifique de la culture, traduit par: p.Clinquart, François maspro, Paul Painlevé, paris, France, 1968, page68, 155.

² – Voir: Bronislaw Malinowski, op.cit, p 157.

³ – voir: Bronislaw Malinowski: les argonautes du pacifique occidental, traduit par André et Simonne dévoyer, éditions Gallimard, New York, 1963, p 64.

التحقيق الإثنوغرافي: منذ زمن ما يقارب العشرين عاما، كنت في موقف لا أفهم فيه شيئا، كنت أمام حشد من النساء في بيت جدي يصحن، ويبكين بحرقة ونهتهن تُسمع من بعيد، كنت أشاهد والدتي، عماتي وجدتي يبكين حول جثمان جدة والدي التي كانت تدلّني كثيرا لكن دون أن أفهم ماذا حصل ؟.

كنت أمسك بثوب والدتي مندهشة سائلة إياها لِمَ تبكي؟ فأخذتني إلى جانب جدتي وقالت: هاهي الجدة قد ماتت أنظري إليها كي لا تشتاقي إليها كثيرا، وكأنما كانت تطلب مني توديعها. فظننت أن هذا الأمر نوم مؤقت، أو مرض شديد ولم أفهم أكثر من هذا. صرت أبكي لأنّ الأجواء جعلتني أشعر بالخوف، وعدم الارتياح لكن استماعي لمجموعة نساء يرددن شعرا شجيا جعلني أنتبه إليهن وأتوقف عن البكاء، لأتسلل إليهن وأجلس في حجر إحدى العجائز اللواتي كن يسكنن بجوار بيت جدتي لأغفو بعض الوقت فأستيقظ على مشهد إخراج جثمان الجدة من البيت على أكتاف بعض الأقارب، وصوت عويل حاد أدى إلى إغماء إحدى عماتي، وجدتي التي تشاهد إخراج جثمان أمها.

أسئلة كثيرة أخذت تراودني دون أن أتجرأ، وأسأل عنها أحداً ليجيبني، وبعد مرور بعض السنوات بدأت أفهم أن الموت رحيل بلا عودة.

ليست هذه الذكرى البعيدة التي ظلت راسخة في ذاكرتي، والتي تومض بين الحين والآخر هي السبب الفعلي لإنفاق عامين من التحقيق الإثنوغرافي لأتسلل من خلالها بكل هدوء، وحذر إلى العقلية الشعبية محاولة انتشال الأفكار، والمعتقدات التي تكونت في مخيالهم حول ظاهرة الموت لكن التخصص في دراسة الأدب الشعبي هو الذي دفعني للبحث، والغوص في هذه الأمور للتمكن من دراسة عقلية الإنسان الشعبي، ومآثره الإنسانية منه فإن على كل باحث أن يقوم بخطوة أولى قبل التحليل، والتمحيص والتي تتمثل في التحقيق الناسوتي الذي يعد المرحلة الأولى من العمل .

بعد أن وضعنا الخطة الأولى للبحث أصررنا أن لا نجمع المادة الإثنوغرافية تحت الطلب، إلا في الحالات المستعصية، وكنا على تمام الإقتناع بأن نجاح هذا التحقيق لن يكون إلا بالمشاركة،

والمعايشة الحقيقية للحدث، وربما هذا لتأثرنا بآراء مالمينوفسكي حول التحقيق الناسوتي فظللنا وقتاً طويلاً ننتظر وفاة أحد في المنطقة التي نقيم فيها لأننا نشأنا وترعرعنا فيها، وبالتالي نتقن اللغة المتداولة بين أبنائها، ونعرف أناسها، وقراها فكان حالنا كحال حفار القبور يترصد ميتاً جديداً للعمل، بعد صبر طويل توجنا بحضور أكثر من جنازة لنشرف بأنفسنا على جمع المادة الاثنوغرافية المتعلقة بالنساء من خلال المعاينة بالمشاركة، وفيما يلي التواريخ التي سجلنا فيها مادة بحثنا.

لقد جمعنا المادة الاثنوغرافية خلال مدة زمنية تمتد من عام 2009 إلى غاية عام 2011 من مختلف قرى بلدية واقتون، وجميع النصوص الواردة في متن فصول هذا البحث منسوبة إلى أهل هذه البلدية ما لم نُشر إلى مصدر آخر.

في يوم 2010/03/05 وعلى الساعة 9:05 صباحاً بقرية ثلا بعراين بلدية، ودائرة واقتون، ولاية تيزي وزو، قمت بتسجيل الأذكار النسائية التي تردد في الجناز عن طريق المعايشة بالصدفة لا أكثر ولا أقل، ربما هذا التسجيل الأولى هو الذي جعلني أفكر في الموضوع بطريقة جدية فيما بعد.

كانت المتوفية جدة والدتي، وقد فارقت الحياة عن عمر يناهز الثمانية والتسعين عاماً. فكرت في التسجيل لأنني تخصصت في الأدب الشعبي، ورأيت أن هذه الأشعار ستكون مفيدة في المستقبل، ولا أخفي أن أخواتي، وبعض قريباتي وصفنني بعديمة الإحساس والشعور لما أحضرت المسجلة لكن خالي شجعني، وطلب مني عدم الاكتراث لأرائهن إذ كان هذا سيفيدني في البحث و الدراسة.

كانت جماعة الأخوات في ذلك اليوم متكونة من السيدات التالية أسماؤهن: مصباح علجية، والتي كان لها الفضل الأول، والأخير في تسجيلي تلك الأذكار على شريط كاسيت، إذ وضعت المسجلة في حجرها أثناء إنشادهن قرب المتوفية بعدما أفهمتها طبيعة العمل.

حيث أذكر أنها قالت لي: "مادمت ستحافظين على ما تركه أجدادنا فلن أمانع في مساعدتك"، سماعيل فروجة، فرحات خلوجة، شعلال خلوجة، لعراس علجية. كانت هذه أسماء النساء المتقنات

لهذه الأذكار واللواتي يستدعين للذكر في الجنائز، وقد أوردنا كل المعلومات الخاصة بكل واحدة منهم في فهرس الرواة والمخبرين.

في يوم 2011/02/10 على الساعة 09:30 صباحًا بقرية بودشيشة بلدية، ودائرة واقتون، ولاية تيزي وز، نزلت للتسجيل في جنازة المرحوم فرحات السعيد الذي مات عن عمر يناهز الثلاث والتسعين سنة، كانت الأجواء جدّ هادئة ولم أتعرض للصعوبة أو الضغط من المحيطين بي لأنّ علاقتي بدأت تتوطد مع جماعة الأخوات اللواتي صرن يسهلن لي المهمة كلما التقينا بي إذ صرن يشجعني لم أبذله من جهد لتسجيل، وتدوين هذه المادة الشعبية التي لا يردنها أن تندثر مع مرور الوقت، ف سجلت عدة قصائد وبدأت أتسلل بين النساء وأسأل إلى أن تعرفت على امرأة عجوز أخبروني أنّها رئيسة غاسلات الأموات وحدّدت معها موعدًا لزيارتها في بيتها.

في يوم 2011/02/15 نزلت ضيفة على السيدة التي حددت معها موعدًا للزيارة في الجنازة التي كانت بتاريخ 2011/02/10 فرحات ذهبية الساكنة بقرية زوجة بلدية، ودائرة واقتون، ولاية تيزي وزو على الساعة الخامسة مساءً، رحّبت بي وسعدت كثيرًا لزيارتي لأنها كانت تظن أن استفساراتي عن طريقة غسل الأموات كانت لسبب واضح، وهو رغبة التمرن على يدها لأصبح غاسلة للأموات فبدأت تحدثني بدقة شديدة، وكانت تطلب مني أن لا أقلق لأنها ستأخذني معها في الجنازة القادمة لمساعدتها، وبالتالي سأرى كل ما ستقوم به هي وزميلاتها ثم سأتعلم بالتدريج لكن لما أخبرتها أنّي أقوم بالبحث في هذا الموضوع لأنني طالبة تسعى لجمع، وتدوين التراث الشعبي خاب أملها لكنها لم تتوقف عن تزويدي بما يلزم، ولم تتغير طريقة تعاملها معي إلا أنها شعرت بالقلق من تشغيل جهاز الكاميرا وطلبت مني أن لا أقوم بالتصوير إن كنت أشتغل بالتلفزيون لكنني طمأنتها بنفي الأمر وتم اللقاء على أحسن ما يرام.

في يوم 2011/04/09 حضرت جنازة للمرحومة السيد بلخير فاطمة التي عمرت ما يقارب السبعين عامًا. ف سجلت الأذكار الجنائزية من عند جماعة الأخوات كما كنت ألاحظ الطقوس الممارسة في تلك الجنازة فكنت أستفسر عنها، ثم أسجلها، وفي كثير من الأحيان كانت ملامح

المخبرين تتغير لما يشاهدون آلة التسجيل فكننت أحاول قدر الإمكان إخفاء جهاز التسجيل إلا في الحالات التي يتعذر ذلك.

في يوم 2011/06/18 بقرية خشابنة بلدية، ودائرة واقثون، ولاية تيزي وزو، وعلى الساعة السابعة والنصف مساءً التقيت بالسيدة خليفة خلوجة في مسكنها الخاص، وبعد دردشة معها اكتشفت أنها تحفظ عددًا لا بأس به من الأذكار الجنائزية، وقد أخبرتني أنها حفظتها عن والدها الذي كان أحد أعضاء جماعة الإخوان لما كان على قيد الحياة فاستغللت، الأمر وقمت بالتسجيل لأنني لم أكن حينها أملك القدر الكافي من الأذكار الجنائزية المتعلقة بالرجال.

في يوم 2011/07/28 على الساعة السادسة مساءً كان اللقاء مع السيدة خليفة خلوجة لتجيب عن معظم الأسئلة التي جالت بذهني عن ظاهرة الوفاة .

في يوم 2011/08/20 تمكنت من إجراء لقاء مع رئيس جماعة الإخوان، السيد بوجعوب أكلي وكان ذلك نتيجة وسيط¹ دبر الموعد بعد تحديثه عن طبيعة عملي، فطلبت منه تزويدي ببعض المعلومات المتعلقة بجماعة الإخوان، كم كان الحديث معه مستصعبًا لأنه كان يعاني من المرض في تلك الفترة لكنني تمكنت من انتشال أكبر عدد ممكن من المعلومات من ذاكرته الشعبية، كما طلبت منه إلقاء بعض الأشعار التي يرددونها في الجنائز لأنني لم أتمكن من تسجيل أي بيت شعري خاص بالرجال حينها لصعوبة الاتصال بجماعة الإخوان في الجنائز.

في يوم 2011/08/28 على الساعة العشرة والنصف ليلا بقرية بودشيشة بلدية ودائرة واقثون، ولاية تيزي وزو، هو بداية التسجيل عن طريق الحيل لأن التسجيل في وسط الرجال من الأمور المحفوفة بالمخاطر إن لم تتحصل على إذن مسبق، وليس اللجوء إلى الحيلة إلا نتيجة للتصدي الذي اعترضنا طيلة العمل الاثنوغرافي. فبعد المحاولات الكثيرة التي باءت بالفشل لجأت إلى شاب في مقتبل العمر، وأخبرته ما يجب عليه فعله للتسجيل الأذكار الرجالية، فطلبت منه إخفاء

¹ - الوسيط هو : السيد رمضان أرسقي (75 سنة، قرية إحدقاون، بلدية ودائرة واقثون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ:

المسجلة تحت قميصه ليتسنى له التسجيل دون مشاكل وبعد أن دفعت له مبلغًا من المال نفذ المهمة بنجاح رغم تردده في بداية الأمر لكن تشجيعي له، وإغرائه بالمكافأة نتيجة العمل جعله يتناسى مخاوفه، فحصلت على أول مادة متعلقة بالرجال في جو حقيقي غير مفتعل، ولم أكن بعيدة عن ذلك الجو إذ كنت أشاهد الإخوان، وهم ينشدون من شرفة تطلّ على الفناء الذي اجتمعوا فيه.

في يوم 2011/09/14 على الساعة الحادية عشر ليلاً بقرية بودشيشة، بلدية ودائرة واقتون، ولاية تيزي وزو كان التسجيل الثاني للمادة الاثنوغرافية المتعلقة بالرجال، وحظيت بهذا التسجيل بمناسبة قامة الأربعين للمرحومة " بلخير ذهبية "، وكان التسجيل بتطبيق نفس الحيلة التي سجلنا بها في تاريخ 2011/08/28، وبهذا نكون قد أضفنا إلى الرصيد الشعري قصائد لا بأس بها من الأذكار الرجالية.

في يوم 2011/10/19 لن أنسى هذا التاريخ لأنه من أصعب التواريخ التي نزلت فيها لتسجيل المادة الاثنوغرافية. فعلى التاسعة صباحًا وبعد تردد كبير لخوفي أن يكتشف أحد أفراد عائلتي ذلك قصدت بيت ساحرة تقوم باستحضار أرواح الموتى لأستفسر منها على طريقة فعلها لذلك فقدمت لي بعض المعلومات النظرية، وقالت لي عليك أن تنتظري وفاة أحد ليقوموا بالعملية، لتحضري كيفية فعل ذلك. فعدت خائبة الآمال لكن لما أخبرت جدتي عرضت علي أن نقوم باستحضار روح والدتها التي فارقت الحياة منذ ثلاثة أشهر، ولم يقوموا بالعملية لأن أفراد العائلة يرفضون مثل هذه التصرفات لكنها طلبت مني أن يظل الأمر سرًا بيننا لأنها كانت تخاف كثيرًا من زوجها، وابنها البكر الذي يحارب مثل هذه التصرفات ويعتبرها شركًا بالله . فتحتم عليّ الأمر أن أقوم بكل الخطوات بمفردي، وكم كنت مرعوبة لما ذهبت للمقبرة لوضع بيضة مرفوقة بمئتي دينار في قبر الجدة لأرصد تعويذة خاصة تتلى على البيضة لأن الساحرة قد أخبرتني بهذا، لا أخفي أنني شعرت بتأنيب ضمير كبير، وخوفٍ لم أتمكن من السيطرة عليه فبدوت عند رجوعي من المقبرة شاحبة الوجه وعلامات القلق بادية علي لدرجة أن الجميع كان يسألوني ما الذي أصابك هل أنت مريضة؟ واستمر القلق يجتاحني لأنني كنت سأرجع في الغد إلى المقبرة لاسترجاع تلك البيضة. قضيت الليل

كله وأنا أتقلب في الفراش إلى أن غفوت لأستيقظ في الصباح، وأخذ معي كيساً قد هبأته الجدة وكان مزوداً بالبيض المسلوق، والقهوة، والسكر، والزيت، والتمر، والخبز التقليدي المحضر بالزيت لأمر بالمقبرة وأخذ معي البيضة التي تركتها في اليوم الماضي هناك . كان قلبي يخفق بسرعة شديدة لدرجة أنني كنت أظن أنه سيتوقف من شدة الخوف.

إنّ انتمائي كباحثة إلى مجتمع متحفّظ وإلى عائلة متحفّظة من الأمور التي صعّبت مهام البحث، وأعاققتها، لكنني كنت مصرّة على إتمام البحث الإثنوغرافي رغم كلّ شيء.

قصدت بيت الساحرة للمرة الثانية وأخبرتها بما أريد، لكنها أجابتي بطلب مبلغ من المال لم أكن أحمله معي، وأصرّت أن لا تقوم بالعملية إلّا إذا قدمت لها ثلاثة آلاف دينار مدعية أن روح الميت لن تحضر إذ لم أقدم لها ما تطلب. كنت جد خائفة من التواجد في بيت الساحرة فلو اكتشف أحد أفراد عائلتي أنني قصدت بيتها فسأعرض لعقاب شديد. توسلتها أن تقوم بالعملية، ووعدتها بأنني سأبعث لها بالنقود، لكنها رفضت، فكنت مجبرة على العودة للبيت لأحمل إليها المبلغ المطلوب. ولمّا عدت إليها ابتسمت وشعرت بالسعادة فقد ظفرت بالمبلغ المطلوب، وبكيس من المواد الغذائية، ولا أخفي أنها عاملتني بعدها بلطف وأذنت لي بالتسجيل، فسجلت أدق التفاصيل المتعلقة بعملية استحضار الأرواح ثم شكرتها في الأخير، وانصرفت بسرعة البرق لأصل إلى البيت، وأرتاح من هذه العملية التي تفوق مغامرتها وخطورتها تنفيذ مهام عسكرية خطيرة. وهذا ما يؤكّده ليفي ستروس في مؤلّفه : مداريات حزينة لمّا تحدّث عن مشقات و مخاطر البحث الإثنو غرافي التي شبّهها بالخدمة العسكرية¹

¹ - ينظر: كلود ليفي ستروس: مداريات حزينة، ترجمة: محمّد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، لبنان، ط1، 2003، ص17.

الفصل الأول

دورة الحياة وطقوس العبور

(1) الزواج

(2) الميلاد

(3) الختان

(4) الموت

(5) أوجه الإلتلاف والاختلاف بين طقوس دورة الحياة

(6) أهم الطقوس المكرورة في دورة الحياة

يمر الإنسان عبر مسيرته الحياتية بمراحل أساسية تمثل كل مرحلة طوراً مهماً في تكوين شخصيته الاجتماعية. بدءاً بالزواج، فالميلاد، والختان ختمًا بالوفاة فتتفرق كل مرحلة من هذه المراحل أغان، وممارسات خاصة تجعل من كل طور طوراً مميزاً عن الآخر لهذا الإنسان و هنا نجد رائد الفلكلور الفرنسي " أرند فون جنيب " **Arnold van gennep** يطلق على هذه الممارسات التي تصاحب كل طور من أطوار حياة هذا الإنسان بطقوس العبور Rites de passages أي الانتقال من طورٍ سواء أكان زمانياً، أو مكانياً إلى آخر فهذه الممارسات القولية، والمادية تصاحب هذا الإنسان لينتقل من طور إلى آخر، وكل انتقال هو تحول من حالة إلى أخرى كأن يتحول الشاب الأعزب إلى رجل متزوج، أو الإنسان الذي تدب فيه الحياة إلى آخر هامد.

يحفل تراثنا الجزائري عامة والقبائلي خاصة بعدد هائل من المآثر القولية سوءاً كانت شعراً، أو نثراً أو الممارسات المصاحبة لهذه الأقوال، أو المُقامة على انفراد، وسنحاول عرضها عبر الإجابة على التساؤل التالي: ما هي الأشعار، والشعائر المرافقة لكل طور من أطوار حياة الإنسان القبائلي؟ وما هي نقاط الالتقاء والاختلاف بين هذه الشعائر؟.

وللإجابة عن هذا التساؤل علينا الإحاطة بكل مرحلة من المراحل التي يمر بها الإنسان القبائلي عبر عرض موجز لحياته منذ سقوطه نطفة في رحم أمه إلى سقوطه جثة في قلب الأرض.

(1) الزّواج:

تعدّدت الدراسات، وكثرت الآراء عن نظام الأسرة، الذي مرّ بمراحل مختلفة بدأت بالعلاقة الجنسية المشاعة. هذه المرحلة الطفولية لتاريخ البشر « والتي كانت فيها مبنية على الحق الأمومي حسب باشوفن، ويظهر ملك لينان أنّ الزواج من خارج العشيرة في المقابل من داخلها¹، وتلي ذلك الزواج بالجملة، أو ما يسميه العلماء بشكل العائلة القائمة على علاقة الدم إذ يحق لكل الرجال والنساء من جيل واحد أن يتزوجوا زوجاً فيه بقايا المشاعية الجنسية السابقة»².

إن سواد الحق الأمومي في العائلة قد لازم البشرية في مراحل القنص، واللقاط إلى مرحلة الرعي، وتربية المواشي. فكان الولد ينسب إلى أمه لاستحالة نسبه إلى الأب غير أن تتبه الإنسان إلى

¹ - ينظر: أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة، 2002، ص 224 إلى 225.

² - ينظر: أحمد رشدي صالح، المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

الزراعة أدى إلى الاستقرار في الأرض فدعم ذلك الملكية الفردية ليتخلى بذلك عن تناقل النساء من رجل إلى آخر من جهة « فصار يحتفظ لنفسه بنسائه وبناته لكن محرماً كل صلة بين نسائه وبين أولاده فلم يبق للأبناء لإشباع شهواتهم، إلّا خطف النساء من عشائر أخرى فكانت الخطوة الأولى نحو الزواج الخارجي»¹، كما أدى إلى: « وضع حد لسيستام " التبادل الحصري" من جهة أخرى، ذاك الذي ينقضي بأن الجماعة التي تتلقى امرأة على سبيل الزواج يفترض بها عاجلاً أم آجلاً أن تعيد للجماعة التي أعطتها المرأة المذكورة امرأة أخرى بديلة عنها»².

بعد هذه اللوحة الوجيزة يجدر الحديث عن خطوات، وطقوس الزواج في سياقاتها الثقافية المحلية. يعتبر الزواج في المجتمع القبائلي أحد الروابط المقدسة، وهو سنة الحياة، فالزواج موضوع أساسي بحيث نجده في صدارة الانشغالات الحياتية، لما له من أهمية كبيرة في الحفاظ على النسل، وتواصل الأجيال، إذ يرتبط موضوع الزواج كلّه تقريباً بفكرة الإتيان بالمرأة التي تملأ البيت أولاداً يرثون الأرض، وتريح الزوج من عناء الحياة، وتقضي مطالبه ومطالب عائلته .

فالإقدام على الزواج في هذا المجتمع التقليدي ليس بالأمر الهين، إذ يعد بمثابة مشروع اجتماعي يساهم في انجازه مجموعة من الأشخاص يختلفون فقط في الغاية .

لما يصل الشاب إلى عمر يناهز العشرين عاماً يقرر أهله تزويجه، وذلك عن طريق تلميح من الوالدة لأنه فيما مضى لم يكن الشاب هو الذي يختار المرأة التي يقترن بها مثلما يحدث الآن، وإنما يقوم الأهل باختيارها لأنهم على دراية تامة بالفتاة التي يريدونها لابنهم، أما الشاب فلا يبدي أي رأي تحفظاً منه³.

¹- ينظر: د. يوسف شلحت، نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، تحقيق: د. خليل أحمد خليل، دار الفرابي، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص 163.

²- جاك لومبار: مدخل إلى الإثنولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص66.

³- عن المخبرة : خليفة خلوجة، المكان نفسه، بتاريخ 2010/03/2.

تضع الخاطبة شروطاً في ذهنها كي تقوم بخطبة إحدى الفتيات كأن تكون الفتاة صبورة¹ وعلى دراية بأمور المطبخ، وشؤون تنظيم البيت بالإضافة إلى النشاط والخفة، والأخلاق السامية وإن وجدت الخاطبة هذه الشروط متوفرة في إحدى الفتيات تطلب يدها من أهلها، وبعد الموافقة تقرأ الفاتحة ويتم العقد الشرعي لهذين الزوجين أمام الملاء.

تقرأ الفاتحة بين الرجال في السوق إذا كانت العائلتان بسيطتين، ويقام احتفال بهذه المناسبة إذا كانت العائلتان غنيتين، فتقدم في هذا الحفل أطباق تقليدية كالكسكس باللحم وبعض المأكولات مثل "المقروط"²، و"الخفاف"³، والبيض والسكر، كما تقدم بعض الهدايا لأهل العريس كالقماش، والصابون.

بعد مرور فترة من الزمن يقوم أهل العريس، والعروس بدعوة الأقارب، و الجيران لحضور حفل الزفاف الذي حدد موعده أهل العريس، ويحضر لهذا الحفل من كلا الطرفين فيذبح أهل العريس ثورين لإطعام المدعوين، ثم تشرع النساء في قتل الكسكس صبيحة ليلة الحناء.

في مساء هذا اليوم وبعد إطعام الحضور بطبق اللحم و الكسكس يتجه وفد من أهل العريس لبيت العروس، و قد كان المهر الذي يقدم للعروس فيما مضى يقدر (حوالي عام 1902) بسبعة دوروه، حسب ما أخبرتنا به السيدة خليفة خلوجة:

" لَحَاصُونْ أَمْدِينِغْ أَيْنْ إِيْدَنَّا يَمَّا أَذْفَلَسَيَاوُ زَيِّي، نَتَّايِيْدُ زِيْغْ مِيِيُوْغْ بِيَّامْ يَفْكَيَّاسْ إِيْدِيْمْ سِنْعَا دُورُو أَرْتَانْ قَضَنِيِي تَقْنُدُورْتْ أَكْذِسْتَفْنَارْتْ ذَايَا".

بمعنى: في كل الأحوال سأخبرك بما أخبرتي به والدتي رحمة الله عليها، أخبرتي أنه لما تزوجني والدك في الماضي لم يقدم لجدك سوى سبعة دورو، واشترى لي فستانا، وفولارا فقط⁴.

¹ - صبورة : بمعنى أنها تصبر على الضرب والجوع فلا تفشي بسر بيتها لأي كان. وهناك حيلة تقوم بها الخاطبة لتتأكد من صبر الفتاة إذ تقوم بوخزها خفية فإن صمنت سعدت الخاطبة بذلك، وقالت بأنها مناسبة أما إن صاحت الفتاة تركتها الخاطبة وبحشت عن غيرها.

² - يطلق اسم مقروط على كعك تقليدي يحضر بواسطة السميد والزيت والماء في شكل مربعات صغيرة الحجم وتطهى في الزيت ثم تغمس في العسل.

³ - الخفاف هو أيضا خبز تقليدي يحضر بواسطة السميد والماء والملح فيعجن ليطهى في الزيت على شكل دوائر صغيرة.

⁴ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه. عن أمها المرحومة رمضان ثساديث وقد كانت من مواليد 1902 .

تقدم الحماة للكتّة في اليوم التالي الصرّة¹ التي حضّرتها لها و التي تطابق صرّة العريس. تزغرد النساء عند الوصول لبيت العروس، التي تخرج في أبهى حلّة، فتجلس على بردعة² عليها زربية مزركشة لتقوم الحماة بإحضار صبي صغير غير مختون، ويشترط أن يكون الصبيّ البكر لأحد الأقارب أو الجيران كي تحمله العروس في حجرها بعض الوقت وهذا لترزق بولد بكر حسب اعتقادهم.

تغمس الحماة أو العمّة ثلاث رؤوس أصابعها في صحن الحناء فتضع ثلاث نقاط من هذه الحناء على كفّي العروس، وقدميها وفي هذه الأثناء تزغرد النساء، ويرددن الأغاني الخاصة بوضع الحناء "ثيوغارين".

يُتداول في المعتقد الشعبي أن الحفاظ على حناء العروس وصيانتها أمر ضروري لضمان عدم وقوعها في أيدي الأعداء لأنهم سيحاولون استخدامها كسحر يجعل العروس عاقراً.

بعد وضع الحناء ينصرف الحشد الذي كان حاضراً لتبقى عجوز مسنّة برفقة العروس فتضع لها على حزامها صرّة تحتوي على سبعة رصاصات،³ وقطعة من جلد الثعبان، وقليلًا من الحناء التي سبق وأن استعملتها، وحبّة قرنفل،⁴ وحبّة تمر،⁵ وقطعة من الجاوي، وحليا من الفضة.⁶

كما تستعمل الحناء المذكورة سابقا في تأخير الإنجاب، فإذا أرادت العروس أن لا تنجب مبكراً تقوم بغمس أصبع واحد في صحن الحناء إذا أرادت العروس تأخير حملها سنة، وتغمس أصبعين إذا أرادت العروس تأخيره سنتين. ويمارس طقس آخر وهو: قلب صحن الحناء للمدة التي ترغبها العروس في تأخير حملها، فتقوم والدة العروس بقلب الصحن لمدة يومين إذا أرادت العروس تأخير حملها سنتين وتبقيه مقلوبا ثلاثة أيام إذا أرادت تأخيره ثلاث سنوات، ويتم هذا القلب بعيدا عن

¹ - تتكون الصرّة من : قطعة الجاوي، وقطعة من الفحم، وثلاث حبات من الشعير.

² - تجلس العروس على البردعة التي كانت توضع للحمار لتتحمل الأثقال، والأعباء التي يحملها إياها أهل زوجها دون أن تشتكي أو تتألم فتكتفي بالعمل والصبر مثل الحمار الذي يحمل أثقالا وأعباء لا مثيل لها.

³ - توضع سبع رصاصات بهدف تأخير الولادة في اعتقاد أهل المنطقة .

⁴ - يوضع القرنفل ذو الرائحة الطيبة لتكون العروس كالنسمة عند أهل زوجها.

⁵ - توضع حبة تمر لتكون العروس محبوبة كحبة التمر.

أعين الناس كي لا يسرقها الأعداء لاستخدامها لأغراض مؤذية كسحر العروس، أو جعلها عاقراً طوال حياتها .

بعد العودة من بيت العروس يأتي دور العريس ليضع له أبوه أو عمه الحناء، فيلبس العريس برنوسا ويجلس على حصيرة ليضع له الأب، أو العم ثلاث أصابع من الحناء بين كتفيه، وقرص صغير في كفه اليمنى تحت زغاريد، وأغاني النساء.

في اليوم التالي الذي هو يوم الزّقة، تأتي الفرقة الموسيقية لإحضار العروس لبيت زوجها. فتُجهّز العروس لتخرج في أبهى حلّة باللباس التقليدي مغطاة الرأس، و الوجه بمنديل حرير أحمر، أو أصفر، وتلبس برنوسا، وعندما تخرج تجد أمام عتبة الباب أباهاً لتمر تحت ذراعه اليمنى كي تدخل في عصمة زوجها بعد خروجها من بيت أبيها، و لمّا تصل العروس إلى الخارج تجد بغلاً مزينا بزربية مزركشة فيساعددها حموها على امتطائه، وتزغرد النساء، ويطلق البارود في هذه اللحظات، وتطبل الفرقة الموسيقية طول الطريق إلي أن يصلوا إلى بيت الزوجية.

هنا تنتظر الحماة أمام عتبة البيت وهي تقوم ببعض الطقوس التقليدية، فتهيئ جفنة ماء فيها محراث وفي يدها غريال فيه قمح وفول و"أحدور"¹ وبعض الحلويات، فتقف العروس أمام عتبة الباب لتقبّل ما يحويه الغريال وترجعه إليه أمّا الحلويات فتزرميها إلى وراء ليلتقطها الصبيان الصغار.

تتقدّم العروس وتضع رجلها داخل المحراث الموضوع في جفنة الماء، وتدخل إلى الغرفة التي ستبقى فيها².

يقوم العريس - عند وصول عروسه - بهزّ شجرة كي تخاف العروس ويمنحه ذلك القوة والشجاعة ليتمكن من الدخول على زوجته دون مشاكل لأنّه في الحقيقة يعاني من حالة توتر حادة خوفاً منه أن لا يؤدي مهامه على أحسن ما يرام ، وحسب الباحث مرسيا إلياد فإنّ الزواج ينطوي على توتر يؤدي إلى إندلاع أزمة يجب تفاديها وذلك بالطقوس الممارسة في العرس، هذا الأخير الذي يعدّ

¹ - هو خبز تقليدي يحضّر بواسطة السميد والملح، والماء ولما تعجن هذه المكونات تشكل كويرات صغيرة وتبسط بواسطة الزيت إلى أن نتحصّل على عجينة رقيقة كالورق لتطهى في الأخير.

² - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

طقسا سحريا للاجتياز والعبور. فالزواج مناسبة للعبور من مجموعة سوسيو دينية إلى أخرى يغادر فيها الزوج الشاب جماعة العزّاب لينخرط في جماعة أرباب الأسر في التنظيم الاجتماعي.¹

تهيئ الحماة فراشا من حصيرة وضع الفول والقمح تحتها ثمّ تغطيها بزربية. تدخل العروس الغرفة تمسك عمود البيت وتقول لها حماتها: أربّي أربّيس دَسَلَسْ أَلْمَاسْ
بمعنى: اللهم اجعلها العمود الوسط للبيت.²

بعد ذلك تجلس على الفراش المهيئ لها إلى الغد، يؤخذ الماء الذي كان في الجفنة بكل حذر لئلاّ تسبّ به الخوابي، وهذا لتكتم العروس أسرار زوجها فلا تفش بها لأحد مثلما تحفظ الخابية الرزق والأشياء الخاصة ولا يدخل العريس على عروسه إلاّ بعد الليلة الثانية، وتدور معتقدات كثيرة عن ليلة الزفاف من بينها : أنّه إذا أراد أحد الأعداء أن لا تمرّ ليلة الدخلة على خير ما يرام فإنّه يكفي أن يحمل معه سكّينا أثناء وضع الحنّاء للعريس ليقوم هذا الشرير في اللحظة التي تقام فيها مراسيم وضع الحناء بطي هذا السكين وكسره على اثنين³، ويعود هذا المعتقد في رأيي إلى فكرة مؤداها أنّ كي، وكسر السكين الذي كان مستقيما في الأول يؤدّي بدوره إلى كسر رجولة العريس ليمنعه هذا التصرف من قبل الأعداء من ممارسة واجباته الجنسية فيعمّ الخوف، والقلق على حياة العروسين عوض الاستمتاع بالحياة الزوجية .

في صباح اليوم التالي تخلع العروس زيّ الزفاف، وتغسل بالماء الذي أحضر لها من العين أو البئر وتأتي النساء كي يمشطن لها شعرها تحت الأغاني، و الزغاريد النسائية.
بعد إنهاء تسريح شعرها تنهض العروس لِتُقَبِّلَ رأس حماتها أولا، ورؤوس الحاضرين ثانيا، ويقدمون لها بدورهم ما استطاعوا من المال.

بعد ذلك يقوم صبي بلف حزام حريري حول وسطها لترزق بولد بكر، ويرمى الماء الذي غسل فيه ثوب دم البكارة إلى شجرة رمان لما ترمز إليه من الخصوبة، ولا تقوم العروس بأي عمل لمدة سبعة

¹ - voir : Mercea Eliade ,Sacré et Profane, Falio essai, Gallimard , New York, 1994, p 157.

² - بلعب العمود الوسط للبيت دورا رئيسيا في تثبيت السقف، فتتمنّى الحماة أن تلعب الكنة دورا رئيسيا في تمتين العلاقة بين أهل البيت .

³ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

أيام إذ تكتفي بمراقبة أهل البيت، والتمعن في أعمالهم وحركاتهم كي لا تخطئ عندما تنتهي استراحتها.

يحضر أهل العروس في اليوم السابع كضيوف شرف، تنهض العروس في الصباح الباكر كي تطهو لهم الغذاء، وعند وصول أهلها تشرع في تقديم الطعام، و الاعتناء بالضيوف دون تفرقة بين أحد.

تُظهر العروس حنكتها في أول يوم عمل لها في بيت زوجها، إذ تخدم الحضور دون استثناء، وتكون مبتسمة وبشوشة مع الكلّ، ولا تنام والدة العروس عند ابنتها إلا يوماً واحداً حسب تقاليد أهل المنطقة، وفي اليوم التالي ترجع والدة العروس لبيتها، بعد أن أهدي لها فخذ خروف وبعض الأشياء الحلوة كالتمر و السكر والمقروط¹.

(2) الميلاد:

لما يتحقق حلم المرأة في الزواج تطمح في بناء أسرة لها عن طريق الإنجاب، فهذه المرأة هي التي ستكون عماد البيت، والمجتمع وبفضلها ستتواصل الأجيال. تظهر أعراض الحمل ولا تتوقف المرأة عن أعمالها المعتادة، فتستمر في الزرع وجمع الحطب والطهي. فهي تشقى وتتعب رغم حملها، وتتوحم في الأشهر الأولى من الحمل ببعض المأكولات أو الثمار، وإن لم تحصل عليها فقد تظهر تشوهات على المولود وهذا من معتقدات أهل المنطقة طبعاً، ولا يكون الحمل في أغلب الأحيان ناجحاً لأن هناك من النساء من يتعرضن للإجهاض، فيعتقد أن بهذه المرأة مساً من الجن بسببه تجهض الأجنة وتسمى هذا الجن "تابعة"². وبما أن الجدّات من أكثر الناس حرصاً على إبعاد الأرواح الشريرة والعفاريت المؤذية على أنفسهنّ وأولادهنّ وكثاتهنّ الصغيرات لأنهنّ الأكثر عرضة لأذاهنّ فكنّ دائماً الاستعداد للتصدّي لهنّ عن طريق طقوس وتعاويز خاصة وطرق متباينة لكلّ حالة الطريفة الملائمة لها. للجدّة أو الحماة الخبرة في الدنيا بفضل تقدم بعد أن تتنبه

¹ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

² - التابعة هي جنية شريرة تؤذي النساء الحوامل فتجهض أجنّتهنّ وتؤدي كلّ من تعترض طريقه رجلاً كان أو امرأة فتكبل يدي الرجل فلا يعود قادراً على العمل وتأسر قلبه فلا يعود راغباً في زوجته لتتجلى له في الأحلام على شكل امرأة فاتنة الجمال وهذا حسب معتقدات أهل المنطقة.

الحماة لما يحصل لكننتها تصنع لها في هذه الحالة صرة¹ لتعلقها في فستانها أو تخبئها في حزامها.

هذا يتعلق بالمرحلة الأولى، أما في المرحلة الثانية فتقوم الحامل ببعض الطقوس في بداية الأسبوع كي تتحصل على الشفاء التام حسب اعتقادات نساء المنطقة طبعاً².

فللاحتفاظ بالجنين تتوجه الحامل إلى سبعة أعين من الماء لتغمس جرّتها في كل عين كي تحصل منه على بعض الماء إلى أن تملأها فتضعها على رأسها لتعود، ولما تصل إلى مفترق الطريق تدير ظهرها، وترمي الجرّة من ورائها مرددة ما يلي:

" اظفراغ ذ التيعا، ايدبيغ ذ البيع والشرأ."

بمعنى: رميت الجن التابعة وأتيت بالبيع والشراء

" اظفراغ ذ التيعا، ايدبيغ ذ الشفا والدوا"

بمعنى: رميت البلاء وتحصلت على الشفاء والدواء³

تعود إلى بيتها ثم تقصد سبعة بيوت من جيرانها وتطلب من كل بيت شيئاً ما: تين مجفف، وقمح وزيت وسكر..... إلخ، ثم تبيع هذه الأشياء، ويثمنها يشتري لها زوجها اللحم الذي تطلبه، سواء كان لحم الخروف أو لحم العجل، أو الديك، أو الجدي ويسمى هذا "أسفل" أي القربان.

لما يعود الزوج من عند الجزار يرمي بكيس اللحم لزوجته على أرض الغرفة فتقطع من هذا اللحم سبعة قطع وتضعها في إناء، ثم تتركها تحت ضوء النجوم لغاية الصباح الباكر تطبخ هذه القطع من اللحم، وتأخذها المرأة الحامل إلى المقبرة دون أن تنسى أخذ الحناء والماء الذي جاءت به من سبع عيون والمنجل "أمقر"، وبعد وصولها إلى المقبرة تردد هذه التعويذة السحرية:

" نبيد أمقرأنمقر التابعة أتنسنقر "

بمعنى: "أحضرنا المنجل لنقطع به التابعة ونقضي عليها".

أو: ماشي دتسمزين أرنمقر.

¹ - تعلق هذه الصرة المتكوّنة من الجاوي وبعض القطران وأوراق الذّلى وملح ونباتات مرّة جدا تسمى الحنثيث، مرنويات لمي أسير لطرّد الجنّ والشياطين فهم يكرهون هذه النباتات التي تفوح منها روائح مرّة .

² - عن المخبرة : نفسها المكان نفسه، التاريخ نفسه.

³ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

ذ التابعة أرانسنقر سومقر.

بمعنى: لا أقطع السنايل بالمنجل.

إنما أقطع التابعة بالمنجل.¹

وواضح أن هذا الطلسم السحري يجمع بين مبدأي السحر التشكيلي والاتصالي.

بعد ذلك تتناول قطع اللحم فوق إحدى القبور مرردة هذه التعويذة:

" وافي ذ سفليم أتيعا.

وافي ذ سفليم أتيعا.

وافي ذ سفليم أتيعاغ".

بمعنى: " هذا القريان لك أيتها التابعة.

هذا القريان لك أيتها التابعة.

هذا القريان لك أيتها التابعة"².

ثم تخلط الحناء بالماء وتخضب يدها اليمنى وقدمها اليسرى مرردة ما يلي:

" أدنظوغ أوكذ وين افسغلاين ألا فيو أمكن إبيطان لميثين أوكذ لحيثين".

بمعنى: "أقطع الصلة مع من يجهض أجنتي مثلما يقطع الأموات صلتهم بالأحياء"³.

ولما تهم المرأة بالرجوع ترمي الماء المتبقي إلى خلفها مجتنبه الالتفات إلى الوراء مرردة هذه

التعويذة: " اظفراغ ذ التيعا، ايدبيغ ذ الشفا والدوا"

" أدنظوغ أوكذ التيعا إديتسرسون أفالاقيو"

" أمگ إبيطان صحاب أمكاناغ أوكذ الدونيث"

بمعنى: رميت البلاء وتحصلت على الشفاء والدواء

أقطع الصلة بالتابعة التي تجهض أجنتي

¹ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

² - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

³ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

مثلما يقطع أصحاب هذا المكان صلتهم بالدنيا¹.

وبهذا ستحتفظ المرأة الحامل بكل طفل تحمله دون مشاكل في معتقدات أهل المنطقة. والتظاهر بالتخلص من هذا المخلوق الأثيري "التابعة" من خلال هذه التعاويذ السحرية التي تهدف عن طريق التمثيل إلى ضمان القضاء الفعلي عليها، ويرفق هذا التمثيل بتقديم القران. وربما كانت هذه التابعة هي نفسها العفريئة التي تدعى "لاماتشو"، والتي كانت المرأة السومرية الحامل تقدم لها قربانا كي لا تؤذي جنينها².

يقال إن المرأة الحامل في خطر الموت منذ دخولها الشهر السابع لغاية مرور أربعين يوما بعد وضعها، وتحذر المرأة الحامل من الإطلال من النافذة مساءً كي لا تلتقي بالتابعة التي تنزل على النوافذ مساءً بحلول الظلام لتترصد إحدى النساء الحوامل، وهذا حسب اعتقاد أهل المنطقة طبعاً كما نجد تقريباً التحذير نفسه، أو بالأحرى التحريم في بلغاريا إذ يحرم على المرأة الحامل أن، تقف عند الباب لكن خشية أن تقاسي من آلام الوضع، وحسب جيمس فريزر فإن التجنب أو التحاشي هو أصل السحر السلبي أو التابو³.

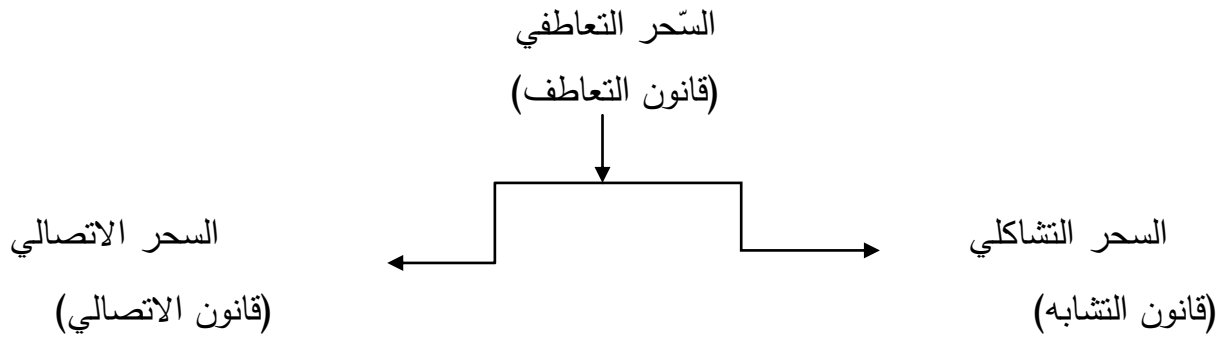
لما يحين موعد الولادة تشعر المرأة بآلام الوضع فتستدعي قابلتين من القرية لتشرفا على وضعها وفي حالة عسر الولادة تقوم القابلة بممارسة بعض الطقوس السحرية مثل حرق جلد ثعبان وتغطية رأس المرأة المشرفة على الوضع بمنديل امرأة كانت، ولادتها يسيرة ومنه فإن هذا السحر التعاطفي يعد سحراً اتصالياً حسب قانون الاتصال لدى فريزر، وقد يحسن بنا أن نضع فروع السحر في الشكل التالي⁴ :

¹ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

² - ينظر: خزعل الماجدي: متون سومر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص323.

³ - ينظر: سير جيمس فريزر: الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، ترجمة: أحمد أبو زيد وآخرون، الجزء الأول، الهيئة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1971، ص131.

⁴ - ينظر: سير جيمس فريزر: المرجع نفسه، ص108.



من هنا يظهر لنا أنّ السحر التعاطفي يتفرّع منه كلّ من السحر التشاكلي، والاتصالي .
إذا وضعت المرأة ذكراً يعلن ذلك بزغاريد تطلقها القابلتان وبعد خروج الطفل إلى النور، تقيس القابلة شبرا وأربعة أصابع¹ من حبله السري، ثم تقطعه بسكين ويخبأ هذا الأخير ليستعمله والد الطفل في ذبح الدجاج في اليوم الثالث من الميلاد ثم تحضر القابلة فتيلة لتحرق بها الجرح كي لا يحدث نزيف، وتضع له بعض الحناء² وزيت الزيتون كي لا يتعفن³.

أما إذا كان المولود أنثى فلا يعلن عنها بالزغاريد مثلما يفعل مع الصبي ، وإنما يعم الصمت الرهيب على البيت ويقاس شبر من حبلها السري قبل قطعه ثم تقام لها الطقوس نفسها بالنسبة للذكر، لكن ما لاحظناه حاليا فرض النساء المتعلّمات والمتقّفات أشياء على المجتمع تجعلها لا تقلّ مكانة عن الرجل، فبعد وضعهنّ إناثا يطلبن من النساء الزغاريد كما لو أنّهن وضعن ذكورا، وأحيانا يصل الأمر إلى إقامة حفل موسيقي وكلّ هذا لكسر الحاجز الذي أقامه المجتمع ليجعل من الأنثى أقلّ مكانة وحظوة من الذكر .

تهيئ إحدى القابلات فراش النساء المتكون من التبن، والقماش السميك، وتحزم النساء وسطها بحزام سميك وطويل فتلفه عدة مرات كي لا تتألم، ويلف المولود في أقمشة كي يوضع بجانب أمّه، وتقدم للنساء بعض الأطعمة المغذية لتسترجع عافيتها بسرعة مثل حساء الدجاج، وفطائر بالبيض المقلّي المحلي بطبقّة من العسل.

¹ - يقاس للصبي شبر وأربعة أصابع قبل أن يقطع كي يكون هذا الصبي قوي البنية ومتحملا للأثقال.

² - توضع الحناء للحبل السري كي يعمل الطفل أمه بحنان عندما يكبر

³ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه

توضع قرب فراش النفساء ووليدها بعض الأشياء مثل: الصبار ومشط النسيج¹، تقوم النفساء ولمدة ثلاثة أشهر بعد وضعها كل صباح بدهن جسم طفلها الصغير بزيت الزيتون وقليل من الملح لضمان عدم اقتراب الأرواح الشريرة من هذا الوليد.

في صباح اليوم الثالث بعد الوضع وهو موعد يوم العقيقة التي تسمى بالمنطقة "ثلاثيام" أي اليوم الثالث تأتي إحدى النساء اللواتي حضرن الولادة لتنظيف فراش النفساء، وغسل ثيابها .

إن كان المولود ذكراً يذبح الوالد دجاجة في فراش النفساء قبل تنظيفه، أما إذا كان المولود أنثى فيذبح ديكاً، ثم تأتي القابلة لتنظيف الفراش وكنس المكان، فتضع التبن المفروش، وثياب النفساء في سلة تأخذها مع قليل من الملح، وثلاث بيضات مسلوقات لتقصد الوادي، وفي الحين الذي تهيم فيه بالخروج تضع سكيناً في فمها، ومراة صغيرة على جبينها² وتردد هذه التعويذة السحرية :

"أورغليغ أورسغلاياغ الصور بوزال قراناغ" . بمعنى: " لن أسقط ولن أسقط بيننا جداراً من الحديد"³.

وكأنها بهذه التعويذة السحرية تخلق جداراً، وحاجزاً حديديين صليبين بين النفساء، والمخلوقات الشريرة التي تحاول إلحاق الأذى بها، فهذه المرأة التي حملت في السلة أشياء خاصة بالنفساء يمكن لها أن تعرض النفساء للخطر إذا ما لم تحتط وتقي نفسها بهذه التعاويذ السحرية .

فكما هو معروف في السحر التعاطفي الاتصالي يمكن للأشياء الخاصة بالشخص أن تظل متصلة به رغم بعد المسافة.⁴ وفي طريقها إلى الوادي تقشر البيض، وتأكله ولما تصل إلى الوادي ترمي التبن و فوقه الملح، ثم تغسل القماش ولباس المرأة النفساء الذي كان ملطخاً بدم النفاس وبعد إنهاؤها الغسيل تعود لببيت المولود الجديد حيث حُضِرَ لها غذاء باللحم فتتناوله، ويُقدَّم لها بعض البيض الطازج وبعض اللحم والفطائر لتأخذها لأولادها⁵.

1 - توضع الأشياء الشائكة لوخر الأرواح الشريرة.

2 - يقال إن المرأة تعكس العين الحسود.

3 - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

4 - ينظر: سير جيمس فريزر: المرجع نفسه، ص 182.

5 - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

إذا كان المولود صبياً يُخْرَجُ الأب في هذا اليوم الثالث خروفين من قطيعه ليذبحهما ويطعم الأقارب والجيران الذين يأتون للتهنئة مصحوبين بالكثير من الهدايا كالبيض الطازج والزيت ودقيق القمح الصلب وبعض الأقمشة والدواجن ونلاحظ أن هذه الهدايا ذات منفعة مباشرة في الحياة فهي أشياء تؤكل وأخرى تلبس .

ولقد عني دارسو التراث الشعبي بهذه العادة ومنهم من يرى أن تبادل هذه الهدايا يرجى منه التقاؤل، وكذلك يقصد به أن يكون معاون مادية ملموسة.

رأينا أن الوالد يضحي بكبشين من قطيعه من شدة فرحه، وفخره لأنه رزق بالذكر الذي سيكون سنده ووريثه، لكنه يكتفي بذبح خروف واحد فقط أو حتى الاستغناء عن ذلك واستبداله بالدواجن في حالة إنجاب أنثى، وهذا يثبت لنا اعتبار الأنثى أدنى مرتبة، وحظوة ومكانة من الذكر ولا يجدر بنا أن نتناسى تلك الزغاريد التي تطلقها القابلتان عند وضع المرأة الحامل ذكراً وصمتها أثناء وضعها لأنثى ونستحضر أحد أغاني ترقيص الأطفال التي تعبر صراحة عن الحزن والخيبة التي يصاب بها الأب حين يرزق بأنثى :

لَالَّة لَالَّة أَتَخْدَاشْتْ إِيَاوُنْ

إِوَسْمْ تَلُولُظْ بِيَامْ إِسْدَرْ إُولُنْ

تَرْ مِثْمَقَرْظْ يَشَرْظْ أَذْرِيْمْ ذُرَاوُنْ

بمعنى: سيدي سيدي يا حبة الفول

يوم ولدت طأطأ والدك رأسه

حين تكبرين سيشترط مهراً غالياً¹

نلاحظ هنا في البيت الثاني من الأغنية أن الأب يطاء رأسه حين يرزق بأنثى ، وكأنما حلّ به عار، أو ربما كان خوفاً من أن تجلب له العار إلى أن يزوجه فيرتاح من هذا القلق، وهذا العبء.

¹ - عن المخبرة: رمضان صليحة : 44 سنة، قرية خشابنة، بلدية ودائرة واقتون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ 2011/08/21.

تلبس النفساء في اليوم الثالث فستانا جميلا لتقوم بإخراج طفلها لأول مرة إلى فناء المنزل، ويتوجّب عليها تعليق صرة لها وأخرى لوليدها. وقبل أن تخرج تضع حليًا من الفضة على صدرها ثم تضع طفلها داخل برنوس أبيه وتقول :

" سَرَسَعَاڭْ أَيْرُنُوسْ نَبِيَاڭْ أَزْدَوِيْظُ الرِّيحِ إِيْمَاڭْ".

بمعنى: " أَلْبَسْتُكَ برنوس أبيك لتأتي بالنعم والخير لأُمك¹ .

وتوضع جفنة من الماء أمام الباب وفيها فأس ومحراث²، وربما حاجة الرجل إلى اليد العاملة لمساعدته في الزراعة هو ما يجعل النساء يقمن بهذه الطقوس لمساعدة أزواجهنّ بمنحهم الولد الذي يهيئ لأن يكون فلاحا منذ ولادته فيكون خير خلف لهذه الأسرة الزراعية، وبهذا يولد نوع من الاطمئنان على الغد الذي سيكون مزدهرا بمساعدة الابن لأبيه.

تخرج النفساء حاملة وليدها وفي يدها ثلاثة أغصان من الرمان، وفتيلة مشتعلة، ونخالة، وقليل من الملح وتضع في فمها سكيناً مرددة هذه التعويذة السحرية:

" أورغليغ أورسغلاياغ الصور بوزال قراناغ"، "تفغ ثيلفت أوكذ ميس ". بمعنى: " لن أسقط ولن أُسقط بيننا جداراً من الحديد "، " خرجت الخنزيرة³ وابنها⁴ .

بعد هذا تضع رجلها اليمنى داخل جفنة الماء ثم تدخل رجلها اليسرى في المحراث وتجره أينما خطت خطاها وهذه التصرفات كلها توحى بأن تنسب جر المحراث لابنها وكأنها تقوم بالتمثيل فهذا كله نوع من السحر التعاطفي التمثيلي، بعد ذلك ترمي النفساء الأغصان التي حملتها والتي كانت رمزا من رموز الخصوبة والأشياء التي كانت معها وتدخل بوليدها مرددة ما يلي:

"تغالذ ثيلفت أوكذ ميس " بمعنى: " رجعت الخنزيرة مع ابنها⁵ .

1- عن المخبرة: حليفة خلوجة، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

2- يوضع الفأس والمحراث كي يصبح الولد فلاحاً كأبيه .

- ترمز الخنزيرة في المعتقد المحلي إلى القوة والصلابة ولما تردّد تلك العبارة فإنّ الغرض منها هو الوقاية من العين الحسود، وقد اعتبرت في العصور القديمة حيواناً من العالم الآخر فاستعمل نابها لإبعاد الأرواح الشريرة، حيث كان الخوف من الموتى متأصلاً لدى الشعوب القديمة، وتعود الحاجة للوقاية من أعمالها السيئة ممارسة هذه الشعائر.

4- تردد النفساء هذا الكلام كي لا يصاب وليدها بالعين.

5- عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

ثم يرمى الماء الذي كان في الجفنة إلى الجامع لكي يتعلق الطفل به. ويرمى جزء آخر من الماء في الطريق الذي يؤدي إلى السوق كي يصير متسوقا بارعا وناجحا.

أما إذا كان المولود أنثى فتوضع هذه الفتاة في قطعة قماش مزركشة، وجميلة، ولا توضع في برنوس أبيها، وتمارس الطقوس المذكورة أعلاه نفسها باختلاف طفيف، وهو عدم جرّ المحراث، وعدم وضع الفأس والمحراث في جفنة الماء، و يرمى ماء الجفنة داخل المنزل وقرب الموقد كي تعشق الفتاة المكوث في البيت وطهو الطعام.

يعلق مهد المولود في اليوم السابع، ويشترط أن يعلّقه الوالد أو جدّه، فتوضع فيه أشياء مثل " رجل الديك أو الدجاجة التي ذبحت في اليوم الثالث" إذ تعلق هذه الرجل في الحبل الذي يربط بها المهد اعتقادًا بأنّ الجنّ والشياطين تخاف من الدواجن، وبالتالي سيتحصّن المولود منها، ويوضع في قاع هذا المهد قرميد¹، وقطران، ورصاص، وعجينة صغيرة فيها خميرة²، وبهذا سينام الطفل بأمان، وتطبخ في هذا اليوم مأكولات تقليدية لتوزع على الجيران، والأحباب.

إذا كانت المرضعة قليلة الحليب فإنّها ستقوم بإحدى الطقوس التقليدية كي تحصل عليه، ويتمثل في سرقة الخرشوف من ثلاث مزارع، ولما تطبخه تذهب به إلى العين لأكله هناك، وتغسل ثدييها في تلك العين ليأتيها الحليب بغزارة، وفي حالة عدم تواجد الخرشوف فإنّ زوجها سيشتري لها ثدي بقرة لتطبخه وتأكله في العين وسيأتيها الحليب لإرضاع ابنها.

لا تستحم المرأة إلا بعد مرور أربعين يوما على وضعها وهناك اعتقاد راسخ موضّح بأنّه كلما تراكمت الأوساخ على جسم المرأة كلما تراكمت طبقة الشحم في جسم الوليد، فيصير سمينا وجميلا.

تهيئ المرأة صباح يوم الأربعين إناءً فيه ماء ساخن لتستحمّ به، وتشعل شمعة وتضع على الأرض ملحًا، وحليا من الفضة لوقاية نفسها من الأرواح الخبيثة التي توجد في المجاري المائية. بعدما تفرغ من الاستحمام تتناول بيضا مسلوقا، وتوزع بعض الخبز على أهالي القرية وكأنّها بهذا

¹ - يوضع القرميد كي يكون الطفل قوي البنية.

² - توضع هذه العجينة كي ينمو الطفل بسرعة مثلما تطلع الخميرة.

الاستحمام تعاود بداية حياة جديدة بعد نجاتها من الموت الذي ظلّ يترقبها منذ دخولها الشهر السابع من حملها.

(3) الختان :

يعيش الطفل منذ ولادته في عالم النساء إلى غاية وصوله مرحلة الختان حيث يتم فصله عن المجتمع النسائي الذي يعيش فيه ليندمج في عالم الصبيان والرجال.

حدد سن الختان في منطقة البحث بين ثلاث سنوات وخمس سنوات وهكذا كي لا يخجل الطفل من إبراز عورته، فإن كبر ودخل مرحلة المراهقة فإنه سيشعر بخجل رهيب، وتتشكل لديه عقدة نفسية من إظهار عورته للآخرين، بالإضافة إلى المخاوف الكثيرة من عملية الختان على عكس الصغير الذي لا يشعر بأي حرج وقد تحقّقنا من هذا الأمر خلال استجواب أجريناه مع مجموعة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الست إلى العشر سنوات، وقد ذكر لنا الطفل عبد النور الذي ختن في السابعة من عمره أنّه شتم وسبّ الطبيب الذي كشف عن عضوه الذكري لإجراء عملية الختان، كما ذكر لنا الطفل رؤوف البالغ من العمر عشر سنوات أنّه لا يتذكّر شيئاً عن عملية ختانه التي تمّت في الثالثة من عمره .

فيما مضى قبل الاحتفال بالطفل المختون تسبق تحضيرات للحفل فيشارك في هذا التحضير كلّ من الأقارب، والأصدقاء، والجيران، إذ يجمع الرجال الحطب على بغالهم، وتتكلّف النساء بتنقية القمح. فيجتمعن حول كومة القمح المرغوب تنقيته وهنّ سعيدات فيزغردن، ويغنين فتقوم الجدّة لتضع خلخالاً من الفضة¹ في وسط كومة القمح، وتشعل فتيلة² بجانب الخلخال.

بعد الإنهاء من هذا تتجه الجدّة، أو ربة البيت في أبهى حلّة لها متحلّية بحلي من الفضة واطعة على منديلها بعض غصينات الحبق، لدعوة الجيران، والأقارب والأصدقاء لتناول طعام الوليمة الذي سيقام على شرف الطفل، ثم يتولى الجدّ أو والد الطفل بدعوة الرجال.

¹- يوضع خلخال الفضة كي يصير الطفل متسوقاً بارعا وموثوق فيه من طرف الجميع فيحصل على ما يريد بدون عناء.

²- تشعل الفتيلة اعتقاداً منهم أنّها ستضيء للطفل دربه وحياته وليسهل عليه اتخاذ القرارات.

لمّا تفرغ الجدّة من الأعمال المسندة إليها تحضّر صرّة لحفيدها متكونة من "حبة الجاوي، وقطعة من الفحم وثلاث حبات من الشعير"¹.

في مساء ذلك اليوم يجتمع المدعوّون في بيت الطفل حيث يقدم له طبق الكسكس بلحم الخروف، وفاكهة الموسم وبعد تناول الطعام يخرج الجميع إلى فناء المنزل لحضور مراسيم وضع الحنة للطفل. فيخرج برفقة أبيه بعد أن يلبس طربوشاً أحمر ملفوفاً بمنديل من حرير أحمر عليه حلي فضيّة، وعباءة بيضاء علقت فيها قطعة نقدية، ومفتاح والصرّة التي صنعتها له جدته ويلبس حذاءً أبيض اللون.

يلتف الجميع حول الطفل لمشاهدة طريقة وضع الحناء التي تحضر من طرف الجدّ، أو العمّ الأكبر، حيث يضع حليّاً من الفضة داخل الصّحن الذي ستفرغ فيه كيساً من الحناء، وبعض السكر والملح وسبع حبات من القمح ويخلطه بالماء.

تزرع النساء ويغنين أغاني خاصة بوضع الحناء فيقوم الجدّ بوضع ثلاثة رؤوس أصابع من الحناء بين كتفي الطفل ثم يضع له قرصاً صغيراً في كفه اليمنى، فيطلق البارود ويفرش منديل وسط الفناء لتوضع فيه النقود المهداة للمختون وتسمى هذه العملية "ثاوسا" ولا يحق لأحد مسّ دينارٍ واحدٍ من هذا المبلغ إلّا بعد مرور ثلاثة أيام وتقدم هدايا أخرى كالبيض والقماش.

في صباح اليوم التالي يخرج حسان مزين البردعة بزرية مزركشة فيركبه الأب، وابنه ليتوجها برفقة العازفين، وبعض الأهل لمقام الولي الصالح² سيدي سعدو يلقاسم²، وعند الوصول إلى المقام تتوقف الفرقة الموسيقية عن العزف احتراماً لمقام الولي الصالح، فينزل الأب وابنه من ظهر الحصان ليقدّما مبلغاً³ من المال إلى صندوق التطوع .

¹- عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

²- يتواجد هذا الولي الصّالح في أعلى مكان من قرية إحديقاون بوادة، بلدية ودائرة واقتون، ولاية تيزي وزو.

³- يعتقد أن هذا المبلغ الذي يقدمونه لصندوق التطوع سيحميهم من الشرور.

لَمَّا يرجعون من مقام الولي الصالح يأتي من يعرف بـ " لَمُعْلَمٌ"¹، أي الحاجم ليختن الطفل فيهيئ الجدّ فوطه من الحرير لتغطية الطفل. قبل عملية الختان يجلس الطفل على بردعة ثم يأتي الجدّ ليمسك ذراعي الطفل من وراء كي لا يتحرك. فيقوم " لَمُعْلَمٌ" بتسليّة الطفل كي لا يخاف وفي هذه الأثناء تقوم الفرقة الموسيقية بعزف ما يسمى " أئويّا أومظهاّر"، أي "دور المختون" وتسمى كذلك لأنها الممرّة الأخيرة التي يعزفون فيها لهذا الحفل، ويختارون هذا الوقت بالذات لشدّ انتباه الطفل الذي سيركز على الموسيقى التي تعزف في الخارج فلا ينتبه لعملية الختان.

يمسك " لَمُعْلَمٌ" سكينه حادة تشبه سكينه الحلاقة ليقطع القلفة الزائدة، وفي هذه الأثناء ترزرد النساء، ويطلق البارود. وتضع والدّة الطفل سكينه في فمها، ثمّ رجلها اليمنى في المحراث داخل جفنة ماء منتظرة خروج ولدها من عند " لَمُعْلَمٌ". بعد أن يقطع " لَمُعْلَمٌ" القلفة يرش العضو الذكري للطفل بزيت الزيتون، كي لا يتعفن الجرح، وتوضع القلفة المقطوعة في قطن ويضاف إليها بعض الملح والحناء، ثم يخفيها داخل قصبه، ويقدمها لجدّة الطفل التي ستخفيها في العمود الوسط للبيت لأنه لو حصل، وأن وقعت القلفة في أيدي الأشرار فسيستعملونها لسحر الطفل، وبالتالي سيتعرض لمكروه ثمّ تحضر الجدّة قدحاً من البخور الذي يتكون من الدّقل، وقليل من الجاوي، ودم أضحية العيد ليخير به الطفل بعد الختان، ويقوم الجدّ بلف الفوطه الحريريّة فوق خصر الطفل ليستره عن أعين الحضور.

ويؤخذ إلى البيت حيث يجد أمه في أبهى حلّة لها أمام عتبة البيت بانتظاره ممسكة في يدها سبعة أغصان من الرّمان، وثلاث فتيلات، وقليل من نخالة القمح، وبعض الملح والماء، الذي ترش به الحضور وتردد هذه التعويذة " أرغليغ أرغليغ أرسغليغ الصوربوزال قرناغ".
بمعنى: " لن أسقط ولن أسقط بيننا جداراً من الحديد"².

يدخل الطفل إلى الغرفة التي سيمكث فيها، وقد وضعت له أمّه تحت فراشه بعض الحبوب كالقمح، والفل، والحمص، والجلبانة، وأغصان الرمان، وستزرع هذه الحبوب في فصل الخريف كي تثمر، وهي رمز للخصوبة والعطاء، أمّا أغصان الرمان فلكيّ تصوير خدود الطفل مُحمرّة مثل

¹- لَمُعْلَمٌ: رجل مختص في تختين الأطفال ولا ينتمي للفرقة الموسيقية.

²- عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

الرمان، ويشترط في الزغرودة الأولى المطلقة في غرفة الطفل أن تزغردها فتاة صغيرة، أو شابة بكر كي لا يقترن هذا العريس المنتظر إلا بفتاة عذراء فلا يقترن بأرملة أو مطلقة.

بعد إدخال الطفل إلى الغرفة، يدخل الجميع لتناول القهوة والحليب مع البيض والمقروط.

ابتداءً من ليلة هذا اليوم ولمدة ثلاث ليالٍ متوالية تسهر والددة الطفل وجدته عليه حرصاً على سلامته إذ يعتقد بأن عنكبوتاً¹ ستأتي لامتصاص دم هذا الطفل، وإن حدث وفعلت العنكبوت هذا فإن الطفل سيموت، ولهذا تترقب الجدّة والوالدة هذه العنكبوت كي تقتلنها، وتقام بعض الطقوس لطردها مثل أن يوضع لجام بين رجلي الطفل طوال ثلاث ليالٍ، وتُحدّث ضجّة بهزّ اللجام لأن العنكبوت تخاف الضجيج فتهرب حين تسمع ذلك².

في صباح اليوم الثالث تُحمّم الأم ابنها فتضع في قدح الماء كلّ من القرميد³، والبيض، والفضة، ثم تغسل عباءته، وترمي بالماء إلى شجرة الرّمان، وفي هذا اليوم تذبح دواجن لإطعام الأقارب ويسمى هذا "أَعَاوُذُ إِنْفَاوُنْ" بمعنى: "إعادة إطعام الضيوف"، ويقدم للطفل طبق من اللحم، والبيض المقلي مع العسل كي يشفى بسرعة، ويعود للعب والركض، ولا يحقّ للأم أن تغسل له بعد ذلك لأن عضوه الصغير قد اتخذ شكلاً جديداً، وسيظهر الطفل على أنه رجل لأنه سيقضي معظم وقته مع الذكور.

(4) الموت:

يعتبر الموت أكثر من نهاية بل مرحلة يجدر تحضيرها بكامل العانية لكي يغادر المتوفى عالم الأحياء وحيداً وسعيداً.

إنّ الموت إذن طقس عبور يمكن أن ينطوي على مراحل مختلفة، من تطهير الأقارب والأغراض التي كان يملكها الميت، إلى الانفصال التام عن عالم الأحياء. من اللائق أن يحترم عبور هذه المراحل، لأنّ توهان الموتى يعتبر في مجتمعات كثيرة كنزير شؤم، إنّ القدر النهائي للمتوفى يتعلق بظروف موته، أو بوضعه الاجتماعي، أو باعتبارات أخلاقية.

¹ - يأتي العنكبوت، وليس العقرب أو الصرصور، لأنها معروفة بحبها الشديد لرائحة الدم فتتبعه حتى تصل إلى مكان امتصاصه.

² - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

³ - يوضع القرميد في ماء استحمام الطفل كي يكون قوى البنية وتوضع الفضة، والبيض كي تصفو حياته.

لا تتعادل كل أشكال الموت بالنسبة إلى المصريين القدامى، كان الموت يأتي في نهاية حياة دامت مئة وعشرة أعوام. أحبوا الحياة وكان من المهم لهم أن يستمروا في التمتع بها حتى بعد الممات. كان المصريون غير منشغلين بالموت، بل كانوا يستغرقون وقتاً طويلاً في الإعداد لما بعد الموت، ودخلهم العالم الآخر. ولقد اعتقد المصريون أن المومياء هي مكان الروح والقرين والفطرة. ولذلك فقد طور المصري القديم طريقة التحنيط لكي يحافظ على الجسد سليماً، ويحفظ ملامحها الجسمانية لكي تتعرف عليه الروح، لأن تدمير الجسد قد يعنى فناء الروح¹. (انظر لفهرست الصور: الصورة رقم 15 و 16)

بالمقابل تعتبر شعوب أخرى في إفريقيا أن كل موت يخفي جريمة، وأنه يجب الشروع ببحث إثنوغرافي معمق لمعرفة المتعدي على المتوفى في اليونان القديمة، كان يحكم على المتوفين قبل وفاتهم، والمنتحرين، والمحاربين، والقتلى بأن يتوهوا على الأرض إلى أن يمضي عدد السنين التي يجب أن تصل إليها حياتهم. كان موتى الحرب، وضحايا القربان والنساء النفوس يذهبون إلى مقر الشمس عند المكسيكيين بينما يذهب الذين رقدوا بشكل طبيعي إلى "مكتلان" (الراحة) مهما كان وضعهم.

كان الإنكا يعتقدون أن الشعب العادي والأسايد ينفصلون عن بعضهم في الأبدية كما كانوا عليه في حياتهم بالنسبة إلى الصينيين كانت أهمية الجنائز تتغير باختلاف سن المتوفى لم يكن للأطفال الحق بأي طقس خاص، عديدة هي إذن طقوس التطهير التي يجب أن تخضع لها عائلة المتوفى ومحيطه بشكل عام.

حاولت بعض الشعوب تخليص الجثة من التلف والمثل الأشهر هو مثل المصريين القدامى الذين كانوا يمارسون التحنيط معتقدين أن العناصر العديدة التي كانت تؤلف الكائن الحي والمتناثرة في لحظة الوفاة يجب أن تجمع ثانية في الجسد لتسمح له بعيش حياة جديدة كما رأينا سابقاً.

وتعتبر الذخائر بهيأة العظام هي وسيلة لحفظ جزء مادي من الميت لغايات متعددة تبدأ من حماية الحياة إلى الوظيفة التذكيرية، وغالباً ما يشكل الرأس موضوع عنائه خاصة نظراً إلى صفاته

1- ينظر: بيير بونت: المرجع السابق نفسه، ص 881.

المختصة كما هي الحال عند سكان المكسيك (غينيا الجديدة) حيث كانت الجماجم المعاد تشكيلها توضع في منزل البشر، وتشارك في طقوس المسارة والخصوبة. في الغابون والكونغو كانت الجماجم والعظام تحفظ في صناديق ذخائر من خيزران أو قشرة¹. (انظر لفهرست الصور: الصورة رقم 17).

إذن فالموت آخر مرحلة انتقالية يمر بها الإنسان عبر مسيرته الحياتية، فهو سنة الحياة البشرية ولا يمكن لأحد أن يتعدى أجله.

تفارق الروح الجسد إثر تعرض الإنسان للموت وتختلف الحالات التي تفارق فيها الروح الجسد، فقد تفارقها بعد سكتة قلبية، أو حادث مفاجئ، أو بعد مرض يبقيه طريح الفراش لمدة زمنية معينة وفي هذه الحالة تهيب العائلة نفسها لتلقي هذا الحدث الذي سيهز كيائها فتقوم النساء بقتل الكسكس، وتجفيفه وتنظيف البيت، وتهيبته لاستقبال المعزين.

بعد وقوع حدث الوفاة في منطقة البحث ينتشر الخبر عن طريق رجُل يصعد لأعلى قمة في القرية لينادي أهالي القرية، وينقل إليهم هذا الخبر المحزن ليتوجهوا إلى بيت الفقيد لمواساة أهله. يحضر رب أسرة الفقيد كمية من اللحم لتطهى مع الكسكس الذي سيقدم للمعزين، وجماعة "لُخَوَان"، وعلى أهل المتوفى أن يحضروا كل المأكولات الحلوة، واللذيذة لجماعة "لُأَخَوَان" (كفاكهة الموسم، والتمر، والشاي، وكل الحلويات).

يبقى الميت ليلة واحدة في منزله، وفي اليوم التالي قبل غسله يتصدق أهل بيته بقفة مملوءة بكل ما يلزم لتحضير وجبة طعام لعائلة كاملة (سكر، وقهوة، وزيت، وبصل، وجزر، و بطاطا، وحمص، وملح، وتوابل، ولحم مملح، ومجفف، و سميد، وبعض التمر، والفواكه). ويُحَرَّصُ على أن تطهى هذه الوجبة في الحين الذي يُتَصَدَّقُ بمستلزماتها، وتدعى هذه الصدقة " إِمْنِسِي أُوژكاغ" بمعنى : "عشاء القبر"².

¹ - Encarta 2009 .

² - عن المخبرة : فرحات ذهبية، المكان نفسه، بتاريخ 2011/8/21.

يعتقد فريق من النّاس أنّ هذه الصّدقة ستخفف من ذنوب المتوفى، بينما يعتقد فريق آخر بأنّها ستكون مؤونة يجدها المتوفى ليلة دفنه، وهنا يتجلّى لنا إيمان هؤلاء النّاس باستمرار حياة الأموات بطريقة عادية بعد وضعهم تحت التراب.

قبل غسل الميت توضع بعض الأشياء على جبينه مثل قطع النقود، أو حلي من الفضة، أو الذهب لتجمع فيما بعد كتذكّار، ويقال إنّ الميت يمنح تلك الأشياء بركته، ويأتي أهل الميت بغصن زيتون يقيسون به ذراع الميت رجلاً كان، أو امرأة ليحتفظ به أيضاً للبركة.

يجلس أهل الميت في الغرفة التي مدّد فيها ليبيكونه، ويرثونه ولما يصل الغاسلون، أو الغاسلات يؤخذ الميت إلى غرفة أخرى لغسله، وكفنه، ويُحرّص على الاحتفاظ بالماء الذي غُسل به الميت، وبكل مخلفات الغسل من صابون، وإبرة وخيط ليرمى فيما بعد بعيداً عن أعين النّاس، لأنّه في حالة وقوع بعضه في أيدي الأشرار، سيستعملونه للسّحر وجعل حياة الآخرين جحيماً مثلما يُعتقد.

بعد الغسل، والكفن يؤتى بخبز يدعى "أغروم أقوران"¹. بمعنى: "الخبز الصلب"، ويقطع فوق بطن الميت، ويأكل الجميع من هذا الخبز وطبعاً يقال إنّ هذا الخبز سيجده الميت مؤونة في قبره. عند النداء لإخراج الميت يمرّر قدح من الماء على كلّ من بكت على الميت لتغسل عيناها².

يخرج الميت من بيته للدفن فتلجأ إحدى العاقلات إلى إشعال ثلاث شموع، أو ثلاث فتيلات في المكان الذي مدّد فيه المفقود ثم تنثر الملح على المكان نفسه بعدها يُقلب على الأرض الطاجين الذي طبخ فيه الخبز، ويقال إنّ قلب الطاجين له علاقة بعدم عودة الموت لأهل ذلك البيت لمدة طويلة، وبعد الدفن وانصراف النّاس يتم تحضير المأكولات من طرف الجيران، والأقارب لتقدم لأهل الفقيد مثل : الفطائر، والبيض المسلوق، وطبق الكسكس مرفوقاً بلحم الدجاج، والخضار... إلخ من الأطعمة.

¹ - هو خبز مصنوع من السّميد والزيت والملح والماء ويشترط أن يكون دائري الشكل ويسمى بأغروم أقوران لأنه صلب وليس طرياً.

² - يعتقد أنّ من تبكي بحرقة على الميت ستفقد دموعها إلى الأبد كفقدها لهذا المتوفى، ولهذا تسقي عيناها بالماء لتعيد الحياة إليهما قبل خروج الميت.

يأتي الأقارب و الأصدقاء كل مساء للمواساة والمؤانسة، ويحرم إطفاء نور الغرفة التي خرجت فيها روح الفقيد لمدة أربعين يوماً اعتقاداً منهم أنّ روح الميت ستظل متزّدة كل مساءً على أهل بيته لتطمئن عليهم إذ تقول لنا إحدى المخابرات :

" تَقْنِيْلَتْ أَتْخَامْتْنِي أَندَا يُفْغُ الرُّوحُ الْمَفْتُ الْأَقْشِي أَشْخْصِي أَلْمَا آدَانُ رُبْعِيْنُ يَوْمٌ"¹ .

بمعنى: "الأقشي"² أو يحرم إطفاء نور الغرفة التي خرجت فيها روح الميت لغاية مرور أربعين يوماً على وفاته".

يتوجه أهل الميت برفقة الأقارب، والجيران في صباح اليوم الثالث بعد الدفن لزيارة قبر المرحوم محملين بمختلف أنواع المأكولات والتمور، ومعهم الوعاء الصغير الذي كان يسكب به الماء أثناء غسل المرحوم ليملاً ماءً ثم يوضع في قبره. ويقال إن الميت سيتمكن من رؤية عالم الأحياء عن طريق ذلك الإناء لهذا يقترب كل من يزور هذا القبر إلى الإناء ظناً أنّ هذا الإناء بوابة تصله بالميت فنجدته يدمدم إلى هذا الإناء كلام يريد إيصاله إياه³، ونجد مثل هذا التصرف

وبتوجب على رب أسرة الفقيد في يوم الأربعين بعد دفن الميت أن يشتري ثورين لإطعام أهل القرية كلها، ولا يهتم إن كان فقيراً أو غنياً حيث تقول لنا إحدى المخابرات:

" أَسَاعِي أَذْيَقْطُو سُوْذَرْمِيْس، أَقْلِيلْ أَذْيَرْهَنْ أَكَالِيْس، مَاْذُوِيْنُ أُرْنَسْعِي لَاْغْ أَكَالْ لَاْغْ أَذْرِيْمْ لَا وَالِي أَتْسُنْجَمَاعْ نَدَارْتْ أَتْسُقْلْ أَئِيْنُ إِلاَقْنْ".

بمعنى: " يشتري الغني من حرّ ماله، ويرهن الفقير أرضه، وتقدم تطوعات من أهل القرية للمعدم الذي لا يملك لا أرضاً ولا مالاً"⁴.

¹ - عن المخبرة: خليفة خلوجة ، المكان نفسه، بتاريخ 2008/03/28.

الأقشي: كلمة تعني المنع بصرامة أو التحريم لأن من يفعل عكس ما يرد بعد هذه الكلمة سيتعرض لمكروه أو خطر أكيد

² - حسب اعتقاد أهل منطقة البحث .

³ - عن المخبرة: فرحات ذهبية ، المكان نفسه بتاريخ 2011/07/15.

⁴ - عن المخبرة: خليفة خلوجة ، المكان نفسه بتاريخ 2008/04/25.

ومن خلال هذا نستخلص أنه لا إعفاء لأحد من شراء الثورين لإطعام المدعويين بلحمهما في مناسبة الأربعين¹، وسنتعرض لأدق التفاصيل المتعلقة بظاهرة الوفاة في الفصل الثاني من الباب الأول لهذا البحث.

(5) أوجه الائتلاف والاختلاف بين طقوس دورة الحياة:

بعد عرضنا الموجز للطقوس المرافقة لكل مرحلة من مراحل دورة الحياة يمكن لنا أن نقرر مواطن الائتلاف والاختلاف فيها ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية :

ففي مواطن الائتلاف نلاحظ ما يلي :

- * - يذبح ثورين في حفل الزواج من قبل أهل العريس كما يفعل ذلك أيضا عند الوفاة في مناسبة الأربعين ويقدم في كلا المناسبتين الكسكس المرفق باللحم والخضار .
- * - مطابقة مكونات الصّرة التي تصنع للعريس والعروس من طرف الحماة مع مكونات الصّرة التي تصنع للطفل المختون والتي ذكرناها سلفا .
- * - مطابقة طريقة وضع الحنّاء لكلّ من العريس والطفل المختون .
- * - ممارسة النفساء التي تخرج وليدها في اليوم الثالث لفناء بيتها لطقس جرّ المحراث الذي تضع فيه رجلها اليمنى، وممارسة نفس الطقس من قبل العروس التي تدخل بيت الزوجية يوم الزفاف.
- * - يهيأ الفراش للطفل المختون بنفس الطريقة التي يهيأ بها للعروس بحيث توضع مختلف الحبوب تحت فراشهما، وليس لسبب إلا للخصوبة وإكثار الذرية .
- * - جلوس الطفل أثناء ختانه على بردعة الحمار وجلوس العروس عليها أيضا أثناء وضعها للحنّاء .
- * - إشترك الطفل المختون والمرأة الحامل في نفس الخطر وهو الموت الذي يترصدهما مع إختلاف طفيف في كون خطر موت الطفل المختون قصير المدى (ثلاثة أيام) بينما خطر موت المرأة الحامل طويل المدى (منذ دخولها الشهر السابع لغاية مرور أربعين يوما بعد الوضع).

¹ - بعد مرور أربعين يوما على وفاة المرحوم يقوم أهله بدعوة أهل القرية لإطعامهم بطبق الكسكس ولحم الثور، ويستدعي الإخوان للذكر.

*- يرمى الماء الذي غُسل به فراش العروس الذي سال عليه دم فضّ البكارة ليلة الدخلة إلى شجرة الرّمان وكذلك يفعل بالماء الذي غسلت به عباء الطفل المختون المملّخة بالدم. ويمكن تلخيص ذلك في الشكل التالي:

الزواج ← دم البكارة ← فراش أبيض ← الشطف بالماء ← شجرة الرمان
(أول اتصال جنسي للفتاة)

الختان ← دم الختان ← عباة بيضاء ← الشطف بالماء ← شجرة الرّمان
(قطع القلفة :تهيأة العضو الذكري للحياة الجنسية.)

يمكن القول إنّه يمكن أن يكون هذا الدّم المخلط بالماء بمثابة قربان يقدم للتربة التي هي أرض شجرة الرّمان للحصول على الذرية إذ لا يتم ذلك إلا بعد مباركة شجرة الرّمان .

*- تضع النّفساء عند استحمامها في اليوم الأربعين حليا من الفضة قرب ماء الاستحمام ويُفعل نفس الشيء عند استحمام الطفل المختون في اليوم الثالث بعد الختان .

*- يوضع الملح والحناء لكل من القلفة التي تقطع من ذكر الطفل أثناء الختان وللحبل السري بعد الولادة ويخبّئان جيّدا خوفا من وقوعهما في أيدي الأشرار.

*- تحمل الأم عند استقبالها طفلها المختون أمام الباب ثلاثة أغصان من الرّمان كما تفعل هذا أيضا عند إخراجها لوليدها أول مرة لفناء المنزل في اليوم الثالث بعد الميلاد.

*- يرمى الماء الذي كان في الجفنة عند خروج الأم مع طفلتها لأول مرة للفناء إلى الخوابي وكذلك نفس الشيء بالماء الموضوع في الجفنة أثناء استقبال الحماة لكنتها .

*- يقدم الطعام المرفق باللحم في اليوم الثالث من ميلاد الطفل كذلك يفعل نفس الشيء عند اختنانه.

*- نلاحظ تقدّما للطعام المرفق باللحم في كل من الجنازة والعرس.

بعدما قدمنا ما ائتملت فيه طقوس دورة الحياة نعرض الآن الموطن التي تجلى فيها الاختلاف في هذه الطقوس:

*- تردد في الأفراح ما يسمى ثيوغارين وما يسمى في الوفاة أنكار ناث لاختارث.

- *- يكون الدعوة للناس في الحفل دعوة خاصة بينما في الوفاة تكون عامة دون استثناء.
- *- نلاحظ اختلاف في طريقة وضع الحناء بالنسبة للعريس والعروس ففي الحين الذي توضع ثلاث نقاط من الحناء بين كتفي العريس يوضع نفس العدد من نقاط الحناء في قدمي العروس.
- *- الاختلاف التام في المكونات التي المصنوعة للعريس مع مكونات الصرة المصنوعة لعروس من قبل أمها حيث تتكون صرة العريس المصنوعة لهما من قبل والذته من (قطعة من الجاوي والفحم وثلاث حبات شعير) في الحين الذي تتكون صرة العروس المصنوعة لها من طرف والدتها من (سبعة رصاصات، قطعة من جلد الثعبان ، حناء، تمر، قرنفل، قطعة من الجاوي وقطعة فضية)
- *- نلاحظ أيضا اختلاف في عدد الأشياء التي تحملها النساء لما تخرج مع وليدها لأول مرة نلاحظ أيضا أنه رغم كون الأشياء التي تحملها النساء يوم خروجها مع وليدها لأول مرة مطابقة تماما لأشياء التي تستقبل بها الأم وليدها المختون إلا أن هناك اختلاف في عددها ففي الحين الذي تحمل فيه النساء ثلاثة أغصان من الزمان وفتيلة مشتعلة نجد الأم تستقبل وليدها المختون وهي حاملة سبعة أغصان من الزمان وثلاث فتيلات.
- كما نلاحظ حضور نفس العبارة في كلتا الحالتين " أورغليغ أورسغلاياغ الصور بوزال قراناغ" بمعنى: " لن أسقط ولن أسقط بيننا جدار من الحديد " وغياب عبارة "تفغ تلفث أكذ أميس" عند الحالة الثانية.

6) أهم الطقوس المكرورة في دورة الحياة:

سنحاول من خلال الجدول التالي إبراز الممارسات والتعويذات التي رأيناها تتكرر في المراحل الأربعة لدورة الحياة ، وستكون علامة (x) الموضوع في كلّ خانة إشارة إلى ممارسته في تلك المرحلة :

الممارسات والتعويذات المتكررة	الزواج	الميلاد	الختان	الوفاة
اشتعال الفتيلة (الشموع)		×	×	×
تقديم الطعام في اليوم الثالث		×	×	×
طقس وضع السكين في الفم		×	×	
الاحتفال بالأربعين		×		×
"أورغليغ أورسغلاياغ الصور بوزال قراناغ " بمعنى: " لن أسقط ولن أُسقطُ بيننا جدار من الحديد "		×	×	
نثر الملح على الأرض		×		×
وضع الحناء	×		×	(في حالة وفاة شاب أعزب أو عزباء)
قلب الأواني	يقلب الصحن الذي حضرت فيه الحناء لغرض إبعاد وقت الحمل			يقلب الطجين الذي حضر فيه الخبز لإبعاد الموت

ويجدر بنا قبل ختم هذا الفصل أن نبرز أهم النقاط التي لاحظناها تتكرر في طقوس دورة الحياة و نحاول فهم السبب الذي جعلها كذلك في الأكثر من مناسبة.

تتكرر في الميلاد والوفاة على سبيل المثال فكرة الاحتفال بالأربعين، ففي يوم الأربعين من الميلاد يحتفل بنجاة الأم من الموت لأن القبر سيغلق في هذا اليوم، بالتالي تستعيد حياتها التي كانت على المحك منذ دخولها الشهر السابع من حملها لغاية مرور أربعين يوماً بعد الوضع، ويعتبر الاحتفال باليوم الأربعين عند الوفاة بمثابة التوديع الأبدي لروح الميت لأنها لن تعود الرجوع إلى هذا العالم الذي رحلت منه، فبعد هذا الاحتفال ستكتشف أن لا وجود لها في عالم الأحياء ومكانها الفعلي في العالم الآخر. حيث ستبدأ حياتها هناك منذ هذه الليلة التي ستهدى لها فيها صدقات وتسبيحات من طرف الإخوان.

ينفصل الولد عن عالم النساء لما تقرّر العائلة ختنه فبعدما يقام ذلك الاحتفال التكريسي الذي تكون فيه مراسيم وضع الحنّاء لهذا الطفل نفسها التي تمارس للعريس في حفل زواجه كما لا نجد أي اختلاف في مكونات الصرّة التي تقدم لكليهما منه فهذا الطفل صار في نظرهم منذ هذه اللحظة رجلاً، أو عريساً منتظراً تُعنى به كل العناية ليصير مكتمل الرجولة في المستقبل، ولن يتم هذا إلاّ بعد قطعه القلفة الزائدة التي تعتبر بمثابة دفع ضريبة للتنويع بالزواج في المستقبل لأنه لا زواج لمن لم يختتن.

يظل الطفل في خطر الموت منذ اللحظة التي تقطع فيها القلفة إلى غاية مرور ثلاثة أيام فخطر النزيف الحاد يظل محتملاً، وخطر قرصة العنكبوت المترصدة له أيضاً يظل وارداً إلى أن يكتمل اليوم الثالث فينتقل بسلام إلى حياته الجديدة التي تنتظره في عالم الصبيان، والرجال ليندمج معهم بعد ذلك أي بعد شفائه.

جاء في الغصن الذهبي لفريزر أن جزءاً من روح الإنسان يسكن في عضوه الذكري فبعدما تفصل عنه القلفة يظل جزءاً متصلاً به ربما هذا الاعتقاد هو الذي جعل "سفورة"¹ تقطع القلفة لتكون بمثابة فدو، وجعل الفنانين المصريين يقدمونها كقربان للإله الفرعوني، وجعل جدّاتنا يخفين القلفة

¹ - سفورة : زوجة سيدنا موسى عليه السلام.

داخل العمود الوسط للبيت لعدم تعرضها للسرقة من طرف الأشرار الذين سيستخدمونها لأعمال سحرية تضرّ بالولد في مستقبله حيث تقول أحد المخبّرات: " مَا بِيْنْتَأَسْ تَشْلُعُ أَنْيْ بَقَا الْآخِيْرُ أَفْزُوجِيْسْ ". بمعنى : "إذا سرقت القلفة فوداعاً لزوجاه أي لن يتمكن من ممارسته الحياة الزوجية ولن يرزق بالأولاد" ¹.

ولأنّ من مبادئ السحر الإتصالي أنّ الشيء الذي كان متصلاً بشخصٍ في وقت ما يظل متصلاً به ولو بعد وقت طويل ومن مكان بعيد فإنّ هذا الحرص الشديد على إخفاء القلفة أمر لا غرابة فيه.

¹ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، بتاريخ 22/04/2008.

الفصل الثاني

الأشعار والطقوس الجنائزية

- 1- الاحتضار وتوديع الحياة
- 2- إعلان الوفاة والسهر على الميت
- 3- بكاء الميت وتجهيزه
- 4- حمل النعش ودفن الميت
- 5- استحضار الأرواح
- 6- مناسبة الأربعين
- 7- الإخوان والأخوات

إن إدراك الإنسان وحده للموت من بين الكائنات قد أنتج منذ الأزل تصورات، وممارسات هائلة التنوع ظلت تسافر من حقبة إلى حقبة عن طريق الذاكرة الجماعية حاملة معها بصمة كل جيل ليقدّم فنًا خصبًا من مخياله معبرًا عن آماله، وطموحاته ومخاوفه، ولأنّ الموت أكثر ما أخاف وحير هذا الإنسان فإننا سنحاول أن نجيب عن التساؤل التالي : كيف عبر المخیال الشعبي عن الموت من خلال فنونه القولية، وما هي الطقوس التي قام بها لرد شرّه؟.

1- الاحتضار وتوديع الحياة:

غالبًا ما يقع الإنسان طريح الفراش إثر مرض يأمل أن يشفى منه، لكنه سرعان ما يشعر بعدم قدرته على التماثل للشفاء ليكون على يقين من أنه سيفارق هذا العالم الذي نشأ فيه، فيطلب رؤية أقاربه وأصدقائه فتلبى العائلة كل طلبات هذا المريض الذي سيستهي فاكهة في غير موسمها ويطلب السماح من كل من يدخل عليه لزيارته ليتمكن من الرحيل بسلام قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

يقوم أحد كبار العائلة أو الأصدقاء بتذكيره بلفظ الشهادة: " أشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله"، لتكون آخر كلامه وغالبًا ما يهذي المحتضر فيردد كلامًا غير مفهوم أو غير لائق لشخص راحل عن الدنيا ويعد هذا التذكير بالشهادة من الأمور التي يجب الحرص عليها لتسهيل خروج روح المحتضر ولضمان انتقالها إلى العالم الآخر بأمان وهذا ما نجده في الأشعار التالية:

الله الله الله محمد و العربي	الله الله الله محمد العربي
الله الله الله أَيْشِجْنْ لَهْدُورْ فَلَاكْ	الله الله الله ما أحلى الكلام عنك
الله الله الله ثَقْنِيْتَسْ أَقُومُ الْحِسَابْ	الله الله الله يوم الحساب
الله الله الله الشَّهَادَةُ ثُبَّتَاْغْ فَلَّاسْ	الله الله الله ثبتتا على الشهادة ¹

كما نجدها في هذه الأبيات:

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة. أنظر: القصيدة رقم 12 من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية.

الله الله الله ثَبَّتِي أَلْشَّهَادَةَ الله الله الله ثَبَّتِي عَلَى الشَّهَادَةِ

الله الله الله أَكْتَسَنَوبِغْ دَعْوِينِيُو الله الله الله لَتَكُونْ عُونِي¹

أيضا في هذه الأبيات :

الله أَتْ وَخَامْ أَزِينْ أَتْسُرُونْ الله آله التَفْ أَهْل الدار حولي ييكون

الله آله دَاشَا أَرُنْصَدَقْ فَلَاسْ الله آله بماذا سنْتَصَدَقْ عليه

الله آله صَدَقَّةْ دُشَّهْدَا الله آله الشَّهَادَةُ صَدَقَةُ

الله آله يَارَبِّي ثُبَّتَاغْ فَلَاسْ الله آله فَثَبَّتْنَا عَلَيْهَا يَا الله²

يظل المحتضر متصارعا مع الموت حتى يلفظ آخر أنفاسه، بعدما يتأكد الأهل أو الأصدقاء من وفاة هذا الشخص يقوم أحد الكبار بتغميض عيني المتوفى إن مات ولم يغمضهما لأن بقاءهما مفتوحتين يتطير منهما فيعتقد بأن شخص من أقارب الفقيد سيتبعه بعد أيام قليلة بعد دفنه، ثم يربط أصبعا الإبهامين لقدمي الميت، بعد ذلك تؤخذ شريط من القماش ليربط بها الفك السفلي للفقيد إلى الفك العلوي وذلك بتمرير الشريط من الأسفل إلى الرأس.

يحرص الأهل على القيام بهذه الأشياء خوفا من تصلب أطراف الفقيد على وضع غير سوي لأن هذا أكثر ما يخيف الأهل، إذ يعتقد أن المظهر غير اللائق لجسد المتوفى يعد من علامات سوء المصير في الحياة الأخرى ثم يوجه جسد المتوفى إلى القبلة.

2- إعلان الوفاة والسهرة على الجثة:

يلفظ المريض أنفاسه الأخيرة فيسرع رب العائلة، أو أحد الأقارب لإخبار شيخ الجامع ليعلن الخبر لأهل القرية، وأهالي القرى المجاورة عن طريق المناداة بمكبر الصوت هذا حاليا. أما فيما مضى فكان يتكفل أحد كبار القرية بالصعود إلى أعلى قمة في القرية لينادي منها لكل أهالي القرية بحدوث الوفاة³. ولم تتغير إلى يومنا هذا حيث ينادي كالتالي:

أَلْخَوَانُ نَقُوبِعِينَ أَزْكَأ تِسْمُظَلَّتْ

¹- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة نفسها، من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

²- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم (04) من مدونة الأذكار الجنائزية السابقة نفسها.

³- عن المخبر: خليفة خلوجة، المكان السابق نفسه، بتاريخ 20/10/2011.

أَنَا أَرْضُنْكَ وَحَامِ الْفَلَانِي
 أَنْتُونْسَمْ تَمْدِيثًا
 نُبْظُ يَمَاشُنْ لَافُورِي
 أَيْدَوَارْ نَرْيُوجَةْ أَزْكَ تِسْمُطْلَتْ
 أَنَا أَرْضُنْكَ وَحَامِ الْفَلَانِي
 أَنْتُونْسَمْ تَمْدِيثًا
 نُبْظُ يَمَاشُنْ لَافُورِي
 بمعنى: يا إخوان تقوبعين¹ غدا جنازة
 تدعوكم عائلة فلان
 لتونسهم هذا المساء
 انتقلت أمهم² إلى رحمة الله
 يا قرية زبوجة³ غدا جنازة
 تدعوكم عائلة فلان
 لتونسهم هذا المساء
 انتقلت أمهم إلى رحمة الله⁴

ينتقل الخبر بين أهل القرية بسرعة البرق فيجتمع الأهل، والجيران، والأصدقاء في بيت المتوفى تضامناً، وتآزرًا معهم لِمَ أَلَمَ بهم، فيعرضون خدماتهم على أهل الفقيد كي يُخَفُوا عليهم ثقل المصيبة، وما نلاحظه قدوم الجميع لحضور الجنازة حتى العائلات التي هي في خلاف مع أهل الفقيد تأتي، وتتصالح معهم معبرة عن أسفها وتألّمها لألمهم.

¹ - إحدى القرى الرئيسية لمنطقة واقتون.

² - هذا في حالة وفاة الوالدة وينادي بمختلف مصطلحات القرابة: أم، أخ، أخت، ابن، ابنة، جدّ، جدّة، عمّ، عمّة... إلخ.

³ - قرية صغيرة لمنطقة البحث.

⁴ - وقد حفظنا هذا الكلام عن ظهر قلب لأننا تعودنا سماعه منذ الطفولة كلما كانت هناك جنازة في القرية، أو ما جاورها.

يقول هانوتو في هذا الصدد " يتعرض المتخلف عن حضور الجنازة في القرية إلى عقاب يتمثل في عزله وحرمانه من التعامل مع أهل القرية "¹.

يسهر الحضور على جثة الميت ومعهم جماعة " لُخَوَانُ " ² التي ترافقهم إلى غاية بزوغ الفجر، وتحرص عائلة المتوفى على تقديم الطعام المرفق باللحم³، وفاكهة الموسم مع تقديم الشاي، والقهوة بين الحين والآخر.

تسهر جماعة الإخوان مع أهل الفقيد مرددة الأذكار الجنائزية بكل تضامن، وحب معبرين فيها عن الحزن الذي أَلَمَّ بهم لفقدانهم هذا المرحوم من جهة، ومذكرين الحضور بما ينتظرهم بعد طول حياة حاثين الأحياء على عمل الخير، والتخلق بأرقى الأخلاق، والتمسك بالعقيدة، وإتباع سنة المصطفى، ومن بين هذه الأذكار التي صنعتها المخيلة الشعبية إزاء هذه الظاهرة ما يلي :

الله آله أَنْظِلْ إِيْثِرِي أَكِينُ الله آله سَنَذْهَبْ بَعِيدَا
الله آله تَسْمُورْتْ أُرْتَسْدَنْتَسْوَالي الله آله وَلَنْ نَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَا الدُّنْيَا

الله آله أَوِينْ إِدْيُورْنَنْ فَارُوقْ الله آله يَا مِنْ سَنْ الْفِرَاقْ
الله آله صَبْرْ وَيَنْ عَزِيرَنْ فُلِي الله آله أَرْزُقْ أَعْرَائي الصَّبْر⁴

لما يفرغ الإخوان من ترديد الأذكار يختمون بالدعاء بالمغفرة والرحمة للمتوفي بعد قراءة ما يسمونه ب: " الفدية "⁵ أي " إهداء التسابيح إلى روح المتوفى " .

¹ - A.Hnouteau et A.Letourneaux : La Kabylie et les coutumes Kabyles, édition Bouchéne, France,Tome 2, 2003, page127 .

² - سنستعمل بدل هذه الكلمة فيما سيأتي كلمة الإخوان للتعبير عنها.

³ - في السنوات القليلة الماضية لم يعد تقديم اللحم إجباريا عشية الجنازة لكن تقديمه في مناسبة الأربعين واجب.

⁴ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "12" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية.

⁵ - تعتبر الفدية الصدقة التي تصل الميت بسرعة البرق كما يعتقد.

3- بكاء الميت وتجهيزه:

فيما مضى كانت النساء اللواتي يفقدن شخصاً عزيزاً يقمن بلطم الوجه وتمزيق الثياب والضرب على صدورهن وأفخاذهن ويشترط أن تكون تلك النسوة من أقرب المقربين للمتوفى¹، وليس كما يحدث في مصر إذ تستدعى وتُستأجر نَدَابَات مختصات لبكاء الميت².

إذ يقول شوقي عبد الحكيم في موسوعته الفلكلورية " للندب والندابات شأن كبير كأقدم مهنة للمرأة ملازمة الموت"³. منه فإن هذه النساء هن جماعة محترفات يعملن مقابل أجور أو صدقات ويتمثل هذا العمل في البكاء بطريقة جد مبالغ فيها مع ترديد الكلام الخاص كما تلطم الوجوه وتشق الملابس ليكون الغرض من كل هذا اعلان الحزن الشديد على المتوفى.

تعتبر النساء من أهل الفقيد عن عمق الفاجعة بطريقة خاصة حيث يتعالى بكاؤهن وصياحهن فإن فقدت زوجة شابة زوجها مخلقاً إياها أطفالاً صغاراً تردد هذا النواح:

إهُودْ وَخَامِيُو، إرُوحْ وَخَامِيُو بمعنى: إنهدم بيتي
أَنُؤَا آدِكْشَمُنْ فُلِّي مَكُولْ تَمْدِيْثْ من سيدخل عليّ كل مساء ؟
أَنُؤَا آيزِيْبِيْنْ تَرَوَاوْ ؟ من سيربي أولادي ؟
أَنُؤَا إِيُومِي آسَاوُلْنْ أَيْآَا ؟ لمن سينادي أولادي يا أبتى ؟
أَيْنْ إِيْبْجِيْظْ وَحْذِي ؟ لِمَ تركتني وحيدة⁴ ؟

أما إذا كان الفقيد هو الوالدة بكتها ابنتها مرددة مايلي:

أَيْمَاآَاه أَيْمَاآَاه بمعنى: أَمَاآَاه أَمَاآَاه⁵
أَيْمَا آَزِيْرُنْ فُلِّي نُجْظِيِي أُمِّي العزيزة تركتني
إِيُومِي آسَاوُلْغُ أَيْمَاآَاه إِيُومِي ؟ لمن سأنادي يا أُمِّي ؟

1- عن المخبرة فرحات ذهبية، المكان السابق نفسه، بتاريخ 2011/07/15.

2- ينظر: د. سميح عبد الغفار شعلان: الموت في المأثورات الشعبية، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط1، 2000، ص272 إلى 335.

3- شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ، ص144.

4- كان الملقى امرأة شابة رحل عنها زوجها إثر حادث مفاجيء فسجلت هذا في ذاكرتي لأني لم أقوى على استخدام المسجلة فالموقف كان جد مؤثر إذ يجعلك تبكي وتتألم حتى وإن لم تكن تمت بأي صلة للمتوفى.

5- يعتبر المدّ عن صرخة ألم وحزن.

إيومي أَرْدَسْبُغُ أَفْقَهُو نَالصِيحْ ؟ لمن أطهو قهوة الصباح ؟

إيومي آرامَشْطَغْ ؟ لمن أمشط شعرها ؟

أَيْمَا آزِيرِنْ أَيْغَزْ إِيْشْجِيْظْ ؟ أمّاه العزيزة لما تركتني¹ ؟

كثيراً ما تتخبط النساء في الأرض وبعد كثرة البكاء والنواح يغمى عليهن خاصة إذا كان المتوفى شاباً أعزب في ربيع عمره فالعمر هنا يلعب دوراً هاماً في طريقة التعبير عن الحزن وممارسة الطقوس يختلف تماماً عن وفاة شيخ مسن أو امرأة عجوز كما تتدخل كما تتدخل ظروف الوفاة أيضاً في ذلك فالوفاة الطبيعية تكون فيها طريقة التعبير عن الحزن أقل مقارنة بالوفاة في حادث، أو حرق أو اغتيال. ونلاحظ حالياً قمع مثل هذه التصرفات والعادات بفضل التوعية الدينية التي يقوم بها الرجال لكننا نلاحظ عودتها بين الحين والآخر.

بعد أن سهر الإخوان في الليلة الماضية على جسد المتوفى مرددين الأذكار الجنائزية التي ذكرناها سلفاً يأتي دور ثَخُونِيْن² في صباح اليوم التالي ليرددن ما يريئنه ملائماً في هذه الجنازة. انظر لفهرست الصور: الصورة رقم 01 و 03).

فيما مضى كانت هناك أشعار خاصة تردد قبل غسل الميت وأثناء غسله وأثناء حمل النعش، أمّا حالياً فلم يعد هذا التنظيم جارٍ، أو حتى تلك الأشعار نفسها بل صارت هناك أشعار أخرى لا علاقة لها بالطقوس الممارسة أثناء الوفاة، وبعد عناء طويل تمكننا من جمع عينات من هذه الأشعار التي سنوردها فيما يلي ففيما ترده النساء عند البكاء على الميت أثناء تمدده على الأرض قبل غسله، وهو ذكرٌ على لسان الميت مايلي :

أحليلي زيغ آدمغ يا حسرة عليّ سأموت
إشفا سَرْدُغْ أَمَسَارُو في الفراش تمددت كالحزام
ذُحْپَاپْ أَرِيْنِيْيْ مُحَاطٌ بِأَحْبَائِيْ

¹ - سمعت هذه البكائية عن: ش سعدية حين فقدت والدتها، قرية إحدقون، بلدية ودائرة واقتون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ 2010/3/5.

² - ثخونيين: هن جماعة من النساء الطاهرات المتخلفات يقمن بترديد الأشعار الجنائزية كما تفعل جماعة " لُخَوَانْ " وبداية مما سيأتي سنعتبر عنهن باسم الأخوات.

واعزِيزنْ لرايْتُسُروُغْ¹ أعزائي يذرفون الدموع¹
 سَدَاخْلُ سُمْتَعْ أَحْذِيذْ² بعمق القبر توسدت الحديد
 سَفْلًا أَذِيْمَغِي وَزُو³ وفوقه سينبت الزُّرَّالُ²

لما يقترب موعد الدفن يخرج الغاسلون الميت من الغرفة التي مدد فيها ليضع في غرفة أخرى،
 كي يتمكنوا من غسله دون عراقيل أو صعوبات . وفي هذه الأثناء تردد الأخوات مايلي:

لا اله الا الله لا اله الا الله

محمد رسول الله محمد رسول الله

أحليل زيغ آدمغ يا حيرة عليّ سأموت

إوغسَّالْ أَرْدِيْنِفْظْ وسأقع بين يديّ المُغسَلْ

إِرْوَرْدْ ذِلْخَوِيْجِيُو بدأ بملابسي

أَرِپَرَا اِثْدَ ظَفَرْ رماها إلى الخارج

قِمْتُ أَتْرُوَا بالسَّلامَا أترككم بسلام يا أبنائي

آزِيُوْمْ لِحْسَابْ آزْنَمَزْ سنلتقي يوم الحساب³

يشترط على الغاسل قبل أن يتطوع لممارسة هذا العمل شروط أساسية أولها: الكتمان التام كي لا
 يتكلم عن الميت بالسوء كأن يقول أنه كان متسَخًا أو لم ينتف شعر عانته أو إبطه، وإذا كان
 الغاسل امرأة فيتوجب عليها استئذان زوجها إن كان على قيد الحياة لأن الأرملة لا حرج عليها كما
 تمنع منعًا باتًا من التعاون مع الساحرات، والنساء الشريرات لتسليمهن مخلفات الغسل⁴، والشرط

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "6" من مدونة الأذكار الجنائزية الرجالية.

² - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة نفسها من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

³ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة نفسها من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

⁴ - بعد غسل الميت، تتواطأ إحدى المشعوذات مع أحد أقرباء المتوفى، أو أحد الطامعين لنيل بعض المال مقابل أي عمل
 لسرقة الصابون، والماء الذي غسل به الميت لتستعمله في أعمال السحر. كجعل حياة الآخرين جحيماً مثلاً إذ يقال إن هذه
 المخلفات تستعمل كوصفة سحرية بخلطها مع الأكل، أو الشراب فيتمكن الخصم من جعل ضحيته ميتة المشاعر نحو
 أحبائها، كما لا يجب إهمال الإبرة التي خيط بها الكفن لأن هذه الأخيرة ستستعمل في سحر هدفه تخريب العلاقات، والتفرقة
 بين الأحبة ويتم هذا بعد خياطة أحد ملابس الضحية بهذه الإبرة برفقة بعض التعاويذ السحرية، والتي لم تتمكن من الحصول
 عليها ربما لأن هذا من أسرار مهنة الساحرات.

الأخير هو: على الغاسل، أو الغاسلة أن يكون طاهرًا قبل الشروع في غسل الميت¹، ويغسل الرجال والنساء بنفس الطريقة على النحو التالي:

يقوم الغاسل أو الغاسلة بـ : توضئة المتوفى كما نتوضأ للصلاة وعند مسح الرأس يقال: "إِيْكَسْغُ ذُ السِّيَا، إِيْجَجِيْغُ ذَالْحَسَنَاتُ"، بمعنى: نزعنا عنك السيئات، وتركنا لك الحسنات² يقال أيضا:

"مُكُولُ ثِمَقِيْثُ ذَالرُّحْمَةِ، مُكُولُ ثِمَقِيْثُ أَشْفَاثُ"، بمعنى: كل قطرة ماء رحمة، وكل قطرة ماء نور لك³.

عند تطهير الميت بالغسل الأكبر تردد الغاسلة هذه الجملة: "إِيْكَسْغُ ذُ الْجَنَائِيَةِ، أِيْجَجِيْغُ ذَالْحَسَنَةِ"، بمعنى : نزعنا عنك الجنابة، تركنا لك الحسنة⁴.

تهدف هذه التعويذات إلى تنقية الميت من النجاسات، وتهيئة جسده للعبور إلى العالم الآخر في أمان ونقاء، إذن هذه التعويذات ذات وظيفة تطهيرية.

تدلك الغاسلة جسد المتوفية جيّدًا تحت إشراف الرئيسة التي تكون أكبرهن سنًا، وأكثرهن ثَقِيًّا فتدلك هذا الجسد، وتغسله بالماء الدافئ، والصابون بدءًا بالجهة اليمنى وختمًا بالجهة اليسرى وتقول الرئيسة أنهن لا يطلعن على عورة المتوفية بحيث يضعن لها فوطة تسترها، بعدها تطهرها إحدى الغاسلات بظهر اليد، وهذا الأمر مستحدث مؤخرًا. ففيما مضى كانت الغاسلات يحلقن حتى شعر العانة لمن لم تفعل ذلك قبل وفاتها ليصبح الآن حسب قولهن حرامًا. إذ تقول إحدى الغاسلات: "زِيْگُ نُسْطِطِلَاسْنَتْ مَافَلَا وَصُطِطِلُنْتُرَا مَالْتُسْرَا سَنُلْفَانْدَنْدُ أَكَا ذُلْحَرَامُ يِرْنَا يَهُوَيَاسْنَتْ كَانُ وَاللهُ أَرْدَنْسُوطْفَنْتُ أَفْرُقْلُ أَخْطَرُ أُولَاشْ وَفَزْرَانُ مَلْمِي آيْمَتْ يَلِي أَدَرْزْدَرْفَنُوكُ مَدُنْ إِمَانْنَسُنْ"، بمعنى: فيما مضى كنّا نحلق عانة المتوفية إن لم تكن قد حلقتها قبل وفاتها أمّا الآن قد صاروا

¹ - يتولى الغاسل غسل الميت إذا كان ذكرًا وتتولى الغاسلة غسل الميت إذا كانت امرأة.

² - عن المخبرة: فرحات ذهبية، المكان السابق نفسه، بتاريخ: 2011/03/17.

³ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

⁴ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

يزعمون أن حلق العانة ورؤية العورة حرام ولكنهن سيعاقبن لأنه ما من أحد يعلم ساعة وفاته، وإلاّ لكان قد نظف نفسه كما يجب¹.

" ذَلْخَرَامٌ أَوْطَلَامٌ أَتَسْوَالِيظُ الصُّورَ لَمْيُثِّ مِتْصَرْظُ سَلْفُوظَةَ أَتْسِيرِظْ " بمعنى: حرام أن ترى عورة الميت تُسْتَرَّ، بالفوطة ثم تغسلها².

بعد فراغ الغاسلات من ذلك المتوفية جيّداً بالماء والصابون، يقمن بتوضئة المتوفية مرّة ثانية. تتبّنها أثناء الملاحظة بالمشاركة أنّ الغاسلات يقمن أيضاً بغسل الصبيان أثناء موتهم شرط أن يكونوا مختونين لأنه في حالة كونهم كذلك يقوم الغاسل الرجل بغسله لأنه دخل في مجتمع الرجال. يغسل الصبيان الصغار بنفس الطريقة التي يغسل بها الكبار إلاّ في نقطة واحدة وهي حين تقول الغاسلة: نزعت عنك الجنابة وتركت لك الحسنة لتستبدلها بعبارة: " إِيْگَکْسَغْ ذُ الْجَنَابَةِ فَمَاگْ ذِيْپَاگْ أِيْگَجِيْغْ ذُ الْحَسَنَةِ "، بمعنى: نزعت عنك جنابة أمك وأبيك وتركت لك الحسنة³.

تبرر الغاسلة قولها هذا بأن هذا الصبي قد حضر أثناء جماع والديه حتى وإن كان نائماً، أو ميتاً. إذا كان المتوفى شاباً أعزب، أو شابة عزباء توضع لكليهما الحناء⁴ في اليدين، ويقال إنّ هذا الفعل يجعل ملائكة العالم الآخر تستقبل روحه بسعادة، ويخلق ذقن الرجل إذا خطفه الموت فجأة⁵ كما تتبّنها أثناء حضورنا الجنائز، والتسلّل إلى الأماكن التي تتواجد فيها الغاسلات أن المتوفى في حادث مرور، أو حرق، أو هدم تحت سقف بيت قد يتعرض لجروح كثيرة فيتعرض جلده للإنسلاخ أحياناً، ولما استفسرنا عن كيفية غسله، وذلك جسده أجبتنا الغاسلة بقولها: " أَلَامَكْ أَرَاتْنُحُوكْ إِمِي يَنْسَلَاخْ وَگَسْمِيْسْ أَقَايَاغْ نُنْسَحُوكُ الصَّابُونَ فَرُ يَفَاسْنُ أُنَاغْ إِمِيْرُ إِيْغَلِيْ وَكُفْنَاوْ أَمُكَاْنُ نَبْغَاغْ سِيْپَاغْ أَتُنْسَلِيْلُ سَوْمَاسْ يَحْمَانْ حَلَمَّا يَغَالُ دَرْدَقَانْ "

¹ - عن المخبرة: سماعيل فروجة 68 سنة، قرية لمشاتي، بلدية ودائرة واقتون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ 29/12/2011.

² - عن المخبرة: فرحات ذهبيّة، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

³ - عن المخبرة السابقة نفسها، المكان السابق نفسه، التاريخ السابق نفسه.

⁴ - الحناء نبات أخضر يستعمل للتزيين في العيد والأفراح منذ أقدم العصور.

⁵ - إذا كان الشاب على فراش الموت يتولى أحد الأقارب حلق ذقنه كي لا يتعب الغاسل في هذا فبكتفي بتطهير الجسد.

بمعنى: إن ذلك لا يمكن في مثل هذه الحالات وبهذا نحكّ الصّابون بين أيدينا إلى أن نُنزل الرغوة على المكان الذي نريده، ثمّ نشلل ذلك العضو بالماء الدافئ حتّى يصبح نقياً¹.

بعدما تفرغ الغاسلة من غسل الميت غسلًا تامًا تلي هذه العملية عملية التكفين، وهي من اختصاص الغاسلة أيضًا حيث يحضر لها قماش ناصع البياض لتفصل منه أربعة أشياء تلبسها للميت هي: أسْرُول، لُمَحْشَر، أَقَاشُوش، تَقْدُورُث، بمعنى: السروال، الكفن، الطرحة، القميص.

تفرش الغاسلة قطعة القماش المسماة " لُمَحْشَر " ²، بعد ذلك تلبس الميت السروال الذي خاطته بعناية ثمّ يليه القميص الفضفاض، ثمّ توضع قبعة للرجل وطرحة للمرأة وقبل أن تلفّ الغاسلة الكفن حول جسد الميت تخبئ في ثيابه قطعة الصابون التي غسل بها ثمّ تلف هذا الكفن حول جسده لتغطيته ثمّ يُخاط هذا الكفن، ويعتبر إخفاء ذلك الصابون في ثياب الميت فعلاً مستحدثًا حسب ما قالته الغاسلة الرئيسة:

"رِيگْ إِمِي يُقْلِيلُ الشَّيْنُ تَسَاوِي الصَّابُونُ أَنِي نَسِيرِيذُ بِسْ إِمِي غُتْشَاگَرْنَتْ أُسُوتْ إِحْشَكُولُنْ نُعَالُ نَتْسَقَاذُ سَيْنَا نَتْسَاغْشِيثْ كَانُ الْقَشْ نَلْمِيثِي"، بمعنى: كنّا نعاني من قلّة الصابون في الماضي فكُنّا نأخذ الصابون الذي تبقى لنا من غسل الميت لاستعماله في احتياجاتنا اليومية لكن بعد اكتشافنا أنّ الساحرات يبعثن بأشخاص لسرقة ذلك الصابون من بيوتنا لجأنا لحيلة إخفاء ذلك الصابون في ثياب الميت قبل كفنه³.

بعد هذا تؤخذ المياه التي غسل بها الميت لترمى في حديقة المنزل، وهنا ينتهي عمل الغاسلات. بعد إتمام كفن الميت يتجهنّ إلى غرفة الأكل برفقة أحد أقرباء الفقيد ليجدنّ طاولة مهيأة بالأكل المتمثل بطبق الكسكس مرفقًا باللحم والخضار وفاكهة الموسم، ثمّ يقدم لهنّ القماش المتروك في صندوق ملابس المتوفية، أمّا إذا كان المتوفى رجلاً فيكتفي أهل الميت بتقديم ثمن رمزي كعرفان بالجميل لأنّ الغاسلون في منطقة البحث لا تقدم لهم أجره.

¹- عن المخبرة السابقة نفسها، المكان السابق نفسه، بتاريخ 09/03/2010.

²- هي قطعة قماش مربعة الشكل يكون مقاسها نفس مقاس قامة المتوفى.

³- عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، بتاريخ 15/03/2010.

وقد أورد لويس توماس فانسون في كتابه "طقوس الموت" أن العائلات الفرنسية تزيّن الميت بعد غسله بأجمل اللباس والحي والأوسمة، وكأنّ الرّوح لم تخرج من هذا الجسد بعد¹. إذا تم تجهيز المتوفى للرحيل يؤتى بخبز يسمى " أغرُوم أقران " ليُقسم فوق بطن الميت لتوزع على الحضور ليأكل كل واحد منهم ولو قطعة صغيرة من هذا الخبز اعتقاداً منهم أن هذا الخبز سيمنح لمن يتناوله إشراقاً في وجهه واحمراراً في خديه . تستمر الأخوات في ترديد الأذكار التالية إلى أن يأتي الرجال لإخراج جثمان الميت يتعالى العويل والبكاء في هذه الأثناء للتعبير عن عمق الفاجعة والألم الكبيرين :

إذا كان المتوفى رجلاً مخلفاً وراءه أبناءً توجب على الأرملة البقاء في بيتها لتربية أولادها وهنا تأتي الحماة أو أحد المسنات لِتُلْبِسَ الأرملة برنوس المرحوم حيث تكون جالسة في المكان الذي تمدّد فيه الفقيد لتردد هذه الحماة أو العجوز المسنة هذا الكلام:

" أَسْرَسْغَامَ أَيْرُونُوسِيْسَ أَذْيَزْفُو يَذْمُ السَّرِيْسَ " بمعنى: ألبستك برنوسه لتظل معك شجاعته².

4- حمل النعش ودفن الميت :

بعد تجهيز الميت من خلال مرحلتَي الغسل والتكفين اللّتين ذكرناهما سلفاً لتأتي المرحلة الأخيرة لتوديع الفقيد الوداع الأخير. يُخرج الرجال جثمان الميت من منزله محملة على " نَمْنَعَاشْتُ"³ بمعنى : النعش من طرف أربعة رجال أقوىاء ليتسابق الشباب للمساعدة، وتقديم العون لحاملي النعش على أكتافهم فالكل يريد أن يشارك في هذه الجنازة والدفن. (انظر لفهرست الصور: مجموعة الصور رقم 05). وثمة عادات وممارسات ذائعة كانت ولازلت تمارس حتى الآن عند مرور النعش في مجتمع البحث توجب استقامة الحي في الوقوف وترك العمل الذي بين يديه سواء كان حرثاً أو حتى ثماراً أو غرس بقول ... إلخ، وكان الاعتقاد الذائع هو أنّه في حالة عدم التوقف عن

¹ - Voir : Luis vincent thomas : Rites de mort pour la paix des vivants ,Dupli-print ,France,2007,p132.

² - عن المخبرة : خليفة خلوجة، المكان السابق نفسه، بتاريخ 15/10/2011.

³ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، بتاريخ 20/10/2011.

هذا العمل أيًا كان نوعه فانه سيتوج بخاتمة عقيمة حيث أن البقول لن تزهر ولن تثمر والحريث لن يعود بفائدة... إلخ، أما الآن فتفسر هذه الممارسة بإظهار الاحترام للموتى في المقابل كانت هناك عادات تمارس عند مرور النعش في العصور الوسطى تلزم إبداء الاحترام لمسيرته، ومن أمثلة ذلك عادات كشف الرأس عند مرور نعش وهي علامة على الاحترام للموتى وقد كان النعش فيما مضى يتقدمه صليب وكان ينبغي للناس جميعًا أن يخلعوا أغطية رؤوسهم إزاء الصليب وعندما جاءت البروتستانتية اختفى الصليب ولم تختف الممارسة ويقال في تفسيرها إنها علامة على احترام الصليب الذي لم يعد يتقدم النعش¹.

فيما مضى كان الميت المحمل على النعش يؤخذ إلى المقبرة مشيًا على الأقدام² أما وبعد توفر وسائل النقل فتخصص شاحنة كبيرة ليوضع فيها هذا الميت على نعشه مُحاطًا برجال مسنين مرددين الأذكار التي سنوردها بعد حين إلى أن يصلوا إلى المقبرة التي غالبًا ما تكون في مكان مرتفع خارج القرية فيحمل هذا النعش على الأكتاف إلى أن يصل لموضع الدفن.

تدور بعض المعتقدات حول النعش في - منطقة البحث - منها : أن خفة النعش أثناء حمله ويسر المسيرة يثبتان طيبة الميت وحسن مثواه يُتنبأ له بالسعادة والهدوء في عالمه الجديد وليست خفة النعش فقط من علامات ذلك بل لذة الأكل الذي قدم في جنازته وتناوله من طرف الجميع لخير دليل على حسن المثوى أما إن صادف وحصلت مشاكل أثناء حمله إلى المقبرة فإن هذا من علامات سوء المثوى وسيعذب في عالمه الجديد، سيقول هذا الميت لحاملي النعش:

إِيَوْمِي نُنْسَعَوَالَمْ ؟ لَحُومٌ سَنَسَاوِلُنُونُ ، سَنَعْفُومُ سِلَاطِيلُ ، أُيْمُطْلَمَرَا نُرَاغُ مَزَالُ حَالُ ، بمعنى: لِمَ تسرعون ؟ استرحوا لا تدفنوني الآن فمزال الوقت مبكرًا³.

يقول الميت كل هذا لأنه يعلم تمام العلم ما سيؤول إليه، وهو على يقين بما ينتظره في قبره لهذا يتمنى تأجيل الدفن وهنا نجد الحشد الذي يرافق هذا الميت يردّد الأشعار الآتية والتي تكون على لسان الميت:

¹- فارس خضر: ميراث الأسى: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009، ص 256.

²- عن السيد : بو جعبوط أكلي 88 سنة، ثقويين، بلدية ودائرة واثنون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ 13/10/2011.

³- عن المخبرة نفسها : المكان نفسه، التاريخ نفسه.

الموتس أَدْمَنَغ لَأَشَاكُ
سَامُوتُ بَدُونُ شَكُ
ذَفْرَكَآغْ وَحَذِي أَرَانَاكُ
وَسَاكُونُ وَحِيدَا فِي الْقَبْرِ
أَرْبِي وَهَبِي سَلْخِيرُ
رَبَاهُ هَبْنِي خَيْرَا
أُمَا أَرْهَذَرَاغْ إِيْلَمَاكُ
كِي أَحَدَّتْ مَلِكُ الْقَبْرِ¹

يصل الحشد المرافق للنعش إلى المقبرة ليجدوا القبر قد حفر من طرف بعض الرجال المقربين للمرحوم يوضع النعش على الأرض باتجاه القبلة حسب ما أخبرنا به أحد المسنين² ليصلي الحضور على الميت صلاة الجنازة وهي التي تقصدها الأبيات الشعرية التالية: والتي كانت تردّد أثناء حمل النعش:

أَرْدَمَنَغْ أَرْدِيَاوِينُ
سَامُوتُ وَيَأْخَذُونِي
أَرْبِي أَدْعَلُنْ تَكْلِي
سَيَعْلُونُ الْمَسِيرَةَ بِي
يَكُنَا لَمَقْدَمْ أَرْدَرَالُ
انْحَنِ مِنْ فِي الْمَقْدَمَةِ لِيصْلِي
تَرْلِيَتْ مُبَلَا لَكْنِي
صَلَاةُ لَا سَجُودَ لَهَا
أَدْرَلُنْ أَرْدُغَالُنْ
سَيَصْلُونُ وَيَرْجِعُونَ³

والمعروف أن صلاة الجنازة تؤدى بلا سجود حيث يؤديها الشيخ ومن وراءه واقفين (انظر لفهرست الصور: الصورة رقم 10).

بعد ذلك يفرش القبر بالريحان حيث يقول نفس المخبر: مِسَانُ الرّند أُوْرْكَانِي أَدْرُونُ أَدْخُمُنْ نَسُومَنَّا أَوْمَزِيْزُ أَيْرْكَازُنْ مَا نَسْلَاوِينْ أَقَارْزَانَسَنْتْ نَمْرُوجَتْ أَمْلُكَائُونُ "، بمعنى: يفرش القبر بالريحان ويجعل الإكليل وسادة للرجل أمّا النساء فلا يتوسدون شيئاً⁴، إذ يكتفي حافر القبر بحفر حفرة صغيرة في موضع الرأس⁵.

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "6" من مدونة الأذكار الجنائزية الرجالية.

² - عن المخبر: رمضان أرسقي، المكان السابق نفسه، بتاريخ 2011/04/18.

³ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة نفسها من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

⁴ - يعتقد أن المرأة غير شجاعة ويسند الخوف إليها ومنه فإن الحفرة التي تحضر في موضع الرأس ليس لسبب إلا لكي تخفي رأسها فيها بعد الدفن لأنها ستكون خائفة من ملك القبر. ويقال أيضاً إن المرأة قبل كفنها يقلب شعرها للأمام على وجهها كي لا تشعر بالخوف عندما ترد إليها الروح في القبر.

⁵ - عن المخبر: سماعيل فروجة، قرية لمشاتي، بلدية ودائرة واقنون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ 2011/04/18.

يفرش القبر بهذه النباتات لتتزل الجثة إليه متوجهة الرأس نحو القبلة نائمة على جانبها الأيمن فيسرع الشباب في تغطيتها بالتراب إلى أن تطمّر الحفرة كلية(انظر لفهرست الصور: الصورة رقم 11 و 12).

تتعالى أصوات الشباب بالتكبير، ولفظ الشهادة منذ وضع الميت إلى قبره إلى أن ينهوا عملية الطمر، وهذا كي يسمع المتوفى لأن روحه تردّ إلى جسده مباشرة بعد وضعه إلى القبر، ثم يضعون حجراً فوق القبر ليكون علامة يستدل بها الأحياء إلى هذا القبر. ثم ينصرف الحضور بهدوء تام وسرعة فائقة كي لا يزعجوا "مَلِكُ السَّوَالِ" أي ملك السؤال.

ينصرف الجميع ويتبقى رجل مسنّ أمام الجهة التي دفن فيها رأس المتوفى لينادي الميت قائلاً:

أَفْلَانِي أَمِيسُ أَلْفَلَانْتَقَاغُ

أَقْلِي يَذْكُ أُنُسُوقَاذَرَاغُ أُنُسُوقَاذَرَاغُ

شَهْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ

أُنُسُوقَاذَ أَمِّي نَحْ أَيْلِي أَقْلِي يَذْكُ أُوْرُسُوقَاذَ

تُرَا أَدْيُوظُ أَلْقَالِيكَ أُوْرُسُوقَاذَ

شَهْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ

بمعنى : يا فلان¹ ابن فلانة²

أن معك لا تخف، لا تخف

إشهد بأن لا اله إلا الله، وأن محمد رسول الله

لا تخف يا ابني أو بنيّتي فأنا معك

الآن سيصل " فَعْلَكَ " ³ فلا تخف منه

أشهد بأن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله⁴

¹ - تعوض لفظة فلان باسم المتوفى.

² - تعوض لفظة ابن فلانة باسم والدة المتوفى، لكن هل يعني هذا أنّ مجتمع البحث كان أمّي النّسب في وقت من الأوقات؟

³ - الفعل هنا ما قام به الإنسان في الدنيا ويقال إنّ كل أفعال الإنسان تتجسد في صورة مخلوق يبهج القلب عند رؤيته إن كانت أعمال المتوفى صالحة ويتجسد في صورة مخلوق بشع يجعل هذا الميت يفزع خوفاً إن كانت أعماله الدنيوية سيئة

⁴ - عن المخبر: بوجعوبط أكلي، المكان السابق نفسه، التاريخ السابق نفسه.

الدنيا حيث قامت المخيلة الشعبية بتصوير كائن خرافي مخيف يتولى تعذيب الأموات المخفقين في الإجابة عن الأسئلة وذلك لوعظ الأحياء عساهم يخافون فيُقَدِّمون على الإحسان وهذا ما نجده في الأشعار الشعبية والحكايات الخرافية ومن بين هذه الأشعار:

أَمْكَ أَرَسَقًا إِفَالِيُوْ بِمَعْنَى: ماذا سأفعل عندما يصل عملي

إِمِيرْ مِيدْ يَنْقَزْ أَمْقَلُوشْ لَمَّا يَنْطُ مِثْلُ الْمَاعِزِ

سْتَمَارْتْ تَسْمِدَادِيْثْ بلحية زرقاء

سْتَارَايْتْ لَدَيْتْسَرَاقَاشْ يرمقني رمقة عربي

أَكْفَغْ أَنْبِي دَمْشَافَعِيُوْ لِيَتْنِي أَجْدَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ شَفِيعِي

إِمِيرْ مِيدْمَنْ أَفَالْنَعَاشْ لَمَّا يَنْزَلُونَنِي مِنَ النَّعْشِ

أَمْكَ أَرَسَقًا إِفَالِيُوْ ماذا سأفعل عندما يصل عملي

إِمِيرْ مِيدْ يَنْقَزْ أَمْحُولِي لَمَّا يَنْطُ كَالْخُرُوفِ

سْتَمَارْتْ تَسْمِدَادِيْثْ بلحية زرقاء

سْتَارَايْتْ لَدَيْتْسَلَاْعِيْ متكلماً باللغة العربية

أَكْفَغْ أَنْبِي دَمْشَافَعِيُوْ لِيَتْنِي أَجْدَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ شَفِيعِي

إِمِيرْ أَنْسَدُوْظْ يَذِي حِينَهَا تَكُونُ مَعِي¹

بعد إنهاء مراسيم الدفن ينصرف الناس الذين قدموا من القرى الأخرى ليبقى المقربون لمدة أطول في بيت الميت، يتم تحضير المأكولات من طرف الجيران والأقارب لتقدم لأهل الفقيد مثل طبق البغريز، والبركوكوس بالببيض المسلوق والكسكس بالدجاجالخ من الأطعمة التقليدية.

5- استحضر الأرواح:

يعم الحزن الرهيب أهل المتوفى، وتكون مشاعرهم مشحنة بالألم، والاشتياق إلى من فقده، لهذا يلجأون إلى ممارسة أحد الطقوس التي تصلهم بالمتوفى فتجعله يكلمهم، ويخبرهم عن حاله.

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "13" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية.

يمرّ يومان على الدفن وفي ليلة أو مساء اليوم الثالث تذهب أحد المسنات من أقرباء المتوفى إلى قبره ومعها مبلغ مالي وبيضة طازجة فتطوف بها القبر ثلاث مرات وتردد هذه التعويذة: أَلْفَلَانِي أَقْلِيي أَرْطَاكَ أَزْكَأْغُ أُمْمِيلُ فُخَامُ تَيْيَاتُسْ، بمعنى : يا فلان أنا أدعوك لملاقاتي غداً في بيت تَيْيَاتُسْ¹ ثم تعود هذه العجوز إلى المنزل.

في صباح اليوم الثالث يتوجه أهل الميت برفقة الأقارب، والجيران لزيارة قبر المرحوم محملين بمختلف أنواع المأكولات لتوزع هناك على الحضور. يقال إنّ الميت يحبذ زيارة أهله له عند الشروق ليتمكن من رؤيتهم وذلك عن طريق الإناء الذي يملأ ماءً كلما زاره أهله، ومن الأشياء التي لاحظتها أثناء تحقيقي الميداني رؤية النساء وهنّ يُسوّين التراب على قبر الميت ويردّدن كلاماً بصوت خافت، ولمّا استفسرت عن ذلك أجابتنني إحدى الغاسلات بقولها :
تفتت النساء التراب ويردّدن مايلي : " لا إله إلاّ الله محمد رسول الله أَدِسْفِسْ رِي فَلَكَ تَاكُومْتُ"،
بمعنى: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله اللّهم خفف عنه العباء².

أَكْفَارُ رِي نَاتُ الرَّاحَةِ ذَالرَحْمَةِ اللهم اجعله من أهل الراحة والرحمة

نَاتُ السَّعُودِ نَاتُ الشَّهْوَذِ اللهم اجعله من أهل السعادة والشهادة

إُوذْمُ نَالرَسُولِ صِلَى (ص) لوجه الرسول (ص)

أَرْبِي ذِنَالْيَاكُ مُنْعِيْثُ الْإِثَابِ أَزْكَأْغُ اللهم أتوسلك أن تمنع عنه عذاب القبر³.

إذا سبق وأن أساء أحد الأقارب أو الأبناء إلى المتوفى في حياته يشعر بتأنيب الضمير بعد وفاته، خاصة لان لم يطلب العفو منه قيل الوفاة فيقوم بزيارة قبره صباح كل جمعة ويطلب منه العفو في كلّ مرّة، إلى أن يبلغ عدد الزيارات والمرّات سبع زيارات.

لمّا يعود الأهل والأقارب رجالاً ونساءً من القبر يتجهون لبيت المرحوم ويقولون: " أدْنَارُ أَخَامِيْسُ "، فيعتقدون أنّه بهذا العمل سيرجعون دار المتوفى إلى حالته الطبيعية " أدْنَارُ أَخَامِيْسُ " فيمكث

¹ - عن المخبرة: ش. ثسعديث، قرية ثزمالت، بلدية ودائرة واقنون ولاية تيزي وزو، بتاريخ 2011/10/19.

² - عن المخبرة السابقة نفسها، المكان السابق نفسه، التاريخ السابق نفسه.

³ - عن المخبرة نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

الأقارب، والجيران وقتاً لا بأس به في بيت المتوفى فتقدم لهم القهوة والحليب مرفقا بالخبز التقليدي .

في اليوم الثالث بعد الدفن يتجه الأهل والأقارب والجيران في الصباح الباكر لزيارة قبر المرحوم، ودون أن يشعر أحد تأخذ البيضة التي تركتها للميت فوق القبر لتأخذها الساحرة بهذه البيضة ستقوم باستحضار روح الميت.

لما ينشغل الجميع بشرب القهوة تتجه امرأتان أو ثلاث نساء من أقارب الفقيد إلى إحدى الساحرات المتمكنات ليقمن بما يُسمى " أسنسي أركاغ " بمعنى "استحضار الأرواح" يقصدن الساحرة وهن محمّلات بالبيض المسلوق، وبعض التمور، والقهوة، والسكر، وفطائر الخبز، ومبلغ زهيد من المال 50 دج¹. أمّا حالياً وهذا ما لاحظته بنفسى أثناء التحقيق الاثنوغرافي فقد صارت الساحرة تشتترط مبلغ 2500 دج مرفقا بالأشياء المذكورة أعلاه .

تصل النسوة إلى منزل الساحرة فيسلمنها ما حملنه، ويخبرنها بسبب مجيئهن بعدها يقدمن لها البيضة التي باتت على قبر الميت مع تلك النقود.

يعم صمت في أرجاء الغرفة التي تشتعل فيها الساحرة، لتشرع الساحرة في عملية استحضار روح الفقيد على النحو التالي : تقضم الساحرة قطعة خبز صغيرة جداً مما قدّمه لها وتشرب جرعة ماء، وتقول إنها قدمت هذه الجرعة من الماء، وقضمة الخبز لروح الميت لأنه قطع مسافة كبيرة من عالمه ليصل إلى عالمنا وبالتالي سيشعر بالجوع، والعطش وإن لم تقدم له الماء والخبز فلن يتكلم. تأخذ الساحرة البيضة التي باتت على القبر وتغمسها في إناء من الماء ثم تخرجها وتحقق فيها لترجعها إلى الإناء مرة أخرى وتخرجها لتحقق فيها وكأنها تنتظر شيئاً من تلك البيضة (انظر لفهرست الصور: الصورة رقم 13).

تستمر في تلك العملية إلى أن تخبر تلك النسوة بأن روح الفقيد قد وصلت وتشرع في الحديث بلسان المتوفى وتقول:

مَرْحَبًا بِسُونُ أَكُنْ أَمْتُنْسَمَلَامْ بمعنى : أهلاً وسهلاً بكم جميعاً

¹ - عن المخبرة: خليفة خلوجة ، المكان السابق نفسه، بتاريخ 20/08/2011.

الْفَذْرَةَ الرَّبِّيَّ أَهْدَرَ أَوْكَذْ وَيَنْ إِيْبِزْدَعْنَ
يَاكَ ذَ الْهَدِّ إِيْبِظَنْ
أَرْحُوسِيغْ أَوْرُعُوقِيغْ

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

لا يوجد أثمن وأعزّ من الماء البارد في الآخرة
ها هي قدرة الله تتحدث مع من يسكنني (الجنّي)

77

لقد وصل الأجل
 لم أحاسب ولم أعاقب
 لا إله إلا الله محمد رسول الله
 الله أغلى مما تركت
 إذ لم يكن هناك ثقل عليها فلتقدم السند الذي طلب منها
 فلتنسني وتنهأ مع أولادها
 فلا تبكي لا تبكي
 لأنني في الجنة
 أنا سعيدة عند ربّي
 لا إله إلا الله محمد رسول الله
 إذ لم يكن هناك ثقل عليها فلتبعث لي كسكس باللبن وقطعة من البطيخ الأحمر
 لقد تأخرت وعليّ أن أرجع
 ليزلني الله من قلبها مثلما أزالني أمام عينيها
 يكون مجمل القول في هذه العملية أنّ الميته تخبر الأحياء بأشياء تكاد تكون نفسها في أغلب
 الأحيان، من أهمّ هذه الأشياء مايلي:
 أنا مرتاحة وحياتي الجديدة جدّ هادئة فلا تحزنوا، ولا تبكوا بهذه الطريقة لأنني في سلام، وهناء
 تركتكم دون أن أرغب في ذلك ، لكن ليس بإرادتي لأن الموعد قد حان ولا يمكنني أن أتخلف عن
 موعد سفري لكن أنا راضٍ بحياتي الجديدة .
 ما نلاحظه أن هذه المرأة تغمس البيضة في الماء بين الحين، والآخر تقلبها بين يديها، وتظّل
 تحديقها، ثم تواصل الكلام فتخبر أهل المتوفى أن هناك أشياء معينة ترغب في تناولها، وغالبًا
 ما تكون فاكهة، أو خضراً في غير موسمها كأن تطلب البرتقال، والخرشوف باللحم في فصل
 الصيف، أو تطلب البطيخ، والعنب في فصل الشتاء... لكن العجيب في الأمر أنّ الساحرة تخبر
 عائلة الفقيد ببعض الأسرار التي لا يعلمها أحد سوى الميت، وبعض أفراد أسرته ممّا يزيد من

تمسك الفئة الشعبية بهذا الطقس. وتوصيهم بعدم التنازع في أشياء خاصة هي في الأصل أشياء بدأت العائلة تتنازع فيها بعد وفاتها مباشرة.

في الختام توصيهم بالمحبة والتسامح، وفعل الخير وتبقيهم السلام وتطلب منهم مرّة أخرى عدم الحزن عليها، وعدم البكاء لأن حالها في أحسن الحالات.

وقد أوردنا أخبرتنا به الساحرة خلال تحقيقنا الاثنوغرافي الخاص باستحضار الأرواح والذي كان بمثابة مخاطرة ومغامرة في عالم السحر العجيب.

إذا تأخر وتغافل الأهل عن ممارسة هذا الطقس في اليوم الثالث، فبإمكانهم فعله في زمن لاحق لأن الوقت لا يفوت إلا إذا مرّت سنين، وسنين إذ يقال: إن بإمكان الروح السفر بعيداً أو يصعب حينها الاتصال بها. وإذا مورس الطقس في وقت متأخر يجب أن، نطهو طعاماً باللحم لنوزعه على بعض الأقارب ونقدم منه لمستحضرة الأرواح ويضاعف لها الأجر بعشرات المرات لأن مستحضرة الأرواح ستشترط مبلغاً لا بأس به قد يصل أحياناً إلى خمسة آلاف دينار، وتتم العملية بالطريقة نفسها. سألنا عن كيفية استنطاق الأرواح فأجابتنا الساحرة المتخصصة في هذا المجال بقولها :

مَاشِي دُنْكَ إِيْقَهْدَرْن يْدُسْن

دَايْنُ إِيْلَانْ فْلِي

أَخَاطَرْ يُسْرُوْحُوْغْ أَكَاغْ آرَوَاتْ لَأَخَارْتْ

مِدْبُظْ الرُّوحْ الْمَيِّتْ أَنِّي أَزْدَهْدُرْ إِيْقَدَرْ أَرْبِي

أَلْفُدَرْ أَرْبِي أَزْدَقَارْ إَوِيْنْ إِيْلَانْ فْلِي

إَمِيرْ أَوْنْدِينِغْ

أَيْنْ أُوْكَ أَرَوْنْدِينِغْ مَاتَشِي سَغُورِي

دَايْنُ سَلْغْ أَرَوَايْنْ إِيْلَانْ فْلِي إَوْنْدْ أَقَارْغْ

يَرْنَا لُوْكَانْ أَذْغَلْطَغْ أَيْوُتْنْ أَيْزِيْزُونْ دَقِيْظْ

أَخَاطَارْ أَحْمَلْنَارَاغْ لُكْذِبْ

بمعنى:

لست أنا من يتكلم مع أرواح الموتى
الجن الذي يسكنني من يتكلم معهم
فهو يزور أهل العالم الآخر بين الحين والآخر
تصل روح الميت إلى الدنيا فتكلم قدرة الله
فتنقل قدرة الله هذا الكلام إلى الجن الذي يسكنني حينها يقوم هذا الأخير بتزويدي إياه فأنقله إليكم
كل ما أخبركم به ليس من تألّفي
فأنا لا أردّد سوى ما أسمع من عند الجن الذي يسكنني
وإن نقلت جملة خاطئة فإنّ هذا الجن سيضربني ويقوم بتعذيب في الليل
فهم لا يحبّون الكذب¹.

تقول أيضا إنّ هذا الأكل الذي تحضرونه إلى هنا يسعد الميت كثيرا لأنّه سيأخذ منه لعالمه ليكون علامة على صدق كلامه لما يجيب الحارس الذي يحرس بوابة الدّخول لعالمهم²
يعتبر هذا رأي - **مكلمة الأموات** - لكن رأي المسنّات مختلف تماما عن رأيها فيقلن أنّ هذا الإتّصال مع الموتى عن طريق ممارسة هذا الطقس يجلب المتاعب الكثيرة فهو حرام وإجحاف بحق الميت إذ يعرّضه هذا الأمر للتّعذيب من قبل الجن الذي يساعد السّاحرة بحيث يربطه بسلاسل حديدية ثمّ يجره من عالم الأموات جرّا عنيفا إلى أن يصل إلى عالم الأحياء ليتكلم مع عائلته بوساطة السّاحرة ، ستسعد هذه الرّوح لما تخبر العائلة عن حالها ولما تخبرها بأشياء لم يتسنّى لها إخبارهم بها لضيق الوقت لأنّ ملك الموت أتاها فجأة فغادرت عالم الأحياء دون قول كل ما تشاء³.

¹ - عن المخبرة: نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

² - عن المخبر نفسها، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

³ - عن المخبرة: فرحات ذهبية، المكان نفسه، بتاريخ 09/03/2010.

لكن هذه الرّوح ستحزن، وتتألّم ثمّ تبكي بحرقة لم ستؤول إليه عند رجوعها لعالم الأموات فهي ستعذّب من جديد كأوّل يوم دفنت فيه كما ستتعرّض للضّرب بوساطة قضبان حديدية من طرف حارس عالمهم لأنّ هذه الرّوح قد غادرت دون استئذان .

6- مناسبة الأربعين:

في يوم الأربعين بعد دفن الميت يتوجّب على ربّ أسرته أن يشتري ثورين لإطعام أهل القرية جميعهم ولا يُهتَمّ إن كان فقيرا أو غنيا كما رأينا في الفصل الأوّل من هذا الباب .
كان هذا الأمر يحدث قديما ¹ أمّا الآن فقد زالت هذه العادة، فصار أهل الميت يقتنون ما يقدرّون عليه من اللحم ويقومون بدعوة عدد يستطيعون إطعامهم، وهذا ما لاحظناه أثناء التحقيق الاثنوغرافي .

أمّا فيما يخص وليمة الأربعين فتتفق فئة من النّاس على أنّها أمر لابدّ منه وعمل جدّ إنساني إذ يعتبر الشّيء الوحيد الذي سيخفف من ذنوب الميت ويُسّر له الحياة في عالمه الجديد ، لأنّ كلّ الطعام الذي سيوزّع للحضور يعتبر بمثابة صدقة على روحه كما يتصدّق الإخوان بكلّ التسابيح على روحه ويطلب له كلّ الحضور المغفرة وحسن المثوى . إذن فهذا الأمر يحسن إلى الميت ويجعله سعيدا هذه إذن فكرة الفئة العاملة بالإسلام الشّعبية - إن صحّ هذا القول - أمّا الفئة المتأثّرة بالدين الإسلامي الرّسمي فتري أنّ عادة الأربعين حرام وبدعة وهي من الإسرائيليات حيث يُروى أنّ رجلا يهوديا سافر ولما عاد وجد زوجته قد فارقت الحياة منذ عدّة أيّام ، ولمّ سأل قومه عمّا إذا قدّموا الطّعام وأسألوا دم الشّيء فأجابوا ب : لا لكونه غائبا فربّ العائلة هو من يقوم بهذا .
لما سمع هذا عزم أن يقيم وليمة كبيرة يطعم فيها كلّ أهل القرية وصادف هذا اليوم يوم الأربعين بعد وفاة زوجته، ومنذ ذلك اليوم ثبت الاحتفال بالأربعين وظلّ ينتقل من قوم إلى قوم إلى أن وصل إلينا².

¹- عن المخبرة حاجي ذهبيّة، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

²- عن المخبرين التالية اسماءهم : رمضان أعمر 91 سنة رحمه الله ، خليفة خلوجة ، السيّد بجبوط أكلي ، بإحديقاون بوادة بلدية ودائرة واقتون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ 2008/6/11 .

يبكر الأهل والأقارب لزيارة القبر في صبيحة يوم الأربعاء، وبعدما يعودون إلى المنزل يذهب رب العائلة برفقة بعض الشباب لبناء القبر كي لا تهدمه الأمطار الغزيرة في فصل الشتاء وفي المساء يقدم كل المدعوين لتناول الوعدة المتمثلة في طبق الكسكس المرفوق باللحم (انظر لفهرست الصور: الصورة رقم 14).

بعد الإنهاء من إطعام كل الحضور تشرع جماعة الإخوان في الذكر والتسبيح لصدقته على روح الميت وفي هذه الأثناء تقدم الحلوى والتمر وبعض الشاي والقهوة.

7- الإخوان والأخوات :

يطلق اسم "لُخَوَان" أي الإخوان على الرجال (الذكور) واسم "لُخَوَانِيْن" أي الأخوات على النساء (الإناث) وهما جماعتان تتوليان الإنشاد والذكر في الجنائز ومقامات الأولياء . كان عدد الإخوان في الماضي جد قليل فبعدما يتلقون دعوة ما لإحياء ليلة الأربعاء أو ليلة الدفن يسرعون لتلبية النداء بكل شوق وفرح لكن السبب وراء هذه السعادة والحماس كما أخبرنا شيخ متقدم في السن¹ هو لذة الطعام الذي سيقدم لهم حيث قال: كان هناك فقر وحرمان في الماضي فلا يتناول القهوة إلا الأثرياء ، وكانت عامة الناس تحلم بارتشاف ولو جرعة قهوة لكنهم لا يجدونها أما أهل الميت فهم مجبرون على اقتناء القهوة لتقدم للإخوان كي يتمكنوا من السهر والبقاء يقظين طوال الليل للإنشاد والذكر .

وقال لنا نفس الشخص أن المعوزين من الإخوان أول من كانوا يلبنون النداء فكانوا يقصدون بيت الفقيد مشيا على الأقدام حتى وإن قدموا من مسافات بعيدة إذ يخرجون من بيوتهم مبكرا للوصول في الموعد المحدد وهو وقت صلاة العشاء .

كانوا يمشون ويرددون الأناشيد طول مسيرتهم إلى بيت المتوفى ويعدون التسابيح التي يسبحونها لتكون ذخيرة يخرجونها وقت الحاجة .

¹- عن المخبرين : بوجعوب أكلي ، رمضان أرسقي، قرية تقوبعين، بلدية ودائرة واثنون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ 2011/03/10.

تصل الجماعة التي ترتدي زيّها الأبيض الأنيق المتكوّن من قُبعة بيضاء، قميص وسروال أبيض وعليهما عباءة بيضاء إذ كان الطقس حارًا، أمّا إذا كان الطقس باردًا فيضيفون عليه برونوسًا أبيض أو بَنِي لردّ البرد .بعدما تقيم هذه الجماعة صلاة العشاء تتناول العشاء وتشرع في ترديد الأذكار . كان الإخوان في الماضي يسهرون لترديد الأذكار حتى الفجر¹، أمّا الآن فيكتفون بالسّهر إلى غاية منتصف اللّيل أو يزيدون ساعة عن ذلك .

فيما مضى كان عددهم يتراوح بين ستة إلى سبعة رجال أمّا الآن فإنّ عددهم يتراوح بين الأربعين إلى الستين رجلا .

لم يكن الإخوان يتلقّون أيّ مقابل في منطقة البحث، إذ يكتفون بما يقدّم لهم من طعام وشراب أثناء السهرة لأنّ أهل الميت يكرمونهم بطريقة جدّ لائقة كما رأينا فيما سبق. لكن الإخوان الذين تطلق عليهم تسمية "الطلّية" يتلقون أجرة بعد السهرة على الميت، أو بعد الذكر في ليلة الأربعين. والفرق بين الفئتين هو أنّ أفراد الفئة الأولى هم من عامة الشعب يدخلون في جماعات الآخرين من باب الهواية وحب الذكر دون التخرج من أي مؤسسة أما الفئة الثانية (الطلّية)² فهم طلبة الزوايا وهم من المرابطين ونجدهم في مقامات الأولياء بكثرة ولا تخلق الأذكار التي يرددونها إلا في بعض المقاطع ويتم استدعاء الطلبة من طرف العائلات الغنية ليكون مظهرًا آخر من مظاهر إظهار (الترف والغناء).

من الأشياء التي لاحظناها أثناء التحقيق الاثنوغرافي أنّ الغاسل، أو الغاسلة يقوم بعملين إذ يكون غاسلا للأموات، ومنشداً للأذكار الجنائزية، ومن الأشياء التي لاحظناها أيضا أنّ الغاسل، أو الغاسلة دائما ينتمي إلى جماعة الإخوان إن كان غاسلا بالطبع، أو جماعة الأخوات إن كانت غاسلة لكن ليس بالضرورة أن يكون كل أفراد جماعة الإخوان غاسلين .

تقوم جماعة الإخوان بإلقاء الأشعار التي تحفظها بلحن شجي يثير القشعريرة في الأبدان فنجدهم ينشدون بتأثر كبير فيهزون أجسادهم نحو الأمام وهم جلوس مشكلين حلقة دائرية ولا يتوقفون إلا

¹ - عن المخبرين أنفسهم، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

² - الطلّية : هم طلبة الزوايا الذين يحفظون الأناشيد والذكر الديني وهم المتطوعين للخدمة في مقامات الأولياء الصالحين.

عند قراءة " لفذية " وهي سبعون ألف تسبيحة تردد فيها تسبيحة " سبحان الله " عشرة آلاف مرة ، والمغفرة " أستغفر الله " بعدد المرات ذاتها وكذا الشهادة " لا إله إلا الله " بالعدد نفسه و " الحمد لله " أيضا بالعدد وكذا التكبيرة " الله أكبر " بالعدد نفسه كما تردد الصلاة على محمد أيضا بالعدد عينه وختامًا يردد هذه الجملة المتمثلة في الدعاء: " لا إله إلا الله وأنت الحق المبين محمد رسول الله أدشَقُظُ الْمُؤَذِّنِينَ "، بمعنى : " لا إله إلا الله أنت الحق المبين يا محمد رسول الله اشفع المذنبين " .

بعد الانتهاء من قراءة " لفذية " تردد الأخوات والإخوان ما يلي: "أَسِيذِي رَبِّي سَوْطَاسْ أَيْاقِي إِرْتُوخُ الْفَلَانِي أَفِيذِيْسْ أَيْفُوسْ شَيْطَانِ مَحْرُومْ ، أَتْسِيْفْ رَبِّي تُسُوْشِيْحَتْ، أَتْسِيْفْ رَبِّي تُسُوْفِيْعَتْ، إِذْيِرِّيْ أَنْفُدُوْ مَكُوْلُ أَمْطِيْقْ، سَمَّحْغَامْ ، أَفْغَامْ أَمْفِيْ تَنْتَظْظُ إِتْرِيْزَاسْ فَمَامْ."، بمعنى: اللهم أو صل هذه الفدية لروح فلان على الجهة اليمنى واحرم منها الشيطان، اللهم اجعلها مطهرة ونافعة له، اللهم اجعلها تقديه في كل مكان، سامحتك وعفوت عنك مثل الحليب الذي رضعته من صدر أمك¹.

لاحظنا أثناء التحقيق الاثنوغرافي أن الإخوان فقط من يقرؤون " الفدية "، فاستفسرنا عما إذا كانوا هم فقط المختصون في هذا؟ فكان الجواب من رئيس جماعة الإخوان²: أن النساء لا يعرفن، ويكتفين بغسل الأموات، والإنشاد لكن لما سألنا رئيسة جماعة الأخوات³ أجابت بأنهن كنّ يفعلن ذلك في الماضي لكن الآن توقفن عن فعل ذلك لقلّة الأخوات. فكما نعلم أن جماعة الإخوان قد يصل عددهم الأربعين إلى الستين، بينما الأخوات لا يتعدّين الإثنا عشرة إلى الأربع عشرة في أغلب الأحيان .

يقال أن الفدية هي أساس الطقس الجنائزي لأنها الوحيدة التي تصل الميت أما الذكر، والإنشاد فهو للأحياء كي يتعظوا ويتخلقوا بأحسن الأخلاق⁴.

¹ - عن المخبرة: فرحات ذهبية، المكان نفسه، بتاريخ 09/03/2010.

² - عن المخبر نفسه، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

³ - عن المخبرة: فرحات ذهبية، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

⁴ - عن المخبر نفسه، المكان نفسه، التاريخ نفسه.

لَمَّا قَارَنَّا الطَّرِيقَةَ المَعْهُودَةَ لِقِرَاءَةِ الفَدْيَةِ مِنْ طَرَفِ الرِّجَالِ، وَطَرِيقَةَ الَّتِي أَخْبَرْتَنَا بِهَا رَئِيسَةُ جَمَاعَةِ الْأَخَوَاتِ وَجَدْنَاهُمَا مُتَطَابِقَتَانِ، أَيْ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ مِمَّا يَدُلُّ أَنَّ الرِّجَالَ يَحْبُونَ إِقْصَاءَ النِّسَاءِ مِنَ الْأَدْوَارِ الَّتِي تَجْعَلُهُنَّ يَتَّخِذْنَ مَوْقِعًا مَرْمُوقًا بَيْنَ فَنَائِ الْمَجْتَمَعِ.

الفصل الثالث

وظيفة الأشعار والطقوس الجنائزية

- 1- الوظيفة الثقافية
- 2- الوظيفة الدينيّة
- 3- الوظيفة الاجتماعية
- 4- الوظيفة النفسيّة

تعددت المفاهيم التي قدمت لمصطلح الثقافة، إذ حاول كثير من علماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا الوصول إلى تعريف كامل شامل لهذا المصطلح، إلا أنهم يصرحون أنه ليس بالأمر اليسير لهذا نجد مؤلفاتهم تزر بتعريفات مختلفة، إذ حصرها كروبرو عام 1915 بأكثر من مائة وخمسين تعريفاً. وقبل أن نقدم أهم التعريفات التي قدمها هؤلاء يجدر بنا تحديد مفهومها الذي جاء في المعاجم العربية. حيث نجد أنها أتت من الأصل اللغوي (ثقف)، والتي تعني صار حذقا فطنا، وثقف الإنسان أدبه، وهذبه، وعلمه ثم نحتت كلمة ثقافة وقصد بها " العلوم، والمعارف، والفنون التي يطلب الحذق فيها ". نستخلص من هذا التعريف أن الكتابات الأنثروبولوجية تستعمل الكلمة بمعنى أوسع بحيث يشمل كل مل يصدر عن الإنسان من قول، أو فعل، أو فكر وكذلك كل ما اكتسبه من عادات وتقاليد وأساليب للسلوك¹.

يذهب فوستاف كليم Gustav Clemm إلى أن الثقافة تشتمل على: العادات، والمعلومات، والمهارات، والحياة المنزلية، والعامة في أوقات السلم، والحرب، والدين، والعلم، والفن². ولعل أقدم التعريفات للثقافة وأكثرها ذيوعاً، وانتشاراً وشمولاً تعريف: سير إدوارد تايلور Tylor الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه عن "الثقافة البدائية" يذهب فيه إلى أن الثقافة: "هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون والعادات، وأي قدرات أخرى أو عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في مجتمع"³. فالثقافة إذن طريقة الحياة التي يشترك فيها أعضاء المجتمع، وهي الأسلوب الذي ينتهجه أعضاء مجتمع ما أو جماعات ما داخل المجتمع، فتشمل بهذا كل مستويات الإبداع في الفكر الإنساني و كل الاحتفالات الدينية، أو العائلية وكل التقاليد المتعلقة بالزواج، أو الوفاة... الخ، ولعل السبب الرئيسي في افتتاح هذا الفصل من بحثنا بتحديد مفهوم الثقافة هو محاولة الوصول إلى الحاجات التي تلبيها الثقافة المحلية، والتي ركزنا فيها أولاً على الإبداعات الشعرية، والنثرية، والمعتقدات دون إهمال لجانب الممارسات الطقوسية التي مارسها الإنسان الشعبي في حياته.

¹- ينظر: فاروق أحمد مصطفى : الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2008، ص 45.

²- ينظر: إيكه هولتكرايس، المرجع السابق نفسه، ص 143.

³- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تقوم الفكرة المركزية للوظيفة على أن الثقافة تحقق حاجات للأفراد. وفي تحليل مالينوفسكي إن الثقافة تنمو من حاجات إنسانية ثلاثة: أساسية، مشتقة، ومتكاملة وتعد هذه الأخيرة حاجة الإنسان للأمن السيكلوجي، التوافق الاجتماعي، وكل الأشياء التي يتعلق بأنساق المعرفة في الحياة، القانون، الدين، الفن، السحر... الخ.

حاول مالينوفسكي في كتابه "نظرية علمية للثقافة" أن يثبت أن كل الثقافات بصرف النظر عن تنوعها في الشكل تقوم بوظيفة إشباع البواعث النفسية لأنه لا يمكن تحديد وظائف الثقافة خارج نطاق المجتمع، ولأن الثقافة هي ما يفعله المجتمع وما يفكر فيه فإننا أيضا سنركز على إشباع الحاجات اجتماعيًا.

احتل الشعر الشعبي مكانة مرموقة في حياة الإنسان منذ الأزل، فكان أهم شكل تعبير يقيم به بالترفيه عن نفسه حينًا، والتنفيس عن مخاوفه حينًا آخر، ورغم التطور التكنولوجي الذي وصلنا إليه إلا أنه ليزال يحتل الصدارة في حياة المسنين الذين لا يزالون يحافظون على الثقافة الشعبية التي تناقلوها جيلًا بعد جيل، باعثين فيها لمساتهم، وبصماتهم الشخصية كلما أرادوا ذلك، ولما كان الموت من الأمور التي شغلت، وأخافت هذا الإنسان عمل على صبّ هذا الخوف في قوالب شعرية مثيرة على أنغام حزينة منبثقة من فؤاده ليحرك بها كوامن النفوس منتجًا بهذا مادة عملنا المسمى: محليا بأذكار ناث لآخارث، أو أذكار أهل الآخرة.

ظلت هذه المادة الثقافية صامدة رغم المراحل التاريخية العصبية التي مرت بأرضنا الحبيبة، حيث ترسخت في ذواكر حاملها، وما بقاء هذه الثقافة التقليدية حية في مجتمعنا إلا لتحقيقها حاجات إنسانية، وسنحاول من خلال هذا الجزء من البحث أن نحدد الوظائف المختلفة التي تؤديها هذه المادة الثقافية.

1 - الوظيفة الثقافية:

درجت الثقافات الإنسانية منذ فجر التاريخ، وكأنتها تسير بدافع الفطرة إلى السعي بشتى الطرق والوسائل نحو المحافظة على تميّز الذات، والهوية ممّا يجعلها تكسب خصوصية تسموها عن سائر الثقافات. سنركز في هذا العنصر على أهم مقومات الهوية.

المحافظة على التقاليد:

إنّ الإنسان باعتباره كائناً حاملاً للثقافة وقد أسهم في الحفاظ على إرثه التراثي مادياً كان، أو معنوياً وأكبر مثال ما جمعناه أثناء التحقيق الإثنوغرافي، وما لاحظناه من حرص أناس المنطقة رجالاً كانوا أو نساءً على تلقين الأجيال الشابة ما ورثوه عن آبائهم، وأجدادهم حيث نجد النساء المسنات يطلبن من كنائهنّ حفظ القصائد الشعرية، والانتباه إلى طريقة تأدية الطقوس الممارسة في الحياة اليومية، أو المناسبات العائلية، والدورية وكلّ هذا لضمان عدم اندثار ثقافتهنّ، وارثهنّ الثمين الذي لا يملكن أعلى، ولا أنفس منه .

قالت إحدى الجدّات أثناء تحقيقنا الإثنوغرافي " إَلَقَرْ أَتَرَوَا أَتَسْرَحْمُ إِنْجَدَيْتْ سَوَى أَيْنِّي أَكَنْدَيْسَانُنْ فَرْ لُجْنَس بَلِّي كُنُوِي دَارَاوْ إِدُورَارْ نُجَرْجَرْ، أَتَرَوَا ذَيْبَرْ لَعِيْذْ كَانَ إِفْتَكْرَنْ تَنْصَلِيْشْ ". بمعنى: " يا أبنائي لا يجب أن تتركوا أصلكم¹ (ما تركه أجدادكم)، فهذا ما يميّزكم بأنكم أبناء جبال جرجرة. واعلموا يا أبنائي بأنّ أنذل الناس من يتبرأ من أصله"².

انطلاقاً من هنا نفهم أنّ الإتيان بثقافات أجنبية مقابل التخلّي أو طمس الثقافات المحليّة ماهو إلّا خسة ونذالة من قبل أي فرد من هذا المجتمع حسب رأي المسنّين والمسنّات، وتشبّه النساء أولئك الذين يذهبون إلى البلدان الأجنبية، ويعودون بأوجه جديدة بالذي تخلّى عن عرضه وشرفه. تواصل المخبرة كلامها قائلة: " تزيّظ أَيْلِي وَين كان أَرْتَاظ يروح أرثمورا نبرا يغالد سوْذم أنيظن ونا أولاش أغور أَرَاتَشْبِيْظ سَوَى أَوِين أَرْنَسَعِي نيف ". بمعنى: " اعلمي بنيتي أنّ، الذي يقصد البلدان الغربية ويعود بوجه جديد³ لا يكون شبيهاً سوى بعديم الشرف"⁴.

من هنا فإنّ التمسك بما تركه الأجداد من القيم، والعادات، والتقاليد والأشياء التي يجب الحفاظ عليها لأنها وانطلاقاً من الاستشهادات التي انتقينا بعضها: جزء من شخصية الفرد، رمز لهويته، والسّماح بضياها سماح بضياح الهوية . ومن أهمّ التقاليد التي مازلت تحتل الصدارة في جنازنا الاحتفال باليوم الأربعين بعد الدفن. هذا الاحتفال الذي تقام فيه وليمة يقدم فيها الكسكس المرفق

¹- المراد هنا كلّ ما يضمّ العادات والتقاليد، والتراث المادي واللامادي.

²- عن المخبرة: كلثومة بن علي (91 سنة)، قرية خشابنة، بلدية ودائرة واقنون، ولاية تيزي وزو، بتاريخ 2011/3/1.

³- لا يقصد هنا تغيّر الوجه وإنّما تغيّر وجهات النظر و التفكير خاصة حين يتعلّق الأمر بإرث أجداده الثقافي.

⁴- عن المخبرة نفسها، المكان نفسه ، التاريخ نفسه.

باللحم مع تقديم مختلف الأطعمة الحلوة في السهرة التي تترأسها جماعة الإخوان، هذه المؤسسة الدينية التي تحت الناس على التحلي بالأخلاق الدينية السامية بطريقة لبقة، وذكىة تتمثل في القصائد الجنائزية، والخطب، والحكايات المتعلقة بالموت والآخرة كما تحت الناس على الطاعة لدين الله للظفر بحياة النعيم الأبدية (الجنة) .

إن الأمر الذي جدّ على مجتمع البحث هو سعي متزعمي التيار الإسلامي الرّسمي إلى إقامة جناز دون ممارسة التقاليد، والطقوس التي لا تمت بصلة إلى الدين الإسلامي والتي يراها ممارسوها ومُؤدوها جزءًا لا يتجزأ من الدين الإسلامي فتصر هذه الفئة الشعبية على الاحتفاظ بها. ونستحضر حادثة وقعت أثناء التحقيق الإثنوغرافي لها علاقة مباشرة بهذا الأمر. مات شيخ في قرية "احديقاون بودة"، وقد عاش نصف حياته في المدينة ما يقارب الأربعين سنة فكبر أبناءه هناك، ودرسوا، واشتغلوا أيضا هناك لكنهم كانوا يأتون إلى القرية في المناسبات الدينية، والاحتفالات، وأيضا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في بعض الأحيان. ربطتهم علاقة طيبة مع الجيران، والأقارب الذين يسكنون في تلك القرية لكن فوجئ الجميع يوم وفاة والدهم لما منعوا السيدات المنشدات للأذكار من الإنشاد بقولهم إن هذه الأشياء غير جائزة، وغير واردة في القرآن الكريم فعمت أجواء القلق، وتضخمت حدة التوتر بين أفراد تلك القرية لما سمعهم يصرّحون أنهم أيضا لن يقيموا وليمة الأربعين لأن هذا كفر وبدعة.

حاول الجميع أن يقنع الأبناء بأنهم قد تمردوا على الأصول التي انبنى عليها المجتمع، لكنهم خلقوا فوضى وهذا ما أدى إلى انسحاب أكثر الناس قبل إتمام مراسيم الجنازة، والمثير في الأمر أن أحد الجيران، وبعد وصول الأربعين يوم على وفاة ذلك الشيخ أقام وليمة أربعين على روحه مبرراً فعله بأن أولاد الشيخ سيعرضون والدهم للتعذيب في القبر لأنهم حرّموه من الفدية، وتقديم الصدقات على روحه، وبما أنه كان شيخاً طيباً مع كلّ من عرفه فإن من واجب أهل بلدته أن يقدموا له هذا المعروف. والخلل الذي حدث في تلك الجنازة عائد كما يقول أهل المنطقة إلى الخلل في التنشئة الاجتماعية.

2- الوظيفة الدينية:

لعب الدين دوراً هاماً في حياة البشر منذ الأزل حيث شغل تفكيره، وحياته الاجتماعية ممتداً إلى كل الأنشطة الحياتية، وقد اهتم الكثير من العلماء بدراسة الدين أمثال تايلور، وفريزر الذي يرى بأن الدين هو: "الإيمان بوجود قوى عليا توجه الحياة البشرية وعمل الإنسان على التقرب إليها"¹.

إن الدين من أهم الأنساق الاجتماعية المؤثرة في ثقافة الإنسان وعليه فإننا سنحاول في هذا العنصر من البحث أن نبين تجلي الجانب الديني في النتاج الثقافي الشعبي، وكيف يؤدي هذا الإرث الثقافي وظيفة دينية في الوسط الاجتماعي من خلال مختلف الأسس، والمبادئ التي سنّها الوسط الشعبي، ولعل ضرورة معرفة طبيعة القوة العليا في هذا الوسط من الأمور التي تساهم في تيسير الفهم للمجموعة الشعرية التي سنتناولها.

إنّ وحدانية الله في الدين الإسلامي وموقف الفرد من هذا الدين يسوق بنا للقول أنّ هذا يمنحه الشعور بالطمأنينة، ويساعده في التغلب على مشاكله، ومخاوفه خاصة تلك المجهولة في الحياة كما يساعده على التكيف أثناء الأزمات التي تمر به كحادثة الوفاة، وهذا ما سنراه في المقاطع الشعرية التي انتقيناها من الأذكار الجنائزية. وقد نظمناها تحت العناوين الآتية:

أ) الإيمان بالقضاء والقدر:

جمعنا هذه المدونة الشعرية أثناء حضورنا لعدة جنازات خلال إجراء التحقيق الاثنوغرافي، لاحظنا أداءها في السهرات الدينية حول جسد المتوفى وقد انتقينا ما ارتأينا أنه مبني على أحد أركان العقيدة ألا وهو الإيمان بالقضاء والرضاء به حيث أن مجتمع البحث غني بالقصائد التي تكون فيها الشخصيات البطلة إيجابية، ومعروفة بتعلق الأجيال بها لما عرفت به من قوة صبر، وعزيمة، أو مواقف بطولية إعجازية، أو انتصار على الباطل بعد اجتياز مراحل جدّ صعبة عن طريق التحلي بالإيمان، والثقة بالخالق مثل سيدنا يوسف عليه السلام الذي رُمي من قبل إخوته لبئر عميق، وإخبارهم والدهم بأن الذئب قد التهم جسمه الصغير، لكن قدره هو الذي جعل إخوته يقومون بهذا الفعل الدنيء ليُساق إلى مصر، ويبلغ ما بلغه لأن الله أراد له ذلك.

¹ - جيمس فريزر: المرجع السابق نفسه، ص 127 إلى 128.

إنَّ ورود مثل هذه الحادثة في قصائد أشعارنا الشفوية ليس لسبب سرد القصص النبوي لكن لجعل الأفراد يؤمنون بأن القدر مقدر من عند الله يوم الميلاد، ولكي يُعْذُوا الجانب الروحي للمستمعين في الشعور بعمق الإيمان تقول الأبيات:

رَبِّي جَعَلَ عَ أَمِّيُوسُفَ إِيطْفَرْنَ وَتَمَاسَ عَاالِپِرْ اللهم اجعلنا مثل يوسف رماه اخوته إلى البئر
زاورْتَنَاسَ الْمُؤَلُوكَاثَ يِرْتَنَاسَ سَدْنَا جَبْرِيلَ سبقت إلى حفظه الملائكة وسيدنا جبريل
رَزَقَاسَ الْجَنَّتْ اِنْتَرَحُومَتْ أرزق المرحومة الجنة
أَمِيرْقَارْنَ أَمْتَلَاوِينَ والسابقين من الرجال والنساء¹

إن إيراد هذه الحادثة التي جرت لسيدنا يوسف عليه السلام في هذه الأبيات لم يكن هباءً لأن رمي الغلام في البئر يؤدي حتمًا إلى وفاته بعد اصطدامه بجدران البئر، أو أحد الحجارة المتواجدة في قاع البئر، أو الاختناق في الماء بعد الغرق لكن الله سبحانه قد قدر له من ينقذه، فالموت إذن ليس من تقرير الإنسان وإنما من تقرير الخالق.

إن صياغة هذه الحادثة المعروفة منذ آلاف السنين على شكل أبيات شعرية متناقلة شفويًا منذ سنين وسنين عبر الزواكر الشعبية ليس سوى لتعزيز القناعة الدينية للإيمان بالقدر عبر عرض قصص معروفة منذ الأزل، وقد جاءت بالتفصيل في كتاب الله عز وجل ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفُوهُ فِي غِيَابَاتِ الْجُبِّ﴾².

إن تدين الفئة الشعبية بالدين الإسلامي يؤدي حتماً إلى توحيد، وتمجيد الله ومدح وحب الرسول محمد (ص) ويتجلى هذا في أغلب القصائد الجنائزية حيث لا تكاد تخلو كل قصيدة من عبارات التوحيد " لا إله إلا الله "، أو تكرار لفظ الجلالة " الله الله "، أو الصلاة على محمد خير خلق الله، ويتجلى في المقطوعة الآتية الإقرار التام بأن الموت سيكون لكافة المخلوقات والبقاء لذي الجلال والإكرام لا غير:

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله
لا إله إلا الله مُحَمَّدُ رَسُولُ الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "3" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية.

² - القرآن الكريم: سورة يوسف الآية (11).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أُنْمِتْ أَكْ أَدِيفِرِي اللَّهُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلْنَا سَنَمُوتُ وَلِلَّهِ الْبَقَاءُ
 أَذْصَلِيغُ أَنْبِي فَلَآكُ الرُّسُولُ أَيُوشِيحُ نَالِلْيُوسُ
 أَصْلِي عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ ذُو الْمَلْبَسِ الطَّاهِرِ¹
 إن المتمعن في هذه المقطوعة سيلاحظ حتمًا الإيمان التام لمنتجها بأن الموت أمر مقدّر على
 كافة البشر، وأن كل نفس ذائقة الموت، ومعرضة للفناء إلاّ الخالق عزّ وجل الذي يتفرد بالخلود
 وديمومة البقاء.

إن الهدف من تذكير السامعين بهذه الحقيقة هو جعلهم يكفون عن الإساءة لبعضهم البعض. إنّ
 الإقرار بالفناء والاعتناع بزوال كل الكائنات، والإيمان التام بأن الموت حقيقة مقدرة على الكل منذ
 الأزل لم يأت ذكره فقط في قصيدة واحدة وإنما تكرر في عدة قصائد حيث تقول الأبيات التالية:
 أَذْصَلِيغُ النَّبِيِّ فَلَآكُ ذَالصَّيْحُ الْأَمِّي ذَالطُّهُورُ أَصْلِي عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنَ الصَّبْحِ إِلَى الظَّهْرِ
 أَذْصَلِيغُ النَّبِيِّ فَلَآكُ ذَالصَّيْحُ الْأَمِّي ذَالطُّهُورُ أَصْلِي عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنَ الصَّبْحِ إِلَى الظَّهْرِ

أَكْرَا دِيخْلُقْ ذَالْفَانِي يَارَنَّا نُسْكُنِيرْ لَهْدُورْ
 هَا نَحْنُ نَكْثِرُ الْكَلَامَ عَنِ الدُّنْيَا وَهِيَ فَانِيَةٌ
 أَكْرَا دِيخْلُقْ ذَالْفَانِي يَارَنَّا نُسْكُنِيرْ لَهْدُورْ
 هَا نَحْنُ نَكْثِرُ الْكَلَامَ عَنِ الدُّنْيَا وَهِيَ فَانِيَةٌ

أُمُحَمَّدُ وَأَنْسِي أَسْنُ مِي دُرْزَا مَلْعُرُورْ
 أُمُحَمَّدُ وَأَنْسِي أَسْنُ مِي دُرْزَا مَلْعُرُورْ
 أُمُحَمَّدُ وَأَنْسِي أَسْنُ مِي دُرْزَا مَلْعُرُورْ
 أُمُحَمَّدُ وَأَنْسِي أَسْنُ مِي دُرْزَا مَلْعُرُورْ²

إن الفناء هو الحقيقة المقررة على كل ما خلق على هذه المعمورة، وهذا ما لا تكف الذاكرة
 الشعبية عن ترديده حيث تؤكد بأن الخلود سراب لا يمكن بلاغه، وأن الدنيا دار أولى زائلة أو
 مؤقتة في انتظار الانتقال لدار الآخرة، أو دار الخلود فالتذكير بحتمية الفناء أمر يصر عليه

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "5" من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

² - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "6" من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

المنشدون لهذه الأشعار ليتعظ الحاضر ويفكر فيما ينتظره (الزوال والفناء). وتكرر الفكرة نفسها في عدة قصائد أخرى¹.

ب- الخضوع لأمر الله:

إن الإيمان بالقضاء والقدر ينتج الثقة بمشيئة الخالق فتتسأ علاقة احترام، وتقدير، وخضوع بين العبد وخالقه، وقد عبر فرويد في كتابه "مستقبل وهم" عن هذه العلاقة قائلاً: "... يتذكر الإنسان حين يواجه قوى خطيرة لا سبيل إلى السيطرة عليها، أو فهمها يتذكر ويعود إلى تجربة مرّ بها وهو طفل حينما كان يشعر أنّ أبا يحميه، أباه الذي يعتقد أنّه أوتي حكمة عالية وهو يستطيع أن يكسب حبّ أبيه وحمانيته بإطاعة أوامره، وتجنّب نواهيّه..."²، انطلاقاً من هذا القول الذي يشبّه فيه فرويد حماية الله بحماية الأب لابنه الصغير المحتاج إلى الشعور بالأمان التي تنتج عن الرضوخ، وطاعة الأوامر وتجنّب النواهي سنحاول تقديم ما نسجه المخيال الشعبي من نصوص شعرية جنائزية يظهر فيها خضوع مجتمع الدراسة منذ القدم لأمر الله عزّ وجلّ، ولعل المثال الأول الذي نوردّه يقدّم إتحاداً بين كل من الإيمان بالقضاء، والقدر مع ذلك الشعور الحزين المعبر عن الاستسلام، والرضوخ لأمر المولى:

أُنْسِي إِكْيَغْ أَذْصُلِّيغْ آه آلله آلله
أَيْنَمَا ذَهَبْتَ سَأُصْلِي الله الله
سَوَى مَا يَذُوبُ وَكُسُومِيُو
إِلَى أَنْ يَنْخِرَ عَوْدِي

المُوتْسْ لَا تُفَرِّقْ لِحَيَابِ آه آلله آلله
الموت يفرق بين الأحباب الله الله
سَمَحْغْ إِكْرَا زُرَانْتْ وَالْنِيُو
سامحت كل من رأتهم عيناى
الله آلله أُنْمُتُوْكَ آدِيْقْرِي الله
الله الله سنموت كلنا والله البقاء³

إنّ افتتاح هذه القصيدة بعرض الحب الذي يكنه هذا المجتمع لرسوله الكريم يبيّن العلاقة المتينة التي تربط هذه الجماعة بخالقهم، ونبیهم الذي يتمسكون به لنيل الشفاعة في آخرتهم. إنّ

¹ - تكرّرت هذه الفكرة في القصيدة رقم (3) من مدوّنة الأذكار الجنائزية الرجالية.

² - ينظر: إريك فروم: الدين والتحليل النفسي، ترجمة: فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، 2003، ص16.

³ - للإطلاع على القصيدة كاملة. أنظر: القصيدة رقم "12" من مدونة الأشعار الجنائزية النسائية.

للكثيرين، فتخبرها بأنها قد التقت بأحبابها وإخوانها، وعلى هذه الابنة أن تطمئن على حال أمها لأنها بخير. إنّ الغرض من هذا الحوار هو جعل الأبناء الذين يفقدون أمهاتهم يكفون عن البكاء لأن كثرت تسبب القلق للميت، والاستسلام لهذا الأمر مع الرضا بقضاء الله في أخذ أمانته، يجعل الأحياء يواصلون حياتهم رغم ألم الفراق. إنّ الصبر على هذا الألم سيجعل صاحبه ينال قربا من الله فيحظى بحمايته ولطفه، وهذا ما نراه في هذين البيتين:

آها الله آ لله أُنْوي دَحِيپ الرُّبِّي آها الله آ الله من هو حبيب الله

آها الله آ لله وَيَنْ تُوعُ الْمُحْنَا يُصْبِر آها الله آ الله من أصبته محنة و صبر¹

إنّ الصبر من الأشياء التي على الحي أن يتحلى بها لنيل الرحمة، واللف من الله، فمن تمرّد على قضاء الله لن ينال إلّا غضبه، ويقال إن الميت قد يكرم إذا صبر أهله عليه، ويعذب في حال العكس.

يقدم لنا المخيال الشعبي حكاية خرافية تبين عدم ارتياح ميت في حياته الثانية لأنّه خلف وراءه أهلا لم ينقطعوا عن بكائه قرابة شهر، فيأتي أحد أقاربه في المنام على شكل إنسان ذي جناحين طالبا إياه أن يتوسل أهله الكفّ عن بكائه، والصبر على فراقه لأن دموعهم قد بلّلت جناحيه، ولم يتمكن من التحليق في عالمه الثاني، ويخبرهم بأنه سيكون بألف خير، لو نفذوا وصيته لأن ذلك سيجعله يحلق، ويلتحق بأصحابه الذين يمرحون، وينتقلون بكل حرية.

إنّ حاجة مجتمع البحث إلى هذا النوع من الحكايات، والقصائد من الأمور التي جعلت هذه الفئة الشعبية تحافظ عليها وتسعى لتعليمها، وترسيخها في ذواكر الأجيال الناشئة لتخفف من حزن المتضررين بفقدان الأحبة.

ج- التذكير بالجنة والنار (الدار الآخرة):

إن ثنائية الجنة والنار من الأمور التي شغلت العديد من شعوب العالم منذ الزمن الغابر، وهاهي تحتل صدارة مادة بحثنا حيث تقدم النصوص التي بين أيدينا صورة واضحة المعالم عن الجانب العقائدي للفئة التي أنتجت هذه المادة الثقافية فنقدم جزءاً من الاعتبارات الأخلاقية حول الحياة، والموت والآخرة.

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "8" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية.

ج1- الترغيب في فعل الخير لدخول الجنة:

تحتوي الحياة الأخرى على جانبين منعكسين تمامًا جانب ايجابي، وآخر سلبي يجعل الميت يواصل حياته سعيدًا، أو شقيًا فإن قام بكل ما هو ايجابي في الحياة الدنيا فإنه يتوج في آخرته (حياته الثانية) بالنعيم ويدخل الجنة، أما إن كانت تصرفاته في حياته الأولى كلها سلبية فإنه سيعاقب بالشقاء في حياته الثانية و يدخل جهنم، فيظل محترقًا في نارها. وفيما يلي بعض الأبيات التي تتحدث عن الترغيب في الجنة:

وَبُغَاغُ الْجَنَّةِ أَتَسْيِكُشُمُ أَذْيَبُؤُ أَخَامُ ذِلْمُكَيْسُ من أراد دخول الجنة فليبني بيتا

أَذْرَلُ أَذْذَكُرُ يَرْزُؤُ أَذْيَطُ إِمِيسُ ليصلي ويذكر ويمسك لسانه

تَقْبِيتُسُ أَقُومُ الْحِسَابِ أَذْيَافُ النَّبِيِّ ذَرْفَقِيسُ يوم الحساب سيجد النبي رفيقًا¹

إن دخول الجنة محتاج إلى توفير شروط أساسية أولها عدم الاستيلاء على أملاك الآخرين، والاكتفاء بالجزء القليل الذي يملكه المرء ليعتكف في هذا الملك على عبادة الله فيصلي، ويكثر من ذكر الله مع عدم القدوم على إيذاء الناس باللسان، لأن أذى اللسان سيئ العواقب مثل الفتنة التي تنتجها النميمة التي قد تؤدي لإسالة الدماء. إنَّ الجزء الذي يتوج به من يمثل لهذه الشروط هو مصاحبة المصطفى (ص) يوم الحساب ليكون شفيعًا له.

من هنا نقول إن هذه الالتزامات الدينية من صلاة وذكر وحفظ لسان ... الخ هي التي ولدت الكثير من الاعتقادات التي تدور حول الثواب والعقاب ومنها:

أَهَا اللهُ أَ اللهُ التَّسْذُكِيرُ ذَرْزَارُ نَالْتُورُ اللهُ اللهُ الذِّكْرُ جَبَلُ النُّورِ

أَهَا اللهُ أَ اللهُ وَيَتُؤَمِّنُ أَرِيصِيرُ اللهُ اللهُ من اعتاد عليه فلن يصبر على تركه

أَهَا اللهُ أَ اللهُ بَابِيسُ يَتَسَعَمُو لِيُحُورُ اللهُ اللهُ الذَّاكِرُ يَغُوصُ فِي أَعْمَاقِ ذِكْرِهِ

أَهَا اللهُ أَ اللهُ إِلْخَرْتُ إِيُومِي إِخْبَرُ اللهُ اللهُ يَتَأَمَّلُ وَيَهْيِي الأُخْرَةَ

أَهَا اللهُ أَ اللهُ تَقْبِيتُسُ أَقُومُ الْحِسَابِ اللهُ اللهُ يوم الحساب

¹- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "6" من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

أَهَا اللَّهُ أَلِلَّهِ الْجَنَّتْ أَرْزُدُغْ لُقَصَرُ اللهُ اللهُ سنسكن القصور في الجنة¹

وتعكس هذه النصوص التصور بإمكانية الفوز بقصور فخمة حين يدخلون الجنة إذا أكثر العبد من الذكر، وكان همه الأول، والأخير تهيئة الزاد ليوم الميعاد فيظفر حينها بالقصور العظيمة، والحياة الرغيدة في هذه الحياة الخالدة، كما أن إقامة الفرائض كلها، والمداومة على أدائها كما نصّ الدين الحنيف عليها من الأمور التي تخيب الشيطان، وتجعله مهزوماً وهذا ما تبينه هذه المقطوعة :

أَهَا اللَّهُ أَلِلَّهِ أَيُولِيُوْ غَبْدُ أَصْلِيْ يَا قَلْبِي دَاوْمٌ عَلَى الصَّلَاةِ
أَهَا اللَّهُ أَلِلَّهِ أَمَطِكُوْكَ يُوْنُ وَوَالِ كَمَاوْمَةُ طِيكُوكَ عَلَى نَفْسِ الْكَلَامِ
أَهَا اللَّهُ أَلِلَّهِ ذُ الشَّيْطَانُ أُوْرُ دِتْسَرِيْ أَهَا اللَّهُ أَلِلَّهِ حَيْنَهَا لَنْ يَحُومَ الشَّيْطَانُ حَوْلَنَا
أَهَا اللَّهُ أَلِلَّهِ مَدْنُتْسَا خَرْيَنَاسُ لُشْغَالُ أَهَا اللَّهُ أَلِلَّهِ فَتَقْسُدُ مَشَارِيْعُهُ²

تكثر الإشارات إلى الشفاعة التي ينالها العبد في أكثر من موضع، والتي تُسفر عن كثرة الصلاة على النبي الطاهر محمد (ص) فطاعة الله، ورسوله تقود المسلم إلى دار السلام (الجنة)، والبقاء.

إنّ الثواب الذي يناله المرء في هذه الحالة عبارة عن النجاة من كلّ ما يجعله سيئ المثل، لأنّه في الأصل كان حريصاً في حياته الأولى على فعل الخير، وجمع الحسنات ليلاً، ونهاراً عكس السّاهي عن ذكر الله.

كما نجد في هذه النصوص الشعرية التذكير بالأجر الذي يناله من يحسن إلى اليتيم، والمسكين. بعدما قدمنا هذه المقاطع الشعرية التي تُظهر ما على المرء القيام به للحصول على تأشيرة لدخول الجنة، نختم بعرض جزء من أحد القصائد الرائعة التي تتحدث عن الجسر الذي يمر عبره المتوفى إلى الآخرة، وهذا الجسر هو الذي يقرّر مصير المرء أكان سيوجه إلى الجنة، أم النار ويدعى بالصراط³، فيوصف بأنه طويل، ورفيع، وعليه يمتثل المرء أمام لجنة امتحان تستجوبه لتمنحه

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "11" من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

² - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "8" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية.

³ - ورد ذكرها في أول سورة من القرآن الكريم: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الآية (5) من سورة الفاتحة.

الموافقة على دخول الجنة إن كان فالحاً في الدنيا. لقد حدّد المخيال الشعبي عدد أعضاء هذه اللجنة المستجوبة بسبعة أعضاء، وأطلق عليهم اسم الحراس، والمعروف عن الحارس أنّه يقظ لا تخفى عليه خافية، ولا تقوته فائتة يقوم كل واحد منهم بالاستجواب عن أمر محدد فهناك من يستجوب عن الإيمان، وآخر عن الصلاة، وآخر عن طاعة الوالدين، وآخر عن الصوم... إلخ، وسنحاول فهم السرّ الذي يدور حوله العدد سبعة لأنه احتلّ مكانة خاصة في حياة الإنسان الشعبي منذ القدم.

الله الله الله الصراط غزيف أرقيق الله الله الله الصراط طويل وضيق

الله الله الله يسعاً سبعاً ثعسسين الله الله الله له سبعة حارسات
الله الله الله كل يوث أشي تحكم الله الله الله كل واحدة لها مهامها

الله الله الله أفلعمائل أكسفسي الله الله الله تسألك عن أعمالك
الله الله الله تمزواروث ذالإيمان الله الله الله أولها الإيمان

الله الله الله تسنط ربي العالمين الله الله الله هل تعرف رب العالمين
الله الله الله تس سنات أفترليت الله الله الله ثانيها الصلاة

الله الله الله ما تخدمظ كرا نالدين الله الله الله ان داومت عليها كما نص دينك
الله الله الله ثلاثة أكسفسين الله الله الله وتسألك ثالثهن

الله الله الله أفلعشور ماذ إنفكيظ الله الله الله عن الزكاة إن أخرجتها
الله الله الله تس زبعا أكسفسين الله الله الله وتسألك رابعتهن

الله الله الله ماترامظ الصابرين الله الله الله إن صمت الصابرين
الله الله الله تس خمسا أكذ سفسين الله الله الله وتسألك خامستهن

الله الله الله أَفْلَحَجْ مَاذَا يَنْسَعِيظُ
الله الله الله ان قمت بفريضة الحج¹
الله الله الله ثِسْ سَنَسَا أَكْدْ سَفْسِينْ
الله الله الله وتساءلك سادستهن

الله الله الله مَانْظُوعْظُ الْوَالِدِينْ تُسْعِيظُ
الله الله الله ان كنت طائعا لوالديك
الله الله الله ثِنْ نُجِيظُ أَذْكُتُفْ
الله الله الله ولن تسلم من أسئلتهن
الله الله الله يَارَبِّي سَلْكَأْ بِخَيْرْ
الله الله الله اجعل هذا يمر على ما يرام²

يقول كراب في هذا المقام عن العدد سبعة: " لا نستطيع أن نجزم حتى الآن ما إذا كان العدد سبعة يدين بأهميته إلى عدد الكواكب، لأن الأمر اليقيني أن هذا العدد كان موجوداً بين شعوب وفي حضارات تجهل تماماً الجهل نظم الكواكب"³. كما لوحظ في كل الأزمنة أن هذا العدد كان يحتوي على غموض، ويعتبر من أكثر الأعداد قوّة، ومهابة⁴، ولجهنم يوم القيامة سبعة أبواب: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾⁵، ربما هذا ما جعل الإنسان الشعبي يتصور وجود سبعة حراس على الصراط، وليس بعيداً أن يكونوا حراس أبواب جهنم. إن ذكر الصراط في القرآن الكريم لم يكن المرة الأولى التي استعمل فيها معناه فقد ورد ما يقابل هذا المعنى لدى الإيرانيين، إذ جاء في الأвестا Avesta⁶ أنه تنته نفس الميت ثلاثة أيام مُطاردة من أعمالها السيئة، والحسنة ثم تتوجّه إلى مكان تدان فيه بحسب هذه الأعمال، بعد ذلك تقطع جسر سينقا الضيق مثل الشعرة وإذا وقعت ففي الجحيم، والجحيم الزرادشتي ليس ناراً بل برداً وظلاماً، هذا في حال السقوط. أمّا في حال المرور على هذا الجسر بسلام فإنّ النفس ستصل إلى مكان تسوده السعادة، والنور⁷.

ج2) الترهيب بنار جهنم كماوى أبدي للأشعار:

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "3" من مدونة الأذكار الجنائزية الرجالية.
² - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة نفسها من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.
³ - ألكسندر هجرتي كراب: علم الفلكلور: ترجمة رشدي صالح، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967، ص345.
⁴ - ينظر: فليب سيرنج: الرموز في الفن-الأديان- الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، ط1، 1992، ص459.
⁵ - القرآن الكريم: سورة الحجر: الآية (44).
⁶ - في القرن السابع قبل المسيح.
⁷ - ينظر: ناصر الدسوقي، الحياة ما بعد الموت، جروس بورس، طرابلس، لبنان، بدون طبعة، 1993، 20 إلى 21.

إن انغماس الناس في المحرمات، وجمع الأموال بطريقة غير مشروعة، والانشغال بأمور الدنيا من الأمور الملحة التي جعلت مجتمع البحث ومنذ زمن بعيد محتاجا لإنتاج مادة ثقافية تعبر عن صرخته ضد هذه المخالفات الإنسانية التي لم يشأ أن يراها متفشية بين خلّائه، وأبنائه، وجيرانه ليعبر من خلال أشعاره التي شاء أن يجعل الجنائز الحدث المناسب لترديدها كي تقوم بترويض النفوس وتذكيرها بما ستؤول إليه في حين ظلت على نفس الطريق الضال، ومن بين النصوص التي ارتأيناها تصلح في هذا المقام مايلي:

لُعْيَاذُ الْجَهْلِ زُولُنْ تقهقرت أخلاق النَّاسِ فصاروا جُهَالَةً
أَتَسَاوَرُنْ أَرْجِهْنَمَاغْ وها هم يتقدمون نحو جهنم
أَنْسَظْرُو بِدُسْ أَمْفَرَعُونْ سيلقون حتفهم كفرعون¹
مَنْيَغْرَقْ سَدْنَا موسى حين أغرقه سيدنا موسى²

تتحدث هذه المقطوعة عن الجهل الذي أصاب فئة من الناس، ومشيههم باتجاه الطريق المؤدية إلى النار دون شعورهم بذلك فتكون نهايتهم كنهاية فرعون الذي غرق جزاءً له على ظلمه، وجبروته.

إن الغرض الأول، والأخير من هذه الأبيات هو التذكير بنهاية كلّ متجبر متسلّط، وقد تعمّد المخيال الشعبي استحضار هذا النوع من الشخصيات التاريخية لأنها معروفة في الوسط الشعبي فمن منا لا يعرف قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون.

إن خوف الإنسان على نفسه، وأهله من الوقوع في حفر جهنم المحرقة قد جعله يحذر المذنبين، ويدعوهم للتوبة، والتراجع عن أعمالهم المخزية عساهم ينجون من النار قبل فوات الأوان، فلو حدث ومات المرء فلا مجال للعودة إلى الدنيا لتصحيح الأخطاء، وإن حدث وحانت ساعة نهاية العالم فلن يتمكن أيضا من طلب السماح ممن أساء إليهم فلا ينفع حينها ندم، ونجد في هذه الأبيات تصويراً لقيام الساعة وحينونة الحساب.

¹- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "1" من مدونة الأذكار الجنائزية الرجالية.

²- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة نفسها من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

وفي ختام هذا العنصر نقول إن الدين قد لعب دورًا هامًا في تكوين هذه الأشعار لأن التفكير الديني هو الذي كان يغلب على الحياة الاجتماعية لسكان منطقة البحث وقد تجلّى ذلك في الوعظ الذي يرمي إلى الترغيب في الإتيان بالأفعال ذات النفع على الإنسان في الدنيا، والحرص على تجاهل النفس الأمّارة بالسوء، المملوءة بالشهوات التي لا تعرف الحدود (الكبح) كما تصر الجماعة على إدراج أبيات فيها النصيح بعدم ارتكاب المعاصي والمنكرات، الاستجداد برب العالمين لمنح الميت المغفرة يوم الحساب كما أنّ هناك تأكيد تام على أنّ إتباع الرسول (ص) سيؤدي إلى الشفاعة والنجاة يوم القيامة ثم أن كل هذا يلبي الحاجة إلى الخلاص والنجاة ويقوم بتوحيد المجتمع.

3- الوظيفة الاجتماعية:

أ) التآزر الاجتماعي:

لقد قدمنا في الفصل الثاني من هذا البحث تفصيلاً دقيقاً عن الممارسات التي تصاحب ظاهرة الوفاة فرأينا كيف يكون من واجب كل فرد ترك ما بين يديه من الأعمال ليتوجه مباشرة لمنزل آل الفقيد فور سماع خبر الوفاة. إنّ التهافت على أهل الفقيد لتقديم المساعدة أمر لا غرابة فيه في مجتمع البحث لأنه مجتمع ترعرع على قيم من الصعب زعزعتها، والقانون العام يسري على الجميع حيث ينظر نظرة اشمئزاز واحتقار لمن يتوانى عن تقديم العون، أو حضور الجنازة، ويتعرّض للنّفي، أو العزل لأنه تمرد على أحد القواعد التي بنيت عليها أنظمة المجتمع الذي يتواجد فيه. إن حادثة الوفاة تساعد على ازدياد ترابط الأفراد فيما بينهم ويعد الطعام الذي يقدم لأهل الميت من طرف الجيران، والأقارب نوعاً من التكافل الاجتماعي، وهذا لا يقتصر على مجتمع البحث فحسب بل نجد هذا السلوك متفشياً في عديد من بقاع العالم مثل مودجوكوتو¹ (Modjokuto) حيث تجلب النساء صحوناً مختلفة من الأطعمة لأهل المتوفى².

¹ - مودجوكوتو: بلدة صغيرة في شرقي جاوة الوسطى.

² - كليفوردي غيرتز: تأويل الثقافات، ترجمة: د. محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، 2009، ص337.

تتميز الحياة الاجتماعية لمجتمع البحث بالتماسك بالقيم التي نشأوا على احترامها، والعمل بها منه فإن وجوب التواجد في مكان الجنازة أمر لا نقاش فيه، وعلى الجميع احترامه وإظهار الأسف، وتقديم يدّ العون والمساعدة لأهل الفقيد.

إنّ هذا التواصل والتلاحم الاجتماعي الذي يعيشونه، والذي يعززه هذا التعاون، والتعاقد بين الجيران في القرية صورة لروح التضامن بين الأفراد هذا التضامن الذي أسماه دوركايم التضامن الآلي¹ هذا الأخير الذي يعد الرابطة التي توحد المجتمع.

يتعاون كل أفراد القرية كما ذكرنا سلفاً على تقديم كل ما يجعل من هذه الجنازة تسير بانتظام دون حدوث أي نقص، أو خلل ومن أهم الأشياء التي لا يجب الاستغناء عنها: ترديد الأذكار الجنائزية التي قلنا بأننا سنسعى فيما يلي أن نبين كيف تسهم هذه الأشعار في تمتين، وتوطيد العلاقات الاجتماعية . سنقدّم فيما يلي كيف كان التعبير في هذه الأشعار المؤداة بالحن حزينة عن الاتحاد والتآزر الاجتماعيين :

الله الله أَصْبَاحُ الْخَيْرِ فَلَاؤُنْ الله الله أَسْعَدَ اللهُ صَبَاحَكُمْ
الله الله يَا أَهْلَ الْمَيِّتِ الله الله إِمْوَلَانْ نَالْجَنَازَةَ

الله الله نَسَادُ أَنْعَزِرْ يَذُونْ الله الله أَتَيْنَا لِنَسْهَرِ مَعَكُمْ
الله الله أَنْمَعَاوَانْ لَغَبِينَةَ الله الله وَنَتَعَاوَنُ عَلَى هَذَا الْغَبْنِ

الله الله أُوْنُوْقَفْ رَبِّي لُوْجُوْرْ الله الله عَظَمَ اللهُ أَجْرَكُمْ
الله الله أَمِيرْقَارُنْ أَمْلُوْلَقَاغْ الله الله رَجَالَا كُنْتُمْ أَوْ نَسَاءُ²

يبدو من خلال هذه الأبيات التضامن، والتآزر التام بين الوافدين لحضور الجنازة إذ تعبّر هذه المقطوعة بصراحة عن سبب مجيء هذا الحشد من الأقارب، والجيران، والأصدقاء والذي يتمثل في عدم ترك أهل المتوفى يشعرون بالوحدة في مصيبتهم فينتشرك الجميع هذا الحزن، وهذه

¹ -Emile Durkheim: les Règles de la méthode sociologique, presses universitaires, paris, France, édition 11, 1950,p82.

² - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "2" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية .

المصيبة التي حلت على أهل الفقيده ويكون التعبير عن الوفاء، والحب إزاء هذه العائلة عن طريق تقديم كل ما باستطاعة الفرد سواء اقتصر الأمر على الجانب المادي، أو المعنوي فلا نجده متخلية عن أهل الميت طيلة محنته فيسليهم، ويحاول التخفيف عنهم بشتى الوسائل محاولاً تذكيرهم في كل مرة بأن الموت حق على كل البشر، وكل من على الأرض آت دوره لا محال.

لا يقتصر حضور الجنازة على الأقارب، والجيران الذين يسكنون في نفس المحيط، أو نفس القرية بل يتعدى ذلك إلى سكان الأماكن البعيدة الوفاة لهذا الشخص الميت، أو أحد أفراد عائلته وهذا ما تبينه هذه المقطوعة:

الله الله إقْبَعْدْ وَأَنْسِي إِيذْنُوسَا الله الله كم هو بعيد المكان الذي منه جئنا

الله الله سَالْحُبْ إِيذْنِيذًا تِكْلِي الله الله بالحب بدأنا المسيرة¹

فعند سماع خبر وفاة شخص محبوب سواء ربطتهم علاقة صداقة، أو معرفة، أو جيرة قديمة فإن هذا الشخص الذي تفصله المسافة البعيدة عن مكان الجنازة سيلبي نداء حضور الجنازة بكل حب، ووفاء ليعبر عن تضامنه محاولاً تقديم ما باستطاعته للتخفيف من ألم أهل الميت من جهة وجعله لا يشعر أن المصيبة حلت عليه وحده، وإنما هناك من يشاركه الألم والحسرة من جهة أخرى. إذا كان الفقيده فقيراً مخلفاً وراءه صغاراً فإن الجماعة المرددة للأشعار تكرر بكثرة هذه المقاطع:

الله الله نَعْمَاسْ أُمْعِيُونْ أَفُوسْ الله الله امسكوا بيد المسكين

الله الله تُسْفُظْمَاسْ إِيْمْطَاوْنْ الله الله وامسحوا دمه المنهمر يا أهل الميت²

إن الدور الذي يتحتم على أي إنسان مكتمل الإنسانية في هذا الحدث هو عدم ترك الآخر يعاني دون أن يأخذ بيده ليخفف من معاناته، أو التقليل من نسبة الألم عن طريق الوقوف معه، والإتحاد معه لدعمه، ومواساته ولعل هذا سيرفع من معنويات المعني (أهل الفقيده) لأنه بحاجة إلى من يساعده على إرجاع الاستقرار لحياته بعد هذه المصيبة التي فقد إثرها أحد أفراد عائلته.

¹- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة نفسها من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها .

²- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة نفسها من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

تشير هذه الأبيات إلى الطريقة الجميلة التي يتعامل بها أعضاء مجتمع البحث مع بعضهم البعض فعن طريق بيت، أو بيتين شعريين يقومون باستعطاف القلوب، وحث النفوس على الأخذ بيد اليتيم ومسح دموعه وليس بالضرورة دمع العين لأن الغرض هنا هو دفع الضرر، وتخفيف آلامه فتواجهه وحيداً في الحياة بعد فقدانه أخاه الأكبر مثلاً، أو أباه هو خسارة كبرى لا يمكن تعويضها.

فبعد أن كان يعيش في هدوء، وسلام خالية حياته من الهموم لأنه كان يستند إلى جذع متين صار عليه بعد رحيل هذا السند أن يعتمد على نفسه، وكى لا يشعر بثقل المهمة على كاهله يأتي أفراد بيئته لمساعدته بالتضامن المتين معه في مواجهته خسارته. ترمى هذه التصرفات المتمثلة في الإتحاد، والتضامن إلى تأكيد التضامن الاجتماعي، بحيث تسهم أن تعمل كل أجزاء النسق مع بعضها بدرجة كافية من الانسجام كي لا نفتح بوابة لولادة الصراعات داخل هذا المجتمع.

ب) نزع الأحقاد:

ترمي الخلافات، والنزاعات بين أفراد المجتمع إلى خلق عداء تزداد حدته كلما تكاثرت الأحقاد، والضغائن فيؤدي كل هذا إلى قطع الصلة بين الجيران، والأقارب الذين يتنازعون في أغلب الأحيان على قطعة أرض لا يصل طولها متراً، أو مترين أو على مبلغ مالي لا يكفي لسد احتياجات يوم واحد. لكن لو حدث وأن شعر أحد بأنه سيموت فإن أول ما يطلبه من أهله هو أن يأتونه بكل من هو على غير وفاق معه كي يفكّ النزاعات التي كانت بينه، وبين المتخاصمين وهذا لضمان راحته دون ترك أمور عالقة في حق غيره، ومن هنا سيفصل هذا الشخص عن الدنيا، وهو مرتاح لأنه صفى حساباته، وخلافاته سواءً مع إخوته، أو جيرانه أو مع أي شخص كان على غير وفاق معه، فيقضي على الصراع الذي كان سيولد بعد وفاته. و يقال إن تلقى المحتضر مسامحة من أساء إليه فإن هذا سيجعل روحه تعبر بسلام إلى حياته الثانية، وسنستحضر في هذا الصدد هذه أبياتاً جاءت في شكل حوار جميل بين ابنة تطلب السماح من أمها المتوفية. هذه الأم التي حملتها تسعة أشهر وكبرتها إلى أن صارت امرأة :

سَمَحِييَ يَمَّا سَمَحِي أَدْ لُخْمِيْسُ التَّنَائِيْنِ
أَمَاهُ سَامَحِيْنِي بِحَرْمَةِ الْخَمِيْسِ وَالْاَثْنِيْنِ
أَطَاسُ اِنْعَتِظْ فَلِّيْ اَوْسَمِيْظُ ذِفْلَاوُنْ
كَمْ تَعَبْتَ مِنْ أَجْلِي فِي الْبَرْدِ وَالتَّلَوْجِ

أَهْيَا يَلِّي سَمُحَعَامَ نَسَا وَرُثُسَرِّي الشَّحَايْنِ آه يَا بَنِيَّتِي أَنَا سَامَحْتِكَ فَكَبِدَ الْأُمِّ لَا يَحْقَدُ¹
تستحلف الابنة أمها بحرمة الخميس، والاثنين بأن تغفر لها لو أساءت إليها يوماً بكلمة فريما
جرحتها دون أن تقصد ذلك. فهذه الابنة تعلم تمام العلم المرتبة التي أعطاه الله للوالدة وتعلم تمام
العلم أنها مهما فعلت، ومهما تعبت فلن تقي هذه الأم حقها، لكن صدر الأم الذي يسع كل شيء
وقلب الأم الذي لا يحتمل بكاء الابن، والابنة كفيل بأن يسامح، ويغفر، ويتصالح مع فلذة الكبد،
فيُظهِرُ البيت الأخير ذلك حين تجيب الأم بأنها قد غفرت للابنة لأن قلب الأم لا يحمل ضغينة
نحو الأبناء. وهذه الأبيات تدعم نفس الفكرة :

سَمَحِيي يَمَّا سَمَحِي سَمَحِيي يَمَّا دَقُولُ سَامَحْنِي أُمَّاهُ سَامَحِينِي مِنْ عَمَقِ الْقَلْبِ
نُسَعُ شَهْرُ دِنْعَبُطِيمِ تسعة أشهر في رحمك
عَامَيْنِ قَرَبِي قَعْرُورُ عامين بين الأحضان وعلى الظهر²
دَاشَا أَرْسِيْدُغْ إِيْمَا دَالْجِنْتُ أَدْ وَدْمِيْكَ الرُّسُولُ ما أتمنى لأمي: الجنة ووجهك أيها الرسول
تطلب الابنة من أمها أن تسامحها بصدق لأنها لن تهناً ما لم تلقى المغفرة من أمها التي لا
تستطيع إحصاء فضائلها عليها منذ أن أسكنتها تسعة أشهر في رحمها، ووضعتها عامين في
حجرها، وحملتها على ظهرها بكل حب وبكل صدق وحنان.

كثيرة هي الحكايات التي تدور حول هذا من بينها ولد كان غير عادل بين أمه، وزوجته إذ كان
يشتري لزوجته كل ما تشتهي نفسها، ويأتي به خفية عن أمه لكن تلك الوالدة كانت على اطلاع تام
بما تأكله الكنة خفية فكانت تتمنى لو أنها تلقى منها، ولو بقايا ذلك الأكل لكنها لا تبوح لأحد
بذلك الظلم، وظل ذلك الأمر يعذبها بعد مرور سنين على ذلك أصيب ابنها بمرض أبقاه طريح
الفرش لمدة طويلة لكن روحه أبت الرحيل، وكأنها كانت عالقة. فظل أحد كبار القرية يبحث عن
أناس أساء إليهم هذا الشخص، ولو بكلمة لكنه لم يجد إلا أنه تنبه في الأخير أن لهذا المحتضر
أماً عجوزاً قد يكون قلبها غاضباً على ابنها اثر تصرف طائش، أو غير مسؤول إزاء هذه الوالدة
فأتى بها، وتوَّسل إليها أن تسامح ابنها فقالت لهم لقد سامحته، ولست غاضبة عليه لكنها في

¹- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "7" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية .

²- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة نفسها من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

الحقيقة لم تغفر له فعلته حين كان شابا انتظر الجميع خروج روح ذلك المحتضر لكن ذلك لم يحصل ففهم الشيخ أنّ غضب الأم كان كبيراً، ولم تتمكن من مسامحته من أعماقها فعمد إلى حيلة ليستحضر بها عطف، وحنان الأم كي تتمكن من التخلص من غضبها ، ناد الشيخ بصوت مرتفع: أيها الشباب اجمعوا ما استطعتم من الحطب كي نحرق هذا الشخص لأن ذنوبه كثيرة ولهذا لن يتمكن من الرحيل بسلام فصاحت الأم لا تفعلوا هذا بولدي لأنّه سيرحل بسلام لأنني غفرت له، وسامحته فلفظ الابن أنفاسه فور تلفظ الأمّ بذلك الكلام النابع من أعماقها¹.

من هنا يجب أن يتم حلّ الخلاف بطريقة ودية، وبصدق تام كي يعمّ السّلام . ولا يقتصر حلّ النزاع، وطلب السماح من قبل المحتضر فقط، وإنما يتعلق الأمر أيضاً بالأحياء حيال بعضهم البعض لأنه في حال حدوث وفاة في القرية فإنّه يتم وضع الخلافات جانباً ففي تلك الأثناء يستحضر الجميع القانون الطبيعي للحياة الذي يرمي إلى حتمية فناء كلّ حيٍّ، ولعلّ التنشئة الصالحة، والمنبت الطيب هو ما يجعل الناس يتسامحون في المواقف العصبية، وينزعون الأحقاد التي سكنت قلوبهم وأعمت بصيرتهم، وكثيراً ما نجد الشيوخ في مختلف أحياء قرانا يرددون هذه العبارة " يلها السّماح أثروا، مُسَمَّاحُ ثُلْها ثُدْكَلي ثُلْها الخَاوا " أي "من الجيد أن تتسامحوا يا أبنائي، وأن تلتحموا وتتحلّوا بالأخوة"². والمتمعن في هذه العبارة سيتعرف على هذا الحث الذي تقوم به جماعة المسنين كي لا يضيع أبنائهم في ظلمات الأحقاد، والضغائن والنصح على تمتين رابطة الأخوة، والإتحاد فيما بين الأفراد سواء جمعتهم رابطة الجيرة، والصحبة، أو رابطة الدم لأن هذا سيخلق جوّاً من السلام، والطمأنينة فتتشرح قلوب الأحياء، وترتاح أرواح الموتى ولعل أكبر رابطة استهدفتها جماعة المسنين هي رابطة الدم فهي تسعى بنصحها إلى الحفاظ على كيان العائلة كونها الوحدة الأولية للمجتمع. فتحميها من التفكك، والاندثار فتبقى صامدة متماسكة بعد وفاة أحد أعمدتها.

¹ - عن المخبرة: فرحات فاطمة، المكان السابق نفسه، بتاريخ: 2011/03/14.

² - جماعة من الشيوخ تتراوح أعمارهم بين السبعين والتسعين سنة.

ج- وجوب التعزية:

من بين الأمور التي لا يمكن غيابها عند وفاة أحد تقدّم كل فرد مقبل على الحضور تلك الجنازة لأهل الفقيد ليقول له: ليرزقك الله الصبر والسلوان، كن شجاعاً لا تخف لست وحيداً سنكون معك... الخ من العبارات التي يكون غرضها الأول، والأخير مساعدة هذا الإنسان ليتحلى بالصبر في محنته. إنّ المبدأ الذي تقام عليه التعزية هو القيام بما يعتقد أنّه يسلي أهل الميت ويكف من حزنهم فيحملهم عن الرضا والصبر وتعكس هذه الممارسة الاجتماعية الإتحاد والتماسك الاجتماعي.

تكون التعزية جارية في مجتمع البحث إلى غاية اليوم الذي تقام فيه مأدبة الأربعين إلّا أنّ الدين الإسلامي لا يحددها بفترة زمنية معينة، وإنما تكون واجبة متى رأى العبد أنها فائدة في ذلك¹. يظل المعزون يتردون على بيت أهل المتوفى لغاية الأربعين كما ذكرنا سلفاً فيقومون كل ليلة بالسهر مع أهل الفقيد لغاية وقت متأخر من الليل، ويكون معظم حديثهم عن الآخرة، والحثّ على عمل الخير ثم سرد الحكايات التي تتحدث عن الآخرة، وعن الحساب، والعقاب ثم تقديم بعض المأكولات التي يأتي بها الجيران لأنه لا يتم الطبخ في بيت المتوفى لوقت طويل، وما هذه التصرفات إلّا دلائل على الإتحاد الذي يسري في مجمع البحث أثناء المصائب.

4- الوظيفة النفسية:

يعد علم النفس العلم الأقرب لفهم، وإدراك الحياة النفسية للإنسان عن طريق دراسة أشكال الفاعلية النفسية من خلال أهم آلياتها الشعور واللاشعور. إن التسلسل العلمي لعمق الإنسان جعل من ثنائية الحياة والموت أمراً مثاراً لأنها أكثر الأمور ارتباطاً بالإنسان، ومن أكثرهم تأثراً في سلوكه، وتفكيره الواعي، واللاوعي. فكلما مات شخص محبوب إلى القلوب تولدت لدى الإنسان مشاعر حزينة لا يستطيع تغييرها، أو طمسها لأن ذلك خارج عن نطاق إرادته، وكلما كانت مكانة ذلك الفقيد مقربة إليه كلما تعمقت لديه مشاعر الأسى، والألم الذي يعبر عنه إمّا بالبكاء الذي لا يمكنه التحكم فيه، وإمّا بترديد شعر حزين ظلّ صامداً منذ زمن طويل قد تناولته الأجيال واحداً تلو الآخر. هذا الفن الذي عبّر عن المعاناة، والألم

¹ - ينظر: محمود المصري: المرجع السابق نفسه، ص 36.

والخوف الذي انتاب الإنسان إزاء الموت، وسنحاول في هذا الجزء من بحثنا أن نبحث عن الأشياء التي جعلت هذا الإنسان يشعر بالخوف من الموت وكيف تجلّى هذا الخوف في إبداعاته الشعرية؟ ثم نحاول أن نبين السبب الذي يجعل كل وافد على حضور جنازة ميت يجesh بالبكاء، أهو ألم فقدان الفقيد أم هو ألم ناجم عن استحضار هذا المغزى لموتاه ؟

(أ) التنفيس عن القلق والخوف:

قدّر الموت كنهاية حتمية لكل كائن حي فكسر هذا الحدث إيقاع حياته البهيج فكّر الموت، ومقته لأنه أبعد عن أحبائه، وانتزع منه الحياة التي رأى فيها الكمال رغم الانتكاسات، والمعوقات التي كانت تصادفه إذ ظلّ الإنسان منذ الأزل يسعى وراء الخلود، وكان المثال الأعظم ما عُثر عليه في ألواح العهد البابلي القديم الذي يعود إلى عام (3000-2400 ق.م) ¹. كانت ملحمة جلجامش من وضع الإنسان، فعبر من خلالها عن الخلود الذي شغله فبحث عنه بكل ما أتي من قوّة، إلّا أن كل محاولاته باءت بالفشل. وهذا ما نلاحظه في تراثنا الشعبي المحلي إذ مارس الإنسان كل الطقوس الممكنة لردّ شرّ الموت عنه إلّا أنه يستسلم في الأخير معلناً هزيمته أمام شراسة الموت التي زعزعت أمنه وأثارت قلقه ². فصبّ خوفه في قالب شعري مثير على أنغام حزينة، محرّكاً كوامن النفوس.

فظل هذا النتاج العظيم راسخاً في ذواكر حامليه، مفعماً بالحيوية كلما حل موت أحدهم لأنهم يجدون هذه المناسبة هي أكثر وقت ملائم لترديد أشعارهم التي صوّرت كل ما جال في خواطرهم، وأعماقهم. وسنقدم فيما يلي بعض الأبيات التي تبين هذا الخوف، والقلق الذي بدايته قلق السير نحو المجهول :

أَرْكَا أَجْدِيدُ يُسْوَحَاشُ	كم هو موحش القبر الجديد
أَنُؤَا سِيرَانُ ثَقْجَدَاغُ	يا ليت أجد من يضع له أعمدة
أُنَيْسَقْفُ سَلَقَارْمُودُ	ويسقفه بالقرميد
مُؤَلَّاشُ أَدْعَدِي لُهُوَغُ	كي لا يتبلل بالمطر

¹- ينظر: حسن نعمة: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص60.

²- ينظر: طه باقر: ملحمة كلكامش، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1997، ص105 إلى 106.

مَا شَيْ دَوَّحَاشْ أَيْنُوحَشْ لَسْنَا خَائِفِينَ الْقَبْرِ

دَايْنُ نُحْذَمُ ذِ الدُّنْيَا إِنَّمَا خَائِفِينَ أَعْمَالِنَا¹

فالحديث هنا ممزوج بالخوف من ظلمة القبر، والتمني بمواصلة الحياة في الآخرة كما كانت في الدنيا، ويظهر هذا من خلال تمني المتوفى أن يسقف قبره بالقرميد الذي ظل يسقف بيته في حياته الأولى ثم يقر في آخر بيت أنه خائف من العذاب الذي سيتعرض له داخل هذا القبر المظلم للأخطاء التي ارتكبها في الدنيا. إن هذا الإنسان مؤمن تمامًا بأنه سيجازي عن كل عمل طيب قام به ثم يعاقب عن كل عمل سيء لهذا هو قلق، وخائف من العقاب الذي سيصيبه هناك وحيدًا.

يصور المخيال الشعبي في الأبيات التالية شعبانًا ذا سبع لسعات كأول أداة سيعاقب بها إن كان مذنبًا فهذا الشعبان سيظهر فور دفنه ليلسه، أو يلتهمه. إن إيراد المخيال الشعبي هذا الشعبان في القبر ليس لسبب إلا لأنه لا ينسى الإساءة فهو حيوان منتقم لمن يسيء إليه .

عَدَاغْ سِيْثْمَقِيرْتْ بِيَّاسْ

دَزْكَأْ يَغْزَا أَرَامَاسْ

مررت يومًا بالقبر

فرأيت قبرًا محفورًا

ماذا كان بداخله ؟

لقد كان هناك شعبان ذو سبع لسعات

دَاشُو يِلَانْ دَاخِلِينْسْ

دَزْرَمْ پُوسِيعَة شُوقَاسْ

كل ما أكلت وكل ما شربت

أنا دافع ثمنه في يوم واحد²

أَيْنْ تَشِيغْ دَوَائِنْ سُوِيغْ

أَنْخُلَصَغْ أَفِيُونْ وَاسْ

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "2" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية .

² - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "13" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية .

لقد أثار الثعبان خوف الإنسان منذ الأزل فشكل لديه رعباً كبيراً، وكان رمزاً من رموز الهلاك في الوسط الشعبي المحلي، فارتبط ارتباطاً وثيقاً بالموت لأن لدغته مميتة لا يشفى منها وهذا ما استخلصناه أثناء التحقيق الإثنوغرافي وربما الخوف منه هو ما جعل الكنعانيين يعبدونها، ويستدل على ذلك من تماثيل الثعابين الكثيرة التي تزين أدوات العبادة¹.

لقد دارت عدة اعتقادات حول الثعبان في مختلف بقاع الأرض إذ تعتقد بعض الجماعات البدائية أن أكل قلب الثعبان، أو كبده يمنح قوة الاستطلاع على المستقبل²، كما يعتقد أن الأرض قد أوصلت أسرارها إلى الثعبان³، وربما يكون هذا الأمر أيضاً من الأمور التي جعلت الثعبان يكون أول من يعاقب المرء في قبره لأن الأرض قد أخبرته بكل ما أذنب به فوق سطحها. ثم يصور في الأبيات التالية عمله السيئ المتجسد في صورة تيس أزرق اللحية :

أَمْكَ أَرَسَقًا إِفَالِيُو ماذا سأفعل عندما يصل عملي
إِيمِرْ مِيدْ يَنْفَزْ أَمْفَلَوَاشْ لَمَّا يَنْطُ مِثْلُ الْمَاعَزِ⁴
سَمَّارْتْ تَسْمِدَادِيْثْ بلحية زرقاء

يعد التيس الحيوان الثاني الذي يخيف الميت في قبره بعد الثعبان الذي قدمناه أعلاه، وقد صُوِّر هذا الحيوان في صورة العمل السيئ، ويعد التيس في الوسط الشعبي أنثى حيوان لما يصدره من روائح كريهة، وهو حيوان ممقوت لم يروى عنه من حكايات إذ يقال إنه في زمن الرسول (ص) ولما كان مطارداً من طرف الكفار رأى الرسول - ص - قطيعاً من الماعز فاخترت بينهم لكن هذا القطيع تكلم مردداً: " النبي هنا يا كفار النبي هنا يا كفار"، فدعا عليه الرسول (ص) اللهم افضحهم كما فضحوني، ونجا بفضل الرعاية الإلهية. و يقال إن الماعز قد رفع ذيله إلى الأعلى منذ ذلك الوقت لأن النبي دعا عليه.

¹ - ينظر: حسن الباشا ومحمد توفيق السهيلي: المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دار الجليل بدون بلد، بدون طبعة، بدون سنة، ص 271.

² - ينظر: فليب سيرنج: المرجع السابق نفسه، ص 365.

³ - ينظر: حسن الباشا ومحمد توفيق السهيلي: المرجع نفسه، ص 272.

⁴ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "2" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية .

كما يعتبره أباء الكنيسة حيواناً قذراً¹ ربما للاعتقاد الذي شاع في الوسط الشعبي الفلسطيني عن مريم العذراء حين هربت بابنها من وجه بني إسرائيل فالتقت بقطيع من الماعز، وبمجرد رؤيتهم لها فضحوا تواجدها بذلك المكان بثعائهم المتواصل، ومنذ ذلك الوقت رفع ذنبها لأعلى يفضح عورتها²، ونلاحظ أن هذه الرواية هي نفسها التي جاءت في المعتقد المحلي لكن باختلاف البطل فقد كان البطل في الرواية الأولى الرسول (ص) لأن الوسط الذي أنتج هذه الرواية وسط متأثر بالدين الإسلامي، وكان البطل في الرواية الثانية مريم العذراء لأن الوسط الذي أنتج هذه الرواية وسط متأثر بالديانة المسيحية.

لو حاولنا ربط ما جاء في هذه الأبيات بالمعتقدات التي دارت حول التيس فإن هذا الحيوان مرتبط بالفضح، والقذارة والرائحة الكريهة منه فإن تجسد العمل السيئ لإنسان في صورة هذا الحيوان أمر مرتبط بفضح ما قام به كما تكون رائحة هذا العمل السيئ نتنة كالرائحة القذرة التي تصدر من الماعز.

لكن نجد المخيال الشعبي قد أسند صفة إلى هذا الحيوان تجعله حيواناً يظهر في العالم الآخر فجعلت لهذا الماعز لحية زرقاء اللون، وهذا ما لم نره في حياتنا لكن إلى ماذا يعود اختيار هذا اللون الأزرق القاتم الذي يميل إلى السواد المسند إلى لحيته ؟

إنّ اللون الأزرق لون غير محبوب في الوسط الشعبي المحلي إذ يرمز للسقم، والعلّة. فلما يشاهد شخص قد ازرق وجهه فإن هذا يخيف من حوله لأنه كما يعتقد بهذا الشخص مرض مميت، ويقال إنّ هذا اللون تتخذه وجوه العصاة يوم القيامة، ويرمز للؤم في الوسط الشعبي الفلسطيني³ كما يرمز هذا اللون للكذب في بعض لوحات الرسام بروجيل القديم⁴، منه فإن كل ما دار حول هذا اللون في مناطق مختلفة ومتباعدة من هذا العالم تظهر معتقدات سلبية حول هذا اللون، وبالتالي فإن امتلاك الماعز الذي ذكرناه أعلاه للحية الزرقاء القاتمة يعزز من كينونته حيواناً مخيفاً للميت.

¹ - ينظر: فليب سيرنج: المرجع السابق نفسه ، ص76.

² - ينظر: حسن الباشا ومحمد توفيق السهيلي: المرجع السابق نفسه، ص272 إلى 273.

³ - ينظر: المرجع نفسه، 222.

⁴ - ينظر: فليب سيرنج، المرجع السابق نفسه، ص424.

أحليلي زيع آدمثغ	يا حسرة عليّ سأموت
إنشفاً سرذغ أمغانيم	في الفراش تمددت كعود القصب
ذلحياپ أرينبي	مُحاطٌ بأحبائي
واعزیزن لایسریدیم	أعزائي يذرفون الدموع
سدأخل سُمثَغ أّحدید	بعمق القبر توسدت الحديد
سُفلاً أدیمغي وُذمیم	وفوقه سينبت الزعرور

جاء في هذه الأبيات التحسّر لفقدان الحياة فصورت المخيلة الشعبية هذا الميت ممدداً قبل دفنه كعود القصب، والقصب علامة على سرعة العطب¹، ويتداول في الوسط الشعبي أن القصب تسكنه الشياطين، والأرواح الشريرة ولا يحبذ للأطفال الصغار لمسه، أو اللعب به. ربما شبه هذا الميت بعود القصب لأنه سرعان ما ستتحلل، وتتغفن جثته بعد وضعه تحت التراب، أو لاستقامة هذا الجسد الهامد. ثم يصف الحالة التي يعيش فيها تحت التراب فيقول أنه متوسد للحديد الصلب القاسي بعد أن اعتاد توسد وسادة لينة في حياته الأولى، و قال بأن الزعرور سينبت فوق قبره وربما هذا النبات الشائك سيكون بمثابة رسالة لأهله بأن حاله سيئة .

الله آله اُذْصَلِيْغْ أَنْبِيْ فَلَآكْ	الله آله أصلي عليك أيها النبي
الله آله صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَامًا	الله آله صلى الله عليك وسلم
الله آله يَزِيْحْ وَفُصْلَانْ فَلَآكْ	الله آله فاز من صلى عليك
الله آله مَاْشِيْ أَمْنْ ثَبِيْ الْهَاوْ	الله آله ليس كمن أخذه الهوى
الله آله ذَالْصَّرَاطْ غَزِيْفْ أَرْقِيْقْ	الله آله الصراط طويل ورقيق
الله آله سَدَاوَأْسْ ذَالْهُمْمَاهَا	الله آله تحته نار همهمة ²

يتجلى في هذه الأبيات تأثر الوسط الشعبي بالدين الإسلامي من خلال حديثه عن الصراط ونار جهنم التي وعد الله بها المذنبين والخارجين عن طاعته فنجدته يصلي على النبي (ص) ويقول أن من اتبع سنة المصطفى قد فاز ونجا من هذا الصراط الذي لا يوجد أصعب منه في الحياة الثانية

¹ - ينظر فليب سيرنج: المرجع نفسه، ص327.

² - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "4" من مدونة الأذكار الجنائزية الرجالية.

لأن من يجتازه بسلام نجا، وفلح، وخطي بسلام أبدي، أما من تزعزعت خطاه فإن مصيره النار
الهمهمة التي تنتظره أسفل هذا الصراط.

أَرْبِي كَتَشْ دَالْمَعِيُونُ	اللهم أعنا
كُلُّ الْخَيْرِ غُورُكَ إِيْقْلَاغُ	فمنك كل الخير
الْمُؤْمِنِينَ لَا كُتْسِرَاجُونُ	هاهم المؤمنون بانتظارك
فُتْحَاغُ لُبُوبُ نَالرَّحْمَاغُ	افتح أبواب رحمتك
الْجَنَّتْ لُومَاكَ أَدْدُونُ	خذنا إلى الجنة
أَثْقَاغُ إِجْهَتَّامَاغُ	واعتق رقابنا من نار جهنم ¹

لعل فكرة العقاب بنار جهنم لم تكن قبل ظهور الأديان السماوية ربما هذا ما يفسر المخلوقات
التي صورها المخيال الشعبي المكلفة بتعذيب الأموات ومنها ما يسمى ب: "لُوحْشْ أَزْكَاغُ" أي
وحش القبر والذي يروى عنه في الأوساط الشعبية ما يلي: دخلت امرأة فيما مضى في الغيبوبة
فاعتقد الأهل والأقارب بأنها ميتة فسارعوا لإقامة مراسيم الدفن .

دفنت المرأة وقبيل الظلام عاد أحد الرعاة من الغابة مع قطيعه ماراً بالمقبرة فسمع صوت امرأة
تصيح مرددة هذا الكلام دون توقف:

أَيْمَاغُ أَيْمَاغُ إِفْسَنِيْسُ تِسْرِقْلِيُوِين	أَمَاهُ أَمَاهُ يَدَاهُ كَأَعْمَدَةِ النُّوْلِ
اْظَرْنِيْسُ دِفْقَاقْنُ	رَجَلَاهُ كَالْأَعْمَدَةِ
اْمَرْغُنِيْسُ دِخْجِيْظُنْ	أَذْنَاهُ كَالْكَهْفِ
أَوْفْلَانِيْسُ دِمَشْطُنْ	أَسْنَانُهُ كَالْمَشْطِ الْكَبِيرِ ²

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "1" من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها.

² - عن المخبرة خليفة خدوجة ، بتاريخ: 2011/08/24.

فسارع وأحضر أهالي القرية ليقوموا بفتح قبرها فوجدوها تتصبب عرقاً، وقد اتخذ جسمها لونا أزرقاً قاتماً ولما انتشلوها من ذلك القبر أخبرتهم بأن ذلك المخلوق قد بدأ بتعذيبها، وقد قالت بأنه كان ضخماً مسندة إليه تلك الموصفات التي كانت تصرخ بها .

ليست هذه الرواية إلاّ أحد النماذج التي قام المخيال الشعبي بابتداعها رغبة منه كشف الغطاء عما ينتظر الميت في حياته الثانية إنّ أساء التصرف في الحياة الأولى، والسبب هنا محاولة الظفر بحياة طيبة هادئة في الدنيا عن طريق طلب التحلّي بأطيب الأخلاق، وحسن معاملة الأفراد فيما بينهم لكننا أثناء التحقيق الإثنوغرافي التقينا بفئة ترفض تماماً فكرة وجود حياة ثانية فيقولون:

" حَمّه مُحسُوبٌ يَلاّ وَيَنْ يُمُتُّنْ يُعَالَدُ يُحْكَيَاوُنْدُ أَشُوْ أَكُنْ يَنْسَرَجُونْ سَدَاوْ وَكَالْ" بمعنى: " هل هناك من مات وعاد ليخبركم شيئاً عما ينتظركم تحت التراب ".

ولا أدري إلى أين أصنف هذه الفئة من الناس لأنّ المتدينين بالإسلام الرسمي يؤمنون بوجود عقاب وبوجود حياة ثانية وكذا المتدينين بالإسلام الشعبي إنّ صح هذا التعبير أيضاً يؤمنون بهذا، وإلاّ بماذا نفسر وجود هذا الإرث الثقافي الذي توارثته الذواكر الشعبية عن الأجيال الماضية.

إنّ هذه الفئة تجعلنا نقول أن خوفها ممّا سيؤول إليه بعد الموت هو الذي جعلها تتكر، وتتفي تماماً وجود حياة ثانية مستمرة بعد الوفاة كما تعتقد كلّ الشعوب قاطبة فهو إذاً خوف من المجهول، والمجهول مثيرٌ بطبيعته للانقباض والهلع ويقول في هذا الصدد المفكر السوري فراس السواح " إنّ الخوف من الموت لم يكن أبداً خوفاً من العدم بل كان خوفاً من المجهول من مغادرة وضع نعرفه إلى وضع نحن به جاهلون ¹، منه فالإنسان شديد الميل للخوف من الغريب غير المتوقع .

صحيح أن الإنسان قد أخافه الموت كثيراً لكنه أيضاً كان كثير الخوف من المعناة قبل الموت إثر مرض يبقيه متألماً مدة طويلة مثلاً. فنجد دائماً يقول: " أَذْغَيْفُ رُبِّي تَرَرْي أَفْلَالْ" بمعنى: " اللهم اجعلني أموت كما تموت الأواني الفخارية مباشرة بعد كسرها ".

¹ - فراس السواح: مغامرات العقل الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص219 إلى 220.

بعدما قدمنا بعضاً من الأبيات التي تجلت فيها مخاوف الإنسان ممّا سيؤول إليه بعد الموت ننتقل إلى عرض جزءٍ آخر من الأشعار التي يستسلم فيها هذا الفرد للموت معلّناً أنّ الدنيا مرحلة يمرّ بها وحسب:

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	ظَلَّيْتُكَ اللَّهُ سَوْلِي	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	أُطْلِبُكَ يَا رَبِّي بِصَدَق
محمد رَسُولُ اللَّهِ	دَرْكَأْغُ إِيذْخَامِي	محمد رَسُولُ اللَّهِ	الله بيتي الحقيقي هو القبر
لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	دُكْرُنْ وَيَذَاكَ مُحْقُوقُنْ	لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	يذكر المحتاجون إلى الذكر
محمد رَسُولُ اللَّهِ	دَرْكَأْغُ إِيغِيدُومُنْ	محمد رَسُولُ اللَّهِ	سنخلد في قبورنا ¹

نلاحظ من خلال هذه الأبيات على لسان الميت أن هذا الميت يعلن عن اتخاذ القبر بيتاً حقيقياً له، وليس هذا القبر إلا بوابة تصله بالعالم الآخر، ويضيف في البيت الأخير أنّ هذه البوابة (القبر) هي التي ستقوده إلى الخلود فلا رجعة إلى الدنيا بعد الانفصال عنها لأنها فانية، والخلود موجود بعد الموت. فالحياة الثانية هي التي تحوي الخلود وما الدار الدنيا إلا مرحلة يمر بها الإنسان، وفور انتهاءها يواصل حياته في عالمه الحقيقي الذي يوجد بعد الانفصال عن الدنيا الزائفة.

ننتقل الآن إلى تقديم التصورات التي عبرت الجماعة الشعبية من خلالها عن الموت بتسميته باسمه الفعلي حيناً، وتجاهل اللفظة الأصلية للتعبير عنها بمسميات مجازية في الكثير من الأحيان الأخرى. فنجد الغربة، والسفر، والابتعاد عبارات حلت مكان هذه اللفظة التي كثيراً ما يسبّب تلفظها الألم، والحزن وسنحاول تقديم بعض النماذج فيما يلي:

دُلُوجِبْ أَنْدُو سُلْقَيْسْ	فواجب علينا أن نمشي في الطريق الصائبة
ذَالدُنْيَا لَابْدُ أَنْسَافُرْ	فمن الدنيا لا بد أن نسافر ²

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "10" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية.

² - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "2" من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها

نلاحظ في البيت الثاني التعبير عن الموت بالسفر، حيث يقول البيت أن السفر أمر لا بد منه من هذه الدنيا وكما نعلم لا يوجد مكان آخر قابل لاستقبال البشر ما عدا الكرة الأرضية، والتي يعبر عنها بالدنيا وعليه فإن السفر منها يكون إلى مكان لا تتوفر فيه الشروط المتوفرة للحياة في أرضه، وبالتالي سيهلك ويموت. فالسفر من الدنيا إذن هو تعبير عن الموت لكن لو كان الموت أمر متعلق بقاء الجسد فحسب لما ذكر في البيت الأول وجوب المشي في الطريق المستقيم، ويقصد هذا البيت إحسان التصرف في الحياة ليحظى المتوفى بالهدوء في العالم الذي يرحل إليه لأن الجسد بعد خموده، وملامسته التراب سيتحلل، ويتعفن وهذا ما يعبر عنه البيت التالي :

سموث أكال أُرْدِين تَرْكُوطُ تَوسد التراب وتعن¹

انطلاقاً من هنا فإن هذا الإنسان مكون من جسد وروح هذه الثنائية التي تواجدت في كل المعتقدات الإنسانية والتي سنتعرض للحديث عنها لاحقاً.

وفي نفس المضمار نجد في الأبيات التالية تعبير عن الموت بالفراق والرحيل إلى مكان بعيد حيث تقول الأبيات :

الله آله	أَرْكَا نَبْذُو تَكْلِي	الله آله	وَعَدَا سَتَبْدَأُ الْمَسِيرَةَ
الله آله	أَنْظِلْ إِثْرِي أَكِينْ	الله آله	سَنَذْهَبُ بَعِيدًا
الله آله	تَسْمُورَتْ أُرْتَسَدْنَتْسَوَالِي	الله آله	وَلَنْ نَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ الدُّنْيَا
الله آله	أَوِينْ إِدْيُورُنْ قَارُوقْ	الله آله	يَا مِنْ سَنَ الْفَرَاقْ
الله آله	صَبْرٌ وَينْ عَزِينْ فُلِي	الله آله	أَرْزُقْ أَعْرَائِي الصَّبْرَ ²

جاءت هذه الأبيات على لسان الميت حين جاءه الموت قائلاً بأن مسيرته ستبدأ في الغد حيث سيرحل إلى مكان بعيد لن يتمكن خلاله من رؤية الدنيا، ثم يطلب ممن سنّ الفراق وهو الله تعالى بالطبع أن يرزق ذويه صبراً على رحيله هذا الرحيل الأبدي، غير محتمل الرجوع منه، وهذا تؤكدته الأبيات التالية أيضاً:

¹- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "4" من مدونة الأذكار الجنائزية نفسها
²- للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "6" من مدونة الأذكار الجنائزية الرجالية.

الْكُتُبُ لَدَقَّارُنْ هَفَّيَّاسُ إِدَّارُ لِيَّاسُ الكتب كلها تتصح بتهيئة زاد الآخرة
الموت غربة أبدية
مستحيل أن يعود من مات¹

قبل مواصلة الحديث عن الأمر الذي أثراه أعلاه سنحاول أولاً التمعن في البيتين الأولين من هذه القطعة الشعرية فقد وصفت الآخرة بدار اليأس، والقنوط التي يرى الإنسان الشعبي بأن الكتب السماوية قد نصحت بالتهيء لها عن طريق العمل الصالح في الدنيا ليجازى عن ذلك فيما بعد إذ ستسهل له الحياة فيما بعد الحياة. ثم يوصف الموت في البيت الثاني بأنه غربة طويلة، ويرتبط الاغتراب في الوسط المحلي بالحياة القاسية أولاً فالمغترب لن يجد في البلاد الغريبة التي يسافر إليها عائلته، ولا أصدقائه فيحاول أن يثبت لكن هذا يعرضه لعدة مصاعب، ومشقات فيقاسي المرض، والجوع، والبرد، وفي غالب الأحيان يتعرض للإهانة لأنه أجنبي عن المجتمع الذي يسافر إليه ولا يندمج فيه بسهولة.

قد يتعرض هذا المغترب لمرض مميت فلا يعود لأهله فيظل الأهل منتظرًا إياه على أمل أن يعود لكن دون جدوى. هناك عودة بعد وقت طويل لمن لم تخطفه المنية هذا ما كان يحدث في الماضي، فلم يكن الوسط الشعبي يحبذ فكرة الاغتراب لأن هذا المغترب سيسبب للأهل القلق، والخوف على حاله. إن وصف الموت بالغربة الطويلة مرتبط بجهل ما سيحصل للميت فقد يتعرض للشقاء، والعذاب دون أن يستطيع الحي مساعدته كما يحصل مع المغترب الذي يتعرض للهوان دون أن يتمكن ذويه مساعدته لبعد المسافة التي تفصلهم به، وفي البيت الأخير تأكيد على عدم الرجوع بعد الممات وربما هذا ما جعل الوسط الشعبي يصف دار الآخرة بدار القنوط، لأن من يدخل من بوابة الموت من المستحيل أن يرجع ثانية إلى الدنيا فأمر الرجوع أمر ميؤوس منه. إن استخدام كلمة اليأس هو تأكيد على يأس الرجوع للعالم الأول الذي مرّ به هذا الإنسان.

نلاحظ من خلال الأبيات التي قدمناها أعلاه عدم التصريح بعبارة الموت بطريقة مباشرة إذ اكتفى الوسط الشعبي بالإشارة إليه من خلال تسميات مجازية، والتي سبق وأن ذكرناها أعلاه، ولعل هذا

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "2" من مدونة الأذكار الجنائزية النسائية.

أحد أوجه الاعتراض على الموت أو التطيّر من ذكره لأنه نهاية غامضة فيندرج ضمن الأشياء التي لا تسمى بمسمياتها للخوف من أذاها.

سنحاول الآن تقديم بيتين جاء فيهما الموت أمر لا بد منه فقط لأنه كان منذ الأزل :

كُلُّ وَاعٍ أَذْيُخْزَرُ لُجْدُونِيسَ أَنْظُرُوا إِلَى أَجْدَاكُمْ
إِمْوْتُ لَا يَدُ أَثْيُظْفَرُ فَقَدْ مَاتُوا وَلَا بَدَّ أَنْ تَتَّبِعُوهُمْ¹

جاء هنا الالتفات إلى تذكير الأحياء أن الموت أمر طبيعي قد أصاب آبائنا، وأجدادنا الذين عمروا هذه الأرض لكنهم زالوا، وماتوا منه فإن الأحياء أيضاً سيمتتون، ويلتحقون بآبائهم، وأجدادهم، وقد جاء هذا الأمر أيضاً حين عبّر عن الموت في الكتاب المقدس "...بالذهاب في طرق الأرض كلها، وبالانضمام إلى آبائه..."².

عمر الإنسان في هذه الأرض طويلاً فكانت الوفاة بالنسبة للمسنين أمر مفروغ منه هذا ما نجده عند الأفارقة الذين تشكل جزءاً منهم حيث يقول عنهم لوي توماس فانسون: أنهم يفضلون الموت عندما يتحولون إلى عجزة كونهم شبعوا من الحياة وملّوا منها عكس الغربيين الذين يفضلون الموت في مرحلة تتجلى فيها³ كل محاسنهم الخلقية، فيأخذون هذا الجسد الجميل إلى القبر في كامل أناقته. ويبين هذين البيتين الشعريين أنّ المسنّ أقرب الناس للوقوع في قبضة الموت

الله الله الله الشيبُ الصُورَةُ تُنْخَرُ اللهُ اللهُ اللهُ طغى عليك الشيب ونحل الجسد
الله الله الله ذَالْمُوْتْسُ أَكْدِيْتْسَقْسِيْنُ اللهُ اللهُ اللهُ إِنَّ الْمَوْتَ يَتْرَقْبَكَ

الشيب هنا علامة على التقدم في السن، ولما كانت رغبة الإنسان في الوسط المحلي أن لا يموت إلا بعد أن يعمر في الأرض سنين، وسنين ظهرت هذه الرغبة في شعره الذي ظلّ يعبر عما يجول بخاطره، فلم نعثر أبداً في الأبيات الشعرية التي جمعناها أثناء التحقيق الإثنوغرافي على إشارة عن

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "2" من مدونة الأذكار الجنائزية الرجالية.

² - د. فرج الله عبد الباري، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، دار الآفاق العربية، ط1، بدون تاريخ، ص74 إلى 75.

³ - Voir : Luis vincent thomas : Rites de mort pour la paix des vivants ,Dupli-print ,France,2007,p132.

موت الصغار أو الشباب، وكانت الأبيات معبرة عن التقدم في السن لمن تنتهي أيامه حيث يظهر في البيتين التاليين :

الله الله آله أَوْجُوزُ الْعَمَلِ نَالِشَرِّ الله الله آله فلا يجوز عمل الشرِّ
الله الله آله فَلَاكُ أَهَابٍ تُثْمَانِيَيْنِ الله الله آله ياصاحب الثمانين سنة¹

يظهر في هذين البيتين أن العمل السيئ ليس أمرٌ محمود على من تقدم في السن، وقد أشار هنا إلى عمر الثمانين هذه العمر التي يفترض للمرء فيها أن يهيئ نفسه للموت عن طريق التعب، ومعاونة الناس، وربما قد جاء البيتين بهذه الطريقة لأن هذا الإنسان المتقدم في السن مزال طامعاً في الدنيا فلم ينتبه لتقدمه في السن، فظلّ يظلم الناس، أو يسيئ إليهم. لما سألنا أحد المسنين² عن العمر الذي يفترض فيه للمرء أن يموت فيه قال : إنّ العمر الذي قدّر للإنسان أن يعيشه هو: أربعون سنة لأنه كما يروى قديماً في العصر الذي كانت الحيوانات فيه تتحدث: اجتمع الإنسان بالكلب، والحمار، وقد قدّر لكل واحد منهم حياة تقدّر بأربعين عاماً. فانزعجوا جميعاً، وبادر الإنسان بالحديث قائلاً: إنّ أربعين عاماً مدّة قصيرة جداً لن أشبع فيها الحياة هذا أمر غير لائق، ثمّ تكلم الكلب وقال أربعون عاماً !! إنّ هذا كثير جداً فكيف لي أن أقضي هذه المدة في العراء، والبرد، والجوع. ما رأيك أيها الإنسان أن أهديك عشرون عاماً من عمري فيكفيني عيش العشرين عاماً؟ بعدها تكلم الحمار معبراً عن نفس الرأي الذي عبر عنه الكلب مضيفاً أن هذا فوق استطاعته، إذ تكفيه عشرون عاماً من العمل الشاق، ومن التعب والإهانة، وعرض على الإنسان أن يهديه عشرون عاماً من عمره. سعد الإنسان لهذا كثيراً فشكر كلّ من الكلب، والحمار، وصار باستطاعته أن يعيش ثمانون عاماً، وهو في كامل قوته، ونشاطه.

و بعد حصولنا على هذه الحكاية يمكن لنا أن نقول إن ورود العدد ثمانون في البيت الثاني الذي قدمناه له علاقة بهذه الحكاية. ولما ينقضي ذلك العدد من حياة الإنسان يهيئ نفسه للموت أي يقضي ما تبقى من حياته في انتظار الإنسان للموت. ويقول سارتر في هذا الصدد إنّ التشبيه

¹ - للإطلاع على القصيدة كاملة أنظر: القصيدة رقم "2" من مدوّنة الأذكار الجنائزية نفسها

² - عن السيّد رمضان أوديع بتاريخ 2011/8/10.

الذي يستخدم غالباً في انتظار الإنسان للموت : " يشبه الإنسان بأنه محكوم عليه بالإعدام وسط مجموعة من الرجال المحكوم عليهم بنفس الحكم لكنه يجهل تماماً موعد إعدامه، ويرى بعض رفاقه وهم يعدمون كل يوم ليس بالتشبيه الصحيح تماماً، فالإنسان يبدو بالأحرى كمحكوم عليه بالإعدام يعد نفسه بشجاعة للنهاية، ويبذل جهداً كبيراً للقيام بعرض طيب على منصة الإعدام¹. ولعل سارتر قد اتخذ هذا التشبيه لمنتظر الموت نظر للمعرفة التي يمتلكها الإنسان بأنه ميت لا محالة، وأنّ الفناء على هذه الأرض أمر محتوم ولا مهرب منه.

ب) البكاء والتخفيف عن الألم:

يكون البكاء عادة إثر الشعور بألم حسي، أو معنوي نابع من داخل الإنسان هذا الأخير الذي تنبض بأعماقه كتلة من الأحاسيس، والمشاعر المفعمة بالحنان والحب. يعيش الإنسان مع من يحب لمدة من الزمن لكن الموت الذي يأتي فجأة يأخذ منه هذا الأنيس، فيشعر بفراغ رهيب وبصدمة عنيفة تهز كيانه فنجدّه يبكي بلا انقطاع، وصدى الصراخ، والعيول يملأ أرجاء المنزل، ويُسمع من بعيد في عدة حالات أين لا يتغلب على حزنه، ومن الأشياء التي لاحظناها أثناء التحقيق الإثنوغرافي عدم خروج المعزين من بيت الميت دون احمرار أعينهم من كثرة البكاء، ولا يجب علينا إغفال ذكر الاختلاف الذي يكون في طريقة التعبير عن الحزن في حالة وفاة شاب، أو شابة في مقتبل العمر، أو شخص مُسنّ. ففي الحالة الأولى يكون العويل حاد، ويستمر الحزن لعدة أشهر، وكثيراً ما يتعدى السنة ونصف العائلة التي فقدته لا تستطيع لجم، أو كبح المشاعر الحزينة، والعيون المنهمرة كلما ذكر اسم الميت. أمّا في الحالة الثانية فإن الحزن يكون أقل درجة عن الحالة الأولى لأن الميت قد أسس عائلة وعاش عمراً لا بأس به قد يصل في أكثر الحالات إلى السبعين، وما فوق ومما كان يتداول بين المسنين أثناء التحقيق الإثنوغرافي هو طلب الجدة من حفيداتها اللواتي أسسن عائلات أن يبكين عليها يوم وفاتها معبرات عن ذلك بهذه العبارة:

" أيا سيي شُبْحَمْتِي نَمْظَلْتِيُو أُيْتَسْجَامْتَرَاغْ أَذْفَعْ أَمْ ثَمْنَفُورْثْ أَلَاشْ أَنْوَا آيْتَسْرُونْ قَلِي "

¹ - جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1990، ص 257.

بمعنى: من فضلكن يا بناتي لا تجعلن جنازتي تمرّ ببرودة، ولا تدعني أخرج مثل المقطوعة من شجرة دون أن يبكي عليها أحد¹.

فالبكاء في الحالة الثانية يكون بكاءً أقل قوة حسب درجة الألم، ودرجة الحزن، وحسب مكانة الفقيد وعمره. يبكي ولد الميت بحرقة على أبيه، وتبكي الفتاة بحرقة على أخيها المتوفى... الخ لكن لما نشاهد المعزين يبكون بحرقة فإنهم يتعاطفون مع أهل الفقيد فلا يمكن لأي شخص أن تظل مشاعره باردة حين يشاهد مشهد أولاد صغار يبكون، ويتعاطف معهم فتنتابه مشاعر الشفقة، والأسى، والحزن، واللوعة لكن لما نجده ينهه ولا يكف البكاء، وفي حالات كثيرة يتصرف تماماً كما يتصرف أهل الفقيد في التعبير عن الألم فإنه حتماً يعاني من حالة نفسية سببها الموت الذي يدفعه دوماً للميل نحو تكرار هذا الألم الذي عاشه في يوم من الأيام حين فقد أحد أعزائه هذا ما أسماه فرويد رحلة العودة إلى مراحل سابقة².

إنّ المرحلة العصبية التي مرّ بها هذا المعزي أثناء فقدانه أحد والديه تتكرر وبطريقة لا شعورية أثناء حضوره كلّ جنازة توفيت فيها امرأة مخلّفة أبناء لها مثلاً، وهذا ما استنتجناه حين قمنا باستجواب أكثر من معرّ خلال تحقيقنا الإثنوغرافي. فحين قالت لنا إحدى السيدات: " يندفد الجرحيو سوداً، كراً تُسْقُطُورُ تَسَاوُ مَكّا تَسَوَالِيغ يسس لرا تسْقِيلِيحنت إِمطَاوناقي بِنو أَقْمَنرا كان أدحيسن باطل إيه والله آرّ غاظنتي ماتشي دُكْرا أمانا مكاغذ يما مسكينت أتسيرحم ربّي " بمعنى: " لقد جرحت في الصميم من جديد، فكبدني³ ينزف لما أشاهد هذه الفتيات يتعذبن حزناً، إن دموعي المنهمرة دون توقف ليست لسبب تافه، أقر أنّني أشفق عليهن كثيراً لما أصابهن من محنة لكنني تذكرت أمّي رحمها الله⁴.

وتقول أخرى في نفس المقام: " آيا يّلي أريغد إمانيو فمكان التّهين إقرلن أدفلّسيافو رُئي تُجَادُ أَرَاوسُ أورنتريوي، أولاش أشو افواعرن أمك افواعر أدجّظ أراويك ذفيرگ وارترزيظ داشوغ آرا

¹ - عن السيدة حاجي ذهبية : إحيقاون بوادة 2012/5/12.

² - محمود منير منصور: الموت والمغامرة الروحية : دار الحكمة، دمشق ، سوريا ، 1987، ص117.

³ - المعنى المراد هنا ليس نزع الكبد وإنما نزع القلب.

⁴ - عن المخبرة: ش(حورية)، قرية لمشاتي، بلدية ودائرة واقنون ، ولاية تيزي وزو، بتاريخ: 2011/06/11.

ثياغن " بمعنى: " إيه بنيتي لقد تخيلت نفسي مكان هذه الممددة هنا¹ رحمة الله عليها، لقد تركت أولادها دون أن، تشبع العيش معهم، أصعب ما في الكون هو أن ترحل خلفا أبناءك الأعراء جاهلا ما سيحصل لهم بعدك²

نكتفي بهذين الاستشهادين فقط كي نبين أنّ من الباكين بحرقة أولئك الذين يستذكرون موتاهم فتحيا تلك الآلام حين يعيشون نفس الحالة التي مرت بهم، ومن الباكين بحرقة أولئك الذين يشفقون على أهل الميت فهم أناس يشعرون بآلام الآخرين فيشاركونهم مصيبتهم، وألمهم، ومن الباكين بحرقة أولئك الذين يتخيلون أنفسهم متعرضين لنفس هذه المحنة، ونفس هذه المصيبة وهذا ما يبينه الاستشهاد الثاني الذي أوردناه أعلاه.

إن هذا البكاء ليس سوى مجرد وسيلة نعبر بها عن آلامنا التي تعذبنا بداخلنا، أو طريقة تعاطفنا بها مع شخص وقع في شباك الحزن الأليم، وما نلاحظه في أغلب الأحيان استرخاء المرء بعد بكاء طويل، وكأنه نوع من إخراج الألم، والتنفيس عن الأحران لأن كبت الألم في داخلنا سيؤدي حتما إلى انفجار في أي وقت كان. إنّ هذا الإنسان الضعيف المشحون بالمشاعر، والأحاسيس بحاجة إلى أن يضحك، ويبكي يصرخ، ويقوم بكل ما يجعله يفرغ تلك الطاقة السلبية التي تتأجج بداخله ليعيد إلى نفسه الهدوء، والتوازن.

(ج) الإطمئنان على الميت اطمئنان على الحي:

إنّ انقطاع الصلة الحسية للأحياء مع الموتى ينشئ الرغبة في إيجاد روابط تصنع بشكل رمزي جسرا يصلهم بالأموات ، وهذا الجسر الرمزي يشكّله عدد من الطقوس الدالة على ولاء هؤلاء الأحياء لموتاهم ، وارتباطهم بهم، مما يخفّف عنهم لوعة الأسى إثر فقدانهم الأحبة، ولهذا يكون لزاما علي أهل الميت أن يقوموا بعدد من الممارسات والطقوس السحرية التي تخلق الصلة من جديد بين الأحياء ، والأموات طقس استحضر الأرواح الذي تمارسه نساء ساحرات مختصات بتكليم الأموات .

¹ - تشير إلى جسد المتوفية.

² - عن المخبر نفسها المكان نفسه، التاريخ نفسه.

إنّ لجوء المرأة للسّحر كان نتيجة لتهميشها من المجتمع الذكوري هذا الأخير الذي سعى لإقصائها من كلّ ما يجعلها موازية له وأرفع درجة منه . ولهذا فهي تسعى دوماً أن تبين له قدرتها على الإتيان بما لا يستطيعه، لأنها كما يقول فراس السّواح: " بواقع تكوينها الجسدي، والنفسي أكثر قدرة على تحقيق هذه الصّلة . فنفسها أكثر شفافية ، ورقة من نفس الرجل الصّلبة ، والمغلقة... لذلك كانت المرأة الساحرة الأولى... وبسحرها كانت تمارس سلطتها وتعرّز مكانتها ضمن الجماعة".¹ انطلاقاً من هنا فإنّ انتقام الرجل من المرأة التي سيطرت عليه لوقت طويل من الزمن أمر لا غرابة فيه سعيًا منه الحصول على السلطة والإمساك بزمام الأمور . فكانت النتيجة ما ذكرناه أعلاه وهي الإقصاء والتهميش ، وهذا ما أدّى إلى نشوء هذا الصّراع الاجتماعي بين الذكر والأنثى . فإذا مارست المرأة السحر قديماً للسيطرة على الطبيعة بما فيها الرجل ، فإنّها تمارسه حالياً لإثبات نفسها ، ووجودها، وإظهار قدرتها على الحماية، وردّ الشّرور، بما فيها الأذى الذي سيسببه الميت في حال أساء الحيّ إليه.

لقد تعرّضنا لأدقّ التفاصيل التي تصاحب عمليّة الاتصال بالموتى (استحضار أرواح الموتى) في الفصل الثاني من البحث. وكانت الخلاصة شروع الساحرة في نقل كلام المتوفى بعد تناولها لقضمة من الخبز بعد تركيز طويل على البيضة التي أحضرها أهل الفقيد . وعادة ما يكون ملخّص الكلام تذكير الميت لأهله بالديون التي لم يردّها بعد، ثمّ يتحدّث عن المشاكل العائليّة وضرورة تسويتها ، ويعطي نصائح تدور دائماً حول التضامن و الوفاق والتعاون المتبادل ، كما يخبرهم عن ظروف موته، إنّ قلق الأهل على رحيله بطريق غامضة، ثمّ يطلب في أغلب الأحيان بعض الصّدقات كأكلته المفضّلة، أو فاكهة في غير موسمها، أو قطعة قماش... إلخ.

يحرص الأهل على تنفيذ هذه الطلبات والوصايا دون أي خلل أو نقص لإسترضاء روح الميت من جهة، ولإظهار وفائهم وولائهم له من جهة أخرى، وبهذا سيسلمون من غضبه فلا يزعجهم أو يؤذيهم .

إنّ أوّل ما تنقله الساحرة بلسان الميت هو طمأننة الأهل على حاله الذي يكون غالباً في أحسن الأحوال فيشعر الأهل بالسعادة، والراحة، والطمأنينة على فقيدهم الذي لا يعيقه أي شيء في عالمه

¹ - فراس السّواح: لغز عشتار الألوهة المؤنثة و أصل الدين والأسطورة ، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط7، 2000، ص256.

الجديد، ليتمكنوا بعدها مواصلة العيش بسلام دون قلق على فقيدهم الذي لن يقوم إلا بمباركتهم لأنه لا يحمل أي ضغينة، ولا يضر الشر لأحد، فالإطمئنان على حاله إطمئنان على مواصلتهم العيش بسلام .

الخاتمة

إنّ تطرقنا لهذا الجزء من مورثنا الشعبي الثقافي، الذي لم يلق العناية التي تتناسب مع أهميته من قبل باحثينا قد قادنا إلى الإجابة على عدة تساؤلات. تمكننا من خلالها الوصول إلى النتائج التالية : بدءا ارتباط الأشعار الجنائزية في أغلبها بالطقوس.

• تحتوي الأشعار الجنائزية على مضامين دينية بالدرجة الأولى، واجتماعية إنسانية بالدرجة الثانية.

• تحتوي مجمل الأشعار التي تردّد في الجنائز على مراسل موجهة للأحياء . وترمي معظم النصوص إلى إيقاظ القيم الدينية والإحساس الديني في الوسط الشعبي.

• يعمل حاملو وحاملات التراث على تلقينه في مجتمع البحث لأنه من الأمور الهامة التي لا يمكن لهم الاستغناء عنها، إذ يعتبر جزءا من شخصيته، ورمزا لهويته.

• تهدف معظم الأشعار والطقوس إلى إعادة التوازن الداخلي للإنسان القبائلي. كما تهدف إلى تقوية الروابط الاجتماعية.

• تتحدث بعض الأشعار الجنائزية بلسان الجمع، وأخرى بلسان المفرد.

• هناك أشعار خاصة ترافق طقوس الوفاة مرحلة تلوى الأخرى كما أنّ هناك أشعار و طقوس أخرى تؤدي على حدا .

• تستمد المخيلة الشعبية معظم الرموز التي تستخدمها للتعبير عن ظاهرة الموت، والألم الناجم عن فقدانهم الأحبة من الطبيعة والبيئة المعاشة.

• ترمى الأذكار والتعويذات المرافقة لغسل الميت إلى أداء وظيفة تطهيرية تساعد الميت على الاندماج في عالمه الجديد.

• تحترف فئة من الذكور في الشعر الجنائزي وهم المرابطون.

• تسعى طقوس الموت إلى اعتبار الموت ميلاداً رمزياً في عالمه الآخر فتتعامل معه الجماعة الشعبية كعبور إلى العالم الآخر، وهذا ما كشفت عنه النصوص الشعرية التي قدمناها في الفصل

الثالث حين صور الموت على أنه غربة، منه فإن احتمال العودة ممكن.

• يلبي الموروث الجنائزي احتياجات ثقافية، دينية اجتماعية ونفسية.

- تمتاز معظم الطقوس الممارسة في دورة الحياة بآلية التكرار حيث تتكرر في الميلاد، والوفاة طقوس معينة وفي الزواج والختان طقوس أخرى ، وهذا استنتاجنا من الفصل الأول من البحث كما تتكرر نفس التعويذات في الميلاد والختان .
- استنتاجنا أنّ طقوس الانتقال هي ردود فعل دفاعية ضد التهديدات التي تعترض الإنسان.
- تمارس الطقوس الجنائزية لسلامة الأحياء وليس للأموات كما يبدو ظاهريا كطقس ذبح الديك أمام باب البيت على جثة الميت في حادث.
- ثبات بعض الطقوس والممارسات على صورتها القديمة لبقاء وظائفها الأصلية ، ولا يرى فيها المنتجون أي تعارض مع الدين الإسلامي بل يعتبرونها جزءاً منه.
- شعور أهل المتوفي بالراحة، والطمأنينة على مصيره بعد أداء بعض الطقوس مثل طقس استحضار الأرواح.
- تعد النساء أكثر الناس ممارسة للسحر والطقوس وأكثرهن إيماناً بنجاعتها بل ويناضلن لتعليم هذه الممارسات بطريقة سرية لكنائهن، وبناتهن وحتى جاراتهن.
- يأخذ الرجال على عاتقهم المظهر الديني، والمظهر الخطابي وبعض النصوص ذات المحتوى الخاص ويسعى للإقصاء النساء من هذه الأدوار التي تجعلها تتال مرتبة اجتماعية راقية.
- الأشعار الجنائزية نمط خاص بالنساء والرجال.
- تسعى طقوس الموت إلى اعتبار الموت ميلادا رمزيا في عالمه الآخر، فتتعامل معه الجماعة الشعبية كعبور إلى العالم الآخر، وهذا ما كشفت عنه النصوص الشعرية التي قدمناها في الفصل الثالث حين صوّر الموت على أنه غربة، وسفر، منه فإنّ احتمال العودة ممكن.
- قلق الإنسان وخوفه من الموت ليس خوفاً من الموت بحدّ ذاته ، وإنّما خوفاً من المعاناة قبل الموت فهو خوف من المجهول.
- ختاما سعي الممارسات الطقوسية إلى اتمام عملية ادماج روح الميت في عالمه الجديد وعدم عودتها إلى الحياة مرة ثانية من زاوية، وإلى تماسك الجماعة الشعبية وتأكيد اتحادها في مواجهة الأخطار التي تتهددها خصوصا بعد وقوع حادثة الموت المفجعة من زاوية أخرى .

إن محاولتنا الإلمام بمختلف الجوانب التي تصاحب ظاهرة الوفاة قد أدى بنا إلى استخلاص النتائج التي ذكرناها أعلاه لكن الأمر الذي لم نتمكن من البحث فيه لضيق الوقت هو : ما هي أوجه التشابه بين الأشعار والطقوس الجنائزية المحلية و الأجنبية؟.

ما الذي يجعل ممارسة الطقوس السحرية من قبل النساء مستمرة رغم محاربة المسلمين لها ورغم وعي أكثرية النساء ؟ وإذا حدث يوما وأن طمسوا هذه الممارسات، فما البديل يا ترى ؟

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بطلب الإتحاد فيما بيننا لمواصلة تدوين، وتحليل موروثنا الثقافي المحلي . ولما لا نقدم أعمالنا المرفوقة بالتحليل الجاد كموسوعة فلكلورية خاصة بالثقافة الشعبية الجزائرية بصفة عامة، والقبائلية بصفة خاصة، ولما لا نحاول ترجمة أشعارنا الشعبية إلى عدة لغات ليتسنى للباحث في مختلف بقاع العالم الاطلاع عليها فيحاول بدوره النقد والتحليل والمقارنة . لما لا ننشئ مواقع تراثية على شبكة الأنترنت لننشر فيها موروثنا الثقافي المحلي كما يفعل إخواننا الفلسطينيين الذين يسعون بشتى الطرق إلى الحفاظ على تراث أجدادهم الثقافي.

الهدوِّنة

- الأذكار الجنائزيَّة النسائيَّة
- الأذكار الجنائزيَّة الرّجاليَّة

الأذكار الجنائزية النسائية

الأذكار الجنائزية سائدة

لا إله إلا الله أصلي عليك أيها النبي
لا إله إلا الله بك نفتتح الذكر

لا إله إلا الله محمد العربي
لا إله إلا الله ما أحلى الكلام عنك

لا إله إلا الله يا محمد كن أنيسي
لا إله إلا الله في مسكن الدار الآخرة

لا إله إلا الله أصلي عليك أيها النبي
لا إله إلا الله حبك سكن قلبي

لا إله إلا الله سأصلي عليك أينما ذهبت
لا إله إلا الله إلى أن يفنى جسدي

لا إله إلا الله ان الموت يفرق الأحبة
لا إله إلا الله سامحت كل من رآته عينايا

لا إله إلا الله أصلي عليك أيها النبي
لا إله إلا الله حبك سكن الذخاع

لإله إلا الله سأصلي عليه أينما ذهبت
لإله إلا الله إلى أن تنتهي أيامي

لإله إلا الله إن الموت يفرق الأحبة
لإله إلا الله سامحت كل من رأي

لإله إلا الله صلوا على النبي يا مؤمنين
لإله إلا الله فليصل عليه الصغير والكبير

لإله إلا الله هو أساس الدين
لإله إلا الله واجب علينا تذكره

لإله إلا الله ساعة يوم الحساب
لإله إلا الله نتوسل الله أن يحمينا

لإله إلا الله أصلي عليك أيها النبي
لإله إلا الله ثلاث مائة ومئة ألف مرة

لإله إلا الله ذرية سيدنا يعقوب
لإله إلا الله والد سيدنا يوسف

لإله إلا الله أرزق الجنة للمرحومة
لإله إلا الله واجعلها في حوض النبي مستحمة

لا إله إلا الله لا إله إلا الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله لا إله إلا الله

*****:

القصيدة 02 :

الله الله أسفا على من أوهمه قلبه بالطمأنينة
الله الله يأتيه النعاس فينام

الله الله أيها الإخوان الصادقون
الله الله أتينا لنستغل جمع الحسنات

الله الله اذا أتانا الموت فسنرحل
الله الله كل سيدفن لوحده

الله الله كم هو بعيد المكان الذي منه جئنا
الله الله بالحب بدأنا المسيرة

الله الله أتينا لزيارتكم
الله الله أحبابي الأعزّاء

الله الله يا حارس هذا المكان

الله الله امنحنا بركة هذا الميت

الله الله أسعد الله صباحكم

الله الله يا أهل الميت

الله الله عظم الله أجركم

الله الله رجالا كنتم أو نساءً

الله الله كل ما خلق فان

الله الله سنرحل واحدًا تلو الآخر

الله الله التحرّر نريده

الله الله لكن الأجنحة مقيّدة

له الله قسما بمن يصليّ الصّبح

الله الله وضوءه بالماء القارس

الله الله امسكوا بيد المسكين

الله الله وامسحوا دمه المنهمر

الله الله أيتها الشجرة العالية

الله الله بأعلي البحر

الله الله أثمرت حبًّا رقيقا

الله الله رقيقا مثل حبات الكسبر

الله الله من حبيب الله ؟

الله الله من أصابته محنة وصبر

الله الله أيها القلب القاسي

الله الله استمع للشيخ حين يعظ

الله الله سلّ المقام ليخبرك

الله الله كلّ من مرّ حجّ به

الله الله كل من خلق فانّ

الله الله نرحل ويخلق آخرون

الله الله أصلي عليك أيها النبيّ

الله الله كلما ذكرتك زال عذّي القلق

الله الله لولاك

الله الله لحزنت الشمس ولم تشرق

الله الله أرأف بنا لوجه المؤمنين

الله الله والصبيّ الذي لم يتكلم بعد

الله الله أصلي عليك أيها النبيّ

الله الله عدد السموات السبع

الله الله ربي هو من صلى عليك

الله الله وأمر عباده في الأرض

الله الله من هرع إليك نجا

الله الله حرمت عليه جهنم

الله الله أصلي عليك أيها النبي

الله الله بعدد أوراق شجرة "أسيسنو"

الله الله أستحلفك بسيدنا اسماعيل

الله الله اصطحبه أبوه لذبحه

الله الله نادته الملائكة

الله الله احرص أن لا يكون السكين حادا

الله الله فضاء يوم الحساب

الله الله في حمايتك أيها النبي سنكون

الله الله أصلي عليك أيها النبي

الله الله عدد هؤلاء الذاكرين

الله الله عدد هؤلاء الذاكرين

الله الله ذرية الحسن والحسين

الله الله ربي ّ هو من اختارهم
الله الله فضاء يوم الحساب ربي ّ أحشرنى معهم

القصيدة 03:

أصلي عليك أيها النبي ّ والأنبياء المئة ألف
ذرية سيدنا يعقوب والد سيدنا يوسف
أرزق المرحومة جنة
بحوض النبي ّ اجعلها متطهرة

لا إله إلا الله لا إله إلا الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله

الله الواحد مولنا، يا من لم تحضنه أمه
خلق مئة أذرع سقفا بدون أعمدة
ارزق المرحومة جنة
والحضور غفراناً

لا إله إلا الله لا إله إلا الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله

اللهم اجعلنا مثل يوسف رماه اخوته إلى البئر
 سبقت إلى حفظه الملائكة وسيدنا جبريل
 أرزق المرحومة الجنة
 والسابقين من الرجال والنساء

لا إله إلا الله لا إله إلا الله
 لا إله إلا الله محمد رسول الله

أيها النسيم بلغ سلامي لفاطمة وأبنائها
 أرزق المرحومة الجنة
 ولكل المستمعين

لا إله إلا الله لا إله إلا الله
 لا إله إلا الله آمين ياربى اذ شَاء الله
 لا إله إلا الله لا إله إلا الله
 لا إله إلا الله محمد رسول الله

القصيدة 04 :

أ الله هـ آ الله اصلي عليك ايها النبي
 هـ أ الله هـ آ الله صلى الله عليه وسلم

هَآ آ الله هَآ آ الله كلما ذكرتكَ أكلت وشبعت
هَآ آ الله هَآ آ الله كلما جعت

آهَآ آ الله هَآ آ الله يا محمد كن أنيسي
هَآ آ الله هَآ آ الله يوم نحاسب في القبر

هَآ آ الله هَآ آ الله أصلي عليك أيها النبي
آهَآ آ الله هَآ آ الله محمد يا خير الناس

هَآ آ الله هَآ آ الله خذْ سلامي معك
آهَآ آ الله هَآ آ الله بلغه للرب وقل له

آهَآ آ الله هَآ آ الله أن هذه الروح خائفة من القبر
آهَآ آ الله هَآ آ الله فأتوسلك أن تعفو عنها يا الهي

هَآ آ الله هَآ آ الله أصلي عليك أيها النبي
آهَآ آ الله هَآ آ الله عدد أيام شهر الخريف

آهَآ آ الله هَآ آ الله والكعبة الشريفة
آهَآ آ الله هَآ آ الله والنسيم المرفوف

آهَآ آ الله هَآ آ الله هذه الروح خائفة القبر
آهَآ آ الله هَآ آ الله لترافق الشيخ "الشريف"

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ أَصْلِي عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ عِدَّةَ أَيَّامِ شَعْبَانَ وَرَجَبَ

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ كُنْتُ مَعَ طُلَّابِ الْعِلْمِ

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ الدَّارِسِينَ سِتِينَ حَزْبًا

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ هَذِهِ الرُّوحُ خَائِفَةُ الْقَبْرِ

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ لَتُرَافِقَ الشَّيْخَ "الطَّيِّبَ"

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ أَفْرَحِي يَا مَلَائِكَةُ أَفْرَحِي

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ أَفْرَحْنِ بِالضَّيْفِ الْمَقْبَلِ

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ لَيْسَ لِيَسْدَآ جَدِيدًا

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ غَسَلْنَا عِظَامَهُ بِعُنَايَةٍ

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ أَتَوَسَّلُ قُدْرَتَكَ الْهَيَّ

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ بِالْجَنَّةِ اجْعَلْ لَهُ مَكَانًا

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ يَأْمَنُ عِلْمُ وَرَأْيِي

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ بِالْمَوْتِ الْقَادِمِ نَحْوِي

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ قَادِمٌ بِصَوْتِهِ الْمَوْلَمُ الْمَخِيفُ

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ كَصَوْتِ الرِّعْدِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ

أَهَّاهَا اللهُ هَآآ اللهُ أَتَوَسَّلُ قُدْرَتَكَ الْهَيَّ

أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ فَلْتَشْهَدْ عَلَيَّ

أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ إِنْ الْعَبْدَ الَّذِي هُوَ مُؤْمِنٌ
أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ تَقَبَّلْ اللَّهُ دَعَاؤَهُ

أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ عِنْدَمَا يَنْتَظِرُ الْمَدَاوِلَةَ
أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ مَسْكِينٌ قَلْبُهُ مَجْرُوحٌ

أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ الْآخِرَةَ صَعِبَةً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ مَنْ قَالَ: إِنَّكَ خَالِدَةٌ أَيْتُهَا الرُّوحُ؟

هَآأَ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ لَوْ هَدَانِي اللَّهُ
أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ لَتَفَرَّغْتَ لِلْعِبَادَةِ فِي الْجَامِعِ

أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ أَهْيَى
أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ فِي رَأْسِ مَالِي

أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ مَنْ مَارَسَ دِينَهُ كَمَا يَجِبُ
أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ مَنْ الْمَحَالُ أَنْ يَخَافَ

أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَقَدْ حَلَّ الظَّلَامُ
أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ وَانْطَفَأَ الضَّوُّ الْمَتَوَهِّجُ

أَهَّاهُ اللَّهُ هَآأَ اللَّهُ ضَعُفَتِ التَّوْبَةُ فِي الْقُلُوبِ

أَللهُ هَآ آ اللهُ صَارُوا يَحْسِبُونَ النُّقُودَ فَقَطْ

أَللهُ هَآ آ اللهُ أَتَوَسَّلُ قُدْرَتَكَ الْهَيَّ

أَللهُ هَآ آ اللهُ أَنْ تَجْعَلَ رُوحِي تَقِيَّةً صَالِحَةً

أَللهُ هَآ آ اللهُ الدُّنْيَا أُعِيدَ تَعْمِيرُهَا

أَللهُ هَآ آ اللهُ بَدَأَ مِنْ الضَّيْعِ فِي الْمَهْدِ

أَللهُ هَآ آ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ نَحْبُ

اللهُ هَآ آ اللهُ مَرَّ زَمَانُ الْخَيْرِ

أَللهُ هَآ آ اللهُ إِذْ حُلَّ زَوَالُ الْعَالَمِ

أَللهُ هَآ آ اللهُ أَنْجَيْنَا مِثْلَمَا أَنْجَيْتَ سَيِّدَنَا نُوحَ

القصيدة 05:

سَقَطَ ثَلْجٌ نَاصِعُ الْبَيَاضِ

ظَهَرَ عَلَى كُلِّ قِمَمِ الْجِبَالِ

اللَّهُمَّ أَتَوَسَّلُكَ بِالْأَوْلِيَاءِ وَكُلِّ الْحَرَّاسِ

أَرْزُقِ الْمَرْحُومَةَ الْجَنَّةَ

وَأَرْحَمْ كُلَّ الْحَاضِرِ

ها نحن نكثر الكلام عن الدنيا وهي فانية
ها نحن نكثر الكلام عن الدنيا وهي فانية

محمد أنسني حين يحلّ الموت
محمد أنسني حين يحلّ الموت

أصلي عليك أيها النبيّ من الصبح إلى العصر
اللسان يكثر الكلام ونسي الفناء
أحمد أتوسلك أنسني في إقامة الوكر

إِلهَ الْإِلَهِاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
لَهُ الْحُكْمُ ذُرِّيَّتُهُ مُطِيعَتُهُ

أصلي عليك أيها النبيّ من الصبح إلى العشاء
ها نحن نكثر من الأكاذيب وتتاسينا فناء الدنيا
محمد أنسني حين أسقط ميداناً

إِلهَ الْإِلَهِاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
لَهُ الْحُكْمُ ذُرِّيَّتُهُ مُطِيعَتُهُ

صلي عليك أيها النبيّ من الصبح إلى العشاء
ها نحن نكثر النميمة ونتناسى فناء هذا الكون
أحمد كن أنيسي وكن لي كذخر النجاة

لا إله إلا الله لا إله إلا الله
الله مٌحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ

من أراد دخول الجنة فليبني بيتا
ليصلي ويذكر ويمسك لسانه
يوم الحساب سيجد النبي رفيقا

لا إله إلا الله لا إله إلا الله
لا إله إلا الله مٌحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ

الكتب كلها تتصح بتهيئة زاد الآخرة
الموت غربة أبدية
مستحيل أن يعود من مات

لا إله إلا الله لا إله إلا الله
لا إله إلا الله لا إله إلا الله

القصيدة 07:

انقضى العطف والحنان من القلوب، دنيا متقلبة
صار الأحباب والأصدقاء أفضل من الأقارب

لهم أغفر لأخير الناس

أخذُ ير الناس أغفر من أكثر من صنع الخير

ها أنا مثل أفقر المكسور الجناح
في أسفل الجبل
حلقت اخوته في الأفق
وتحتّم عليه البقاء لسوء حالته
الله موجود أينما كنت ناده ويجيبك

أخذُ ير الناس يا من أكثر من صنع الخير
اللهم اغفر لهذا المرحوم فهو أخذُ ير الناس
أماه سامحيني بحرمة الخميس و الجمعة
كم تعبت من أجلي في البرد و المطر
آه يا بنيّتي أنا سامحتك فكبد الأم لا يحقد
اللهم اغفر لهذا المرحوم فهو أخير الناس

أماه سامحيني بحرمة الخميس والإثنين
كم تعبت من أجلي في البرد والثلوج
آه يا بنيّتي أنا سامحتك فكبد الأم لا يحقد

أخذُ ير الناس يا من أكثر من صنع الخير
اللهم اغفر لهذا المرحوم فهو أخير الناس

سامحني أمّ آه سامحيني من عمق القلب
تسعة أشهر في رحمك

عامين بين الأحضان وعلى الظهر
ما أتمنى لأمي: الجنة ووجهك أيها الرسول

أخُير الناس اغفر لهذا المرحوم فهو أخير الناس
أخُير الناس يامن أكثر من فعل الخير

مررت بالمقبرة يوماً فنادتني أمي
بنيتي صبراً ولا تبكي لست الوحيدة المتوفية
فقد وجدت المقبرة عامرة بالأحباب و الإخوان

اخُير الناس يا من أكثر من صنع الخير
اللهم اغفر لهذا المرحوم فهو أخير الناس

مررت بالمقبرة يوماً فنادتني أمي
بنيتي صبراً ولا تبكي لست الوحيدة المتوفية
فقد وجدت المقبرة عامرة بالأحباب و الأقارب

اخُير الناس يا من أكثر من صنع الخير
اللهم اغفر لهذا المرحوم فهو أخير الناس

اللهم أستحلفك بالأولياء الصالحين وكل الحراس
والطلبة الحفظة وكل حامل كراس

واستحلفك بالأيام الذين لا يملكون أمّا

والفلاحين الذين يحرثون الزرع بصدق

وأستحلفك بالسيدة فاطمة ووالدها

والمدينة والكعبة اللامعة

بأن ترزق المرحومة جنة

وترحم كل الحضور

لا إله إلا الله لا إله إلا الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله

القصيدة 08:

أهّا الله الله صلاة الجمعة

أهّا الله الله تشبه المركبة

أهّا الله الله هيأها لنا النبيّ

أهّا الله الله أصلي عليك أيها النبيّ

أهّا الله الله عذبّ ذكرك كالمياه الصافية

أهّا الله الله صلاة الجمعة

آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ كمن ركب الحصان
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ الجنة الالامعة كأشعة الشمس

آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ قد هياها لنا النبي
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ أصلي عليك أيها النبي

آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ فأنت وحدك الغالي الذي نعزه
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ قلبي متعلق بك

آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ كتعلق الطفل بهز مهده
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ أنسنا يا محمد حين توزن أعمالنا
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ الرسول نور الحياة الدنيا
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ وأكثر نوراً و بريقاً في الآخرة

آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ هو من أخبرنا بوجوب الصلاة
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ وصيام شهر رمضان فريضة

آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ يوم الحساب
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ نتوسل الله أن يسترنا

آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ يا قلبي داوم على الصلاة
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ كمدائمة طيكوك على نفس الكلام
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ حينها لن يحوم الشيطان حولنا

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ فَتَفْسِدُ مَشَارِيعَهُ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ أَتَعْجَبُ فِيمَنْ يَسْتَهْتِرُ بِدِينِهِ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ وَلَمْ يَخَفْ مِنْ مَلِكِ السُّؤَالِ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ أَصْلِي عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ يَا صَاحِبَ الْهَلَالِ فِي الْجَبْهَةِ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ فَازَ مِنْ صَلَّى عَلَيْكَ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ لَيْسَ كَمَنْ أَخَذَهُ الْهَوَى

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ يَوْمَ الْحِسَابِ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ اجْعَلْنَا يَارَبَّ مِنَ الْأَوَائِلِ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ الْخَوْنِي الَّذِي يُحِبُّهُ شَيْخُهُ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ يَتَخَلَّى عَنْ بَشَاشَةِ الدُّنْيَا

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ جَعَلَهُ قَرِيبًا مِنْهُ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ فَعَلَّمَهُ الْأَسْسَ الصَّحِيحَةَ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ يَوْمَ الْحِسَابِ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ نَجِدُهُ دَائِمًا مَرْتَاحًا

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبِي

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْوَفَاءِ

آهَ اَ اللّٰهَ اَللّٰهَ وَاجْعَلْ لِسَانِي نَقِيًّا كَالْفُطَةِ

آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ فَأَيْنَمَا حَلَّ يَرْحُبْ بِيَّ الْجَمِيعَ
آهَ اَ اللّٰهَ اَ اللّٰهَ حِينَ تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْحَنِينِ

آها الله آ الله ليس بمقدرة أحد غلقها
آها الله آ الله العبد المؤمن

آها الله آ الله تقبل أدعيته
آها الله آ الله حين يسمع الكلام عن الآخرة

آها الله آ الله يحزن ويجرح قلبه من الخوف والآلم
آها الله آ الله الآخرة صعبة أيها المؤمنون

آها الله آ الله فمن منا يضمن روحه
آها الله آ الله أصلي عليك أيها النبي

آها الله آ الله محمد يا أخير الناس
آها الله آ الله خذ سلامي معك

آها الله آ الله وبلغه لرنا العزيز ثم أخبره
آها الله آ الله أن الروح خائفة من القبر

آها الله آ الله فأتوسلك أن تغفر عنها
آها الله آ الله سلام يا أسيادي لخوان

آها الله آ الله أتيتكم لترولي كيف هو المسدّ

آها الله آ الله الذي عملك لحية زرقاء

آها الله آ الله أو مثل أزهارالنوَّار

آها الله آ الله من فضلك يا رسولنا

آها آ الله اجعل لنا في الجنة مثوَّا حسناً

آها الله آ الله من صلى على النبيَّ صار غنياً

آها الله آ الله وسينجيه الله من كرب القيامة

آها الله آ الله فهو صاحب العمل الصالح

آها الله آ الله فيجمع الحسنات ليل نهار

آها الله آ الله ليس كما يثرثر دائماً

آها الله آ الله فيتعدى حدوده دائماً

آها الله آ الله أصلي عليها يا النبيَّ

آها الله آ الله جبريل عليه السلام

آها الله آ الله اسمع كلامي

آها الله آ الله واسأل الله ان كان سيقبل دعائنا

آها الله آ الله أخبره أن المؤمنين يعانون حزناً شديداً

آها الله آ الله فقد تجبر عليهم الظالمون

آها الله آ الله أيها الغصن العالي

آها الله آ الله العالي على مقبرة من البحر

آها الله آ الله أثمرت حباً دقيقاً

آها الله آ الله دقيقاً مثل الكسبر

آها الله آ الله من هو حبيب الله

آها الله آ الله من أصبته محنة و صبر

آها الله آ الله نريد أن نمرح ونسعد

آها الله آ الله ولكننا مكبلون بالآزوق

آها الله آ الله يا من يصدّ لون الفجر

آها الله آ الله بالماء القارس

آها الله آ الله خذو بيد المسكين

آها الله آ الله وامسحوا دموعه

القصيدة 09:

سقط ثلج ناصع
 وبان على قمم الجبال العالية
 تعالوا يا اخوان
 اللهم أتوسلك بالأولياء
 وكل الحارس
 تعالوا يا اخوان
 ارزق الجنة لهذه المرحومة
 و أعفوا عن كل الحضور
 تعالوا يا اخوان
 نزور الشيخ عبد الرحمن
 أصلي عليك أيها النبي
 ثلاث مائة ومئة ألف
 تعالوا يا اخوان
 ذرية سيدنا يعقوب
 والد سيدنا يوسف
 تعالوا يا اخوان
 أرزق الجنة لهذه المرحومة
 واجعلها في حوض النبي متطهرة
 تعالوا يا اخوان
 نزور الشيخ عبد الرحمن
 أصلي عليك أيها النبي
 عدد الذاكرين

تعالوا يا اخوان
 ذرية الحسن و الحسين
 أختيار الله
 تعالوا يا اخوان
 يوم الحساب
 إجعلنا بينهم
 تعالوا يا اخوان
 نزورالشيخ بن عبد الرحمن
 اللهم أتوسلك بالأولياء
 وكل الحراس
 تعالوا يا اخوان
 أضيف الطلبة الدارسين
 وكل من أمسك كراسا
 تعالوا يا اخوان
 أضيف الفلاحين
 يزرعون ويفلحون بصدق وحب
 تعالوا يا اخوان
 أضيف اليتامى
 الذين لايملكون أمنا
 تعالوا يا اخوان
 أضيف الصدّ حابة سيدتنا فاطمة وأبوها
 تعالوا يا اخوان
 أضيّق المدينة المنورة
 تعالوا يا اخوان

أرزق الجنة للمرحومة

وأعف عن أمقبلي

تعالوا يا اخوان

نزور الشيخ بن عبد الرحمن

نزور المشايخ الذين يعبدون الله

تعالوا يا اخوان

القصيدة 10 :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ انْشَاءً اللَّهُ تَكُونُ آخِرُ الْفَاطِنَا

محمد رسول الله يأخذنا إلى الجنة

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَطْلُبُكَ يَا رَبِّي بِصَدَقِ

محمد رسول الله بيتي الحقيقي هو القبر

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَذْكُرُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى الذِّكْرِ

محمد رسول الله سنخلد في قبورنا

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَذْكُرُكَ يَا رَبِّي بِلِسَانِي

محمد رسول الله نجدك يا نبينا أنيساً

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ انشاء الله تكون آخر ألفاظنا
 محمد رسول الله يأخذنا إلى الجنة
 - يَنْ يَارَ بْنَ الْعَالَمِينَ
 - يَنْ يَارَ بْنَ الْعَالَمِينَ
 - يَنْ يَارَ بْنَ الْعَالَمِينَ

القصيدة 11 :

أَهَّاهُ اللَّهُ اللَّهُ يريد قلبي أن يزور
 أَهَّاهُ اللَّهُ اللَّهُ أن يزور قلب الصالحين

أَهَّاهُ اللَّهُ اللَّهُ بعدها الكعبة الشريفة
 أَهَّاهُ اللَّهُ اللَّهُ ويدعو من رب العالمين

أَهَّاهُ اللَّهُ اللَّهُ أن يزور قبر النبي
 أَهَّاهُ اللَّهُ اللَّهُ وسيشفى كل مريض

أَهَّاهُ اللَّهُ اللَّهُ أريد أن أرحل
 أَهَّاهُ اللَّهُ اللَّهُ من يريد ذلك أيضا فليأتي معي

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ هَإِنَّا نَادَيْتُ صَالِحِينَ هَذَا الْبَلَدُ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ فَلَا تَخَافُوا يَا مُؤْمِنِينَ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ سَنَكُونُ فِي الْجَنَّةِ أَنْشَاءَ اللهِ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ غَنِيٌّ مِنْ زَارِ الْأَسْيَادِ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَالْمَشَايِخِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ هَكَذَا أَخْبَرَنَا

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ سَيُظَلُّ بِحَبْهِمْ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَسَيُنِيرُ مِنْ أَحَبِّ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَيُشِيعُ كَالشَّمْسِ أَوَّلَ الْقَمَرِ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ مَنَارٌ وَجْهُهُ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ حِينَ يَسْمَعُ إِلَى الْكَلَامِ عَنِ الْآخِرَةِ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ يَحْسُنُ الْإِنْصَاتِ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ الْمُؤْمِنُ يَمُرُّ عَلَى الصَّرَاطِ بِسَلَامٍ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَمْ يَنَادِ شَيْخَهُ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ الْخَوْنِي الَّذِي يَحِبُّهُ شَيْخُهُ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ يتخلَّى عن متاع الدنيا

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ يجعله قريباً منه

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ فيعلمه عن الأسس الصحيحة

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ يوم الحساب

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ الذِّكرِ جبل النور

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ من اعتاد عليه فلن يصبر على تركه

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ الذَّاكرِ يغمس في أعماق ذكره

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ يتأمل ويهيئ الآخرة

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ يوم الحساب

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ سنسكن القصور في الجنة

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ ها أنا عند العرب

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ أحرث وحدي مرتاح البال

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ لما أسمع ذكرُ الشَّيخِ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ أترك زوج الثيران وأذهب

هَآأَ اللهُ اللهُ اللهُ ريناً ولك الحمد

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ اتبعت الطريق إليك

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ ياأحبابي سأهرب

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ من هذه البلدة المليئة بالوحوش

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ لا يصومون ولا يصلون

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ و يطيلون ألسنتهم

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ الآخرة جد صعبة أيها المؤمنين

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ كالمطحنة التي تطحن أكروش

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ يا أحبابي سأهرب

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ من هذه البلدة المليئة بالخنازير

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ لا يصومون ولا يصلون

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ ويتكلمون بغضب

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ أيها المؤمنون ان الآخرة صعبة

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ كالمطحنة التي تطحن الحبوب

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ لو لم أخف ربي

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ سأحصدكم كالحلفاغ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ وأطبخكم زيتاً

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ وأقلل لها من القمح

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ أصبحت التوبة معايرة

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ اللهُ وصرنا نصلي على النبي خفية

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ سَأُحْصِدْكُمْ أَزْقُطُوفَ
أَهَّاهُ اللهُ اللهُ وَأُطْبِخْكُمْ تَسْبِزِيلَتَ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ وَأَقْلَلْ مِنَ الْحَارِ
أَهَّاهُ اللهُ اللهُ أَصْبَحْتَ التَّوْبَةَ مَعَايِرَةَ
أَهَّاهُ اللهُ اللهُ وَصَرْنَا نَصْلِي عَلَى النَّبِيِّ خَفِيَّةَ
أَهَّاهُ اللهُ اللهُ أَتَبَاعُ اللهِ يَهْيِئُونَ لَكُمْ الْخَيْرَاتِ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ لِأَحَدٍ يَعْلَمُ وَقْتُ مَجِيئِهِمْ
أَهَّاهُ اللهُ اللهُ كَانَتْ هُنَاكَ شَجَرَةٌ حَمْضِيَّاتِ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ فَأَسْقَطُوا مِنْ أَوْرَقِهَا
أَهَّاهُ اللهُ اللهُ كُلُّ مَنْ تَعَدَّ الْحُدُودَ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ يَرْمُونَهُ إِلَى بئرٍ عَمِيقٍ
أَهَّاهُ اللهُ اللهُ وَيَلْكَ أَيُّهَا الْقَاسِي

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ كَفَّ عَنْ تَدْبِيرِ الْمَكَايِدِ
أَهَّاهُ اللهُ اللهُ يَاطْوِيلُ اللِّسَانِ

أَهَّاهُ اللهُ اللهُ تَعَدَّ يَتُّ كُلَّ الْحُدُودِ
أَهَّاهُ اللهُ اللهُ يَنْتَظِرُكَ وَحْشُ السَّبْعِينَ عَامًا

القصيدة 12

أينما ذهبت سأصلي آه الله الله
إلى أن ينخر عودي
الموت يفرق بين الأحباب آه الله الله
سامحت كل من رأتهم عيناى

الله الله سنموت كلنا والله البقاء
أصلي عليك أيها النبي
فحبك قد سكن الفؤاد

سأصلي عليك وأصلي الله آله
إلى أن ينخر عودي

ان الموت يفرق بين الأحباب الله آله
اذن أنا أسامح كل من رأيتهم
سنرحل فنلطف بروحنا يا الله

أصلي عليك أيها النبي
فحبك قد سكن النخاع

سأصلي عليك أينما ذهبت الله الله
إلى أن تنتهي أيامي

ان الموت يفرق بين الأحباب الله آله

اذن أسامح كل من رأوني

اليوم التقوا حولي الله الله
آه فقد جاعني كل الأحباب

أنا مغبون الله الله
آه فمشوار طويل ينتظروني

سنرحل عند صلاة الظهر الله الله
أه فعليك توكلنا يا الله

آه فقد جاعني أحباب قلبي
أنا مغبون الله الله

فطريق طويلة تنتظروني
سنرحل عند صلاة الظهر الله الله

عليك توكلنا يا رسول الله
أنا راحل أنا راحل

ولن أعود بعد الآن
وسدّ عوا لنا الطريق أيها الذّاس

وسدّ عوه كي نمّر آه

لقد جاء المجاهد الصغير الله

الذي شهد في سبيل الله
جاء ليأخذ أخاه الله الله

ويفتح باب الحنة آه
وسعوا لنا الطريق أيها الناس

وسدّ عوه كي نمّر آه
لقد جاء المجاهد الصغير الله الله

الذي حمل نجمة وهلالا
جاء ليأخذ أخاه الله الله

ويفتح باب الجنة
وسعوا لنا الطريق أيها الناس

وسعوه كي نمر
لقد جاء المجاهد الصغير الله الله

الذي يشبه نجمة الصباح
جاء ليأخذ أخاه الله الله

ويفتح باب الجنة

أيتها الرياح بلغي سلامي

لكل المجاهدين

الذين ضحوا بدمائهم

من أجل أن يطردوا عنّا الفرنسيين

هم في الجنة أوائل

ونحن وراءهم

إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

أيتها الرياح بلغي سلامي

لكل المجاهدين

الذين ضحوا بدمائهم

من أجل أن يطردوا عنا الألمان

هم في الجنة أوائل

وبعدهم يأتي الإخوان

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

القصيدة¹ 13:

لا اله الا الله
 محمد رسول الله
 يا حيرة عليّ سأموت
 أقع بين يدي الم غسَلْ
 بدأ بملابسي
 رماها إلى الخارج
 أترككم بسلام يا أبنائي
 سنلتقي يوم الحساب

لا اله الا الله
 محمد رسول الله
 يا حيرة عليّ سأموت
 في الفراش تمددت كعود القصب
 م حاط بأحبائي
 أعزائي يذرفون الدموع
 ماذا سأخذ كمؤونة لي ؟
 سيأتي معي المؤمنون

يا حيرة عليّ سأموت
 في الفراش تمددت كعود القصب
 م حاط بأحبائي

¹ تم تسجيل هذه الأبيات عن طريق الطّـلب بتاريخ 2011/09/05، بقرية خشابنة بلدية ودائرة واقنون ، ولاية تيزي وزو عن السيّدة خليفة خلوجة.

يتساءلون :ماذا سنصدق عليه ؟

ستكون الشهادة

اللهم ثبتنا عليها

مررت يوماً بالقبر

فرأيت قبراً محفوراً

ماذا كان بداخله ؟

لقد كان هناك ثعبان ذو سبع لسعات

كل ما أكلت وكل ما شربت

أنا دافع ثمنه في يوم واحد

أماه :لييتني أذهب

إلى المقبرة لأستمع

لأستمع للعزير

لمن ناد حين نام

ناد: بنيتي العزيرة

أيتها المسكينة تركتك يائسة

أماه :لييتني أذهب

إلى المقبرة وأخذ معي فأساً

أمّااه :لينبش

وجهك الوسيم

كم سعد أعداءك

مّا وضعوك في القبر

أماه :لييتني أذهب

إلى المقبرة وأخذ معي فأسداً

أمّا أه: لأنبش

وجهك الوسيم

كم سعد أعداءك

لما دفنوك تحت التراب

الأذكار الجنائزية الرجالية

الأذكار الجنائزية ج ١

القصيدة¹ 01:

الصلاة على الرسول دائمة
محمد سيد الأمة

مطمئن من يمدحه
فلا يخاف المتاعب

سيحمله في الآخرة
ويضمن له النبي الرحمة

يارسول الله: كن شفيعا بهذا القوم
الذي سلك طريق الضلال

وكثر أتباعهم
فتخلوا عن الفرض والسنة

عجل قبل أن ينتهي المؤمنون
فقد صار عددهم قليلاً
لأنهم عزموا أن يمحو ديننا
فوافق الذكور والإناث

¹ تم الحصول على هذه القصيدة عن طريق الطلب بتاريخ 09/11/2011 على الساعة الحادية عشر صباحاً بتقبعين بلدية ودائرة واقنون ، ولاية تيزي وزو عن السيد أكلي بوجعوط البالغ من العمر 71 سنة

أصبح الشريف مغبونا، معزولا
لأن الجميع جاء ضده

أصبحوا يفخرون بالفواحش
ولم يقيموا وزناً للأخلاق

أصبح الرزق قليلاً وكاد يغيب
حتى البركة بدأت تزول

صار الناس يتآكلون فيما بينهم بفعل النميمة
حتى اشتعلت النيران في البلدان

فصاروا يصيحون من كل جهة
مثل يوم اندلاع الثورة

جفت العيون و الوديان
ولم نصحوا بعد

تقهقرت أخلاق الناس فصاروا جُهالة
وها هم يتقدمون نحو جهنم

سيلقون حتفهم كفرعون
حين أغرقه سيدنا موسى

حزن القرآن والفنون
وبدعت العلوم تغيب

صارت الفتاوى في الإذاعات
انهمري أيتها الأمطار

صار الغناء الماجن مباحاً في المنازل
فلجعد هناك فرق بين الشارع والدّار

على المؤمنين أن لا يحزنوا
لأنهم حضروا زمان انعدام الحياء

هاهي العيوب تظهر بلا انقطاع
لوكانت جرحاً لداوبناها

بما أن الهموم كثيرة
لابد علينا أن نصبر

أيها العباد من سيأتي
لنرحل ونهاجر حالا

فهذا الموقد سنّ قانوناً جديداً
خالٍ من الحياء والشرف

أصبحوا يفخرون بالفواحش
ولم يقيموا أي وزن للأخلاق

يا الله لم نتعود على كل هذا
صار كل الطلبة مشوشين

هاهم يلهون الذّاس بأحاديثهم
وقلوبهم نصرانية

خرج إبليس و الجن
لينشئو أتباعا لهم

هاهي الذّاس تتضم إليهم
كبرت طائفتهم بقوة متزايدة

قررنا نفي الإمام المهدي
وسيدّ دنا عيسى

لا يدري العبد بأن أجله آتٍ
ويبعث إلى القبر

وهو مزال يَ بَ نبي بالحديد
ويتعلق بالدنيا

وزعموا أن بإمكان الطبيب يطيل العمر
وقد ظهر مؤخرًا

قوم باع ضميره بالمال
فصار يكذب ويخون

ويجمع مال الحرام
ليوسع أملاكه

نحن خائفون مما سيأتي
حمایتك يا رسول الله

اللهم أعنا
فمنك كل الخير

هاهم المؤمنون بالانتظار
افتح أبواب رحمتك

خذنا إلى الجنة
واعتق رقابنا من نار جهنم

القصيدة 02¹ :

الصلاة على نبينا الأنيس

الذي اختاره الله

خلقه من نوره

وهو المدبر

اقتربت الشهادة باسمه

وهي زاد العبد إذا سافر

اللهم ثبتنا عليها

حين يلبسوننا المحشر

لنقابل بها ملك السؤال في القبر

حين يحين الوقت

سنحاسب عليها

احمنا أيها النبي المختار

الصلاة عليه مؤنسة

تزيل الغم على القلوب

ما أسعد من آمن بالنبي

فسينجيه من الضرر

¹ تم السجّل في نفس الموقف وفي نفس التاريخ السابق

يساعده على العبور دون خطايا
لأن أجره كبير عند الله

سبحانك اللهم رب العزة
أنت معنا أينما كنا

لأمر إلا أمرك
في الأرض أو السماء أو البحر

الأجل و الأرزاق بيده
وكل واحد مذللاً قلق بشأن الغد

أودد الله في عزه
أتعجب في بني آدم لمّا يفسد في الأرض

سيقف صاحب الرحمة
منتظراً أيّاه ليستغفر

وهاهو ذليل في أعماقه

لو كان التفكير صائباً
لتجلت لنا الطريق التي سنسلكها

ها نحن نستمع إلى العلماء
الذين أنارهم النبي ﷺ في الآخرة

ترك علمه لهم
ولم يترك الذهب والدينار

يا أهل الإللام لعنوا إبليس
فكل من تبعه خسر

فهو قد اتخذ من الله عدوًّا له
فطرده من رحمته

والخوف على الأحاب
أن يفسد عليهم توبتهم

كُتِّبَ صادقين غير مدنسين
لنتأذنا وتتأصحنا فيما بيننا

فواجب علينا أن نمشي في الطريق الصائبة
فمن الدنيا لابد أن نسافر

أنظروا إلى أجدادكم
قد ماتوا ولابد أن تتبعوهم

كل مذّا سيلتقي بفعله
حسنا كان أم سيئاً

سيجده في القبر خصماً له
ولن يتمكن من نكرانه

سنتكلم جوارحه
بفضل صاحب الأمر

كثير من غرهم شبابهم
فصار بلا احترام ولا حياء

جعل من الشيطان رفيقاً
يوهمه بطول العمر

خرج صباحاً بلباسه
و كُفِنَ ليساق إلى القبر

كثير ممّن يستهتر بدينه
فلم يُصدّق لِي ولم يزكّ

أصبحوا يفخرون بالفاحشة
وأزالوا اسم الشرف والحياء من الوجود

فاهجرتكاً البلاد

تتحى الدين جانباً

فقد تركه أصحابه

حلّ الذلّ و الخسة مكانه

سعد الصغير و الكبير

جاءت رسالة الرسول

في المدينة المنورة

أتى عمله في المنام

على شكل شبح

وبعثه لقومه

عسى أن يستغفر الضالون

غابت نورالشمس

لم يظهر مدة ثلاثة أيّام

رفع كل شيء إلى الله

غلقت أبواب التوبة

لتهيئ الأمة نفسها

فقد حان وقت الحساب
آمنا بالله وحده

الذي يغني ويفقر
جعل لنفسه اسما

حدد حياة كل البشر
سندخل الجنة بالحق
ونشرب من وادي الكوثر

القصيدة 03¹:

الله الله لا اله الا الله
الله الله الفناء للعبد والبقاء لله

الله الله أصلي عليك أيها النبي
الله الله فأنت هو الأساس

الله الله محمد العربي
الله الله ما أحلى الكلام عنك

¹ - تم تسجيل هذه القصيدة في مناسبة الأربعين لجنادة المرحومة قرماش كهينة بتاريخ: 2011/08/28 بتاريخ 2011/07/18 بقريه إخلويين بلدية أيت عيسى ميمون دائرة واقنون ولاية تيزي وزو على الساعة العاشرة والنصف ليلا وكان الإلقاء من طرف جماعة الإخوان التي جاءت أسماؤهم في المدخل.

الله الله الله يوم الحساب

الله الله الله ثبتنا على الشهادة

الله الله الله يا خلق الله صلّوا عليه

الله الله الله فهو شفيعنا

الله الله الله من ذكر اسمه أيها المؤمنون

الله الله الله للبول صاحب الوسام الذهبي

الله الله الله ما أحلى الكلام عنه

الله الله الله من صلى عليه

الله الله الله كسب وفاز بريح لايفنى

الله الله الله ومن تولى عنه ندم

الله الله الله وليهين نفسه للعذاب

الله الله الله أيها المؤمنون لم يعد الزمان كما كان

الله الله الله صار الشهر كالיום

الله الله الله المستقبل جد قريب

الله الله الله والماضي ميؤوس منه

الله الله الله الآجال قريبة

الله الله الله الموت قادم

الله الله الله أيها المؤمنون يجب أن نتواصى

الله الله الله بأن نعتني ونخدم ديننا

الله الله الله من لا يفقه شيئاً في دينه فليسأل

الله الله الله من هداه الله بالعلم

الله الله ها نحن مع قوم عاصدة

الله الله الله لا يستحي ولا يندم

الله الله الله ولما يأخذ سجائره مشتعلة

الله الله الله لسانه يفتك كالسّم

الله الله الله وكان البارحة يشتم

الله الله الله سنة النبي الهاشمي

الله الله الله إن الله لا ينسى أيها المؤمنون

الله الله الله فاستغفروا إن أردتم التوبة

الله الله الله لا ينسى ولا ينام

الله الله الله وكل ما قمنا به سيطلعنا عليه

الله الله الله ولا أحد يستطيع أن ينكر أمامه

الله الله الله الصراط طويل وضيّق

الله الله الله له سبعة حراسات

الله الله الله كل واحدة لها مهامها

الله الله الله تسألك عن أعمالك

الله الله الله أولها الإيمان

الله الله الله هل تعرف ربّ العالمين

الله الله الله ثانيها الصلاة

الله الله الله انلومت عليها كما نصّ دينك

الله الله الله وتسألك ثالثهن

الله الله الله عن الزكاة إن أخرجتها

الله الله الله وتسألك رابعتهن

الله الله الله إن صمت الصّدّابرين

الله الله الله وتسألك خامستهن

الله الله الله ان قمت بفريضة الحجّ

الله الله الله وتسألك سادستهن

الله الله الله ان كنت طائعا لوالديك

الله الله الله ولن تسلم من أسئلتهن

الله الله الله اللهم اجعل هذا يمر على ما يرام

الله الله الله لا إله إلا الله

الله الله الله اسمك عزيز ياربي

الله الله الله من تضرر رجأوه الله

الله الله الله أصلي عليك أيها النبي

الله الله الله عدد حبات الثلج النازلة

الله الله الله أبيض ناصع على الجبال

الله الله الله آمنت بك يا محمد

الله الله الله حتى وإن لم تراك عينا

الله الله الله أصلي عليك أيها النبي

الله الله الله عدد حبات الرمل في الوادي

الله الله الله عدد حبات المطر الغزير

الله الله الله وعدد حبات المطر الرّذاذ

الله الله الله أتوسلك ياربي

الله الله الله أن تحمينا وتمنعنا من عذاب القبر

الله الله الله أبداً كلامي بذكر الله

الله الله الله بكل إيمان ونية

الله الله الله عليك توكلت

الله الله الله يا حنين ويا رحيم

الله الله الله عندما أكون تحت التراب

الله الله الله آمذى من وحشة القبر

الله الله الله يا من أقصده كل يوم

الله الله الله ياربي أغفر لي ذنوبي

الله الله الله اجعل الأسئلة الموجهة إلي سهلة

الله الله الله وكن عوني ياربي

الله الله الله ثبتني على الشهادة

الله الله الله لتكون عوني

الله الله الله مهل المنكرو والنكير

الله الله الله واجعلني أراه كأنه صديقي

الله الله الله سهل علي الحساب

الله الله الله وتقبل أعمالي

الله الله الله يا من يكسر ويجبر
الله الله الله سبحان الله في عرشه

الله الله الله هو المدبر
الله الله الله ولا شيء يحصل بغير أمره
الله الله الله ارزق الجنة لهذه المرحومة
الله الله الله وجميع المستمعين

؟ الله الله الله آمين يا ربّي انشأ الله

القصيدة¹ 04:

الله الله لا إله إلا الله
الله الله محمد رسول الله

الله الله لا إله إلا الله
الله الله عزيز اسمك يا الله

الله الله كل شيء فان
الله الله والبقاء لله

الله الله أصلي عليك أيها النبي
الله الله عدد حبات الرمل في الوادي

¹ تم السجيل في نفس الموقف وفي نفس التاريخ السابق

الله الله عدد قطرات المطر الغزيرة
الله الله وعدد قطرات المطر الرّ داذ

الله الله ياربي أتوسلك
الله الله أن لا تعذبنا في القبر

الله الله أصلي عليك أيها النبي
الله الله صلى الله عليك وسلّم

الله الله فاز من صلى عليك
الله الله ليس كمن أخذ الهوى

الله الله الصراط طويل ورقيق
الله الله تحته نار همهمة

الله الله المسكين في دينه يشفقُ عليه
الله الله فهو في فضيحة حين يقف أمام ربه

الله الله أيتها النجمة التي تسري في الليل
الله الله من العشاء إلى الفجر

الله الله خذي سلامي
الله الله إلى الكعبة الشريفة

الله الله سلم لي على محمد

الله الله شفيع أمته

الله الله أصلي عليك أيها النبي

الله الله الحنين المدبر

الله الله حل غلاء الدنيا على العباد

الله الله فصاروا في حيرة ليلاً نهاراً

الله الله هذا امتحان من الله

الله الله فاستغفروا الله

الله الله أستغفر الله ياربي

الله الله لا إله إلا الله

الله الله سنزيد الصلاة على النبي

الله الله محمد رسول الله

الله الله سنمرّ معه في الصراط

الله الله نذهب برفقته إنشاء الله

الله الله أيتها النفس إن الموت ينتظرك

الله الله إذأردت شهوداً فموجدون

الله الله الشيب الأبيض
الله الله المبسم الخالي من الأسنان

الله الله تمهل أيها القلب
الله الله فلم يتبق لك مافات

الله الله وجدتهم يحفرون قبراً
الله الله يعدلون جدرانهم بالسداد

الله الله يبنون الأدرج
الله الله والتراب مبلل بالطين

الله الله أيتها الروح العزيزة
الله الله نامي على التراب ثم تعفني

الله الله يا حسرة عليّ سأموت
الله الله ويستقيم جسدي كعمود البيت

الله الله التف أهل الدار حولي يبيكون
الله الله بماذا سنتصدق عليه

الله الله الشهادة صدقة
الله الله فثبتنا عليها يا الله

الله الله لم يبق لنا من المبيت سوى ليلة واحدة
الله الله وغداً استبدأ المسيرة

الله الله سنذهب بعيداً
الله الله ولن نتمكن من رؤية الدنيا

الله الله يا من سنّ الفراق
الله الله أرزق أعزّائي الصبر

الله الله أصلي عليك أيها النبي
الله الله عدد أوراق أغدو

الله الله نورك يا محمد
الله الله أكثر من نور الشمس في الصيف

الله الله أرزق الجنة للمرحومة
الله الله وخدنا في حمايتك أيها النبي

الله الله لا إله إلا الله
الله الله آمين يا ربّي انشأ الله

القصيدة¹ 05:

الله الله لا إله إلا الله
الله الله محمد رسول الله

الله الله لا إله إلا الله
الله الله ليرجو الله من هو في كربه

الله الله باسمك يا ربّي نبدأ
الله الله ونتلو سورة يس

الله الله سلام على النبيّ المنور
الله الله جدّ الحسن والحسين

الله الله حين أمدحك يهنأ خاطري
الله الله أيها القلب طغى عليك همّ السفر

الله الله كن منصتاً عاقلاً
الله الله طغى عليك الشيب ونحل الجسد

الله الله إن الموت يترقبك
الله الله أيّها الرسول النبيّ الطاهر

¹ تم التسجيل في مناسبة الأربعين لجنّازة المرحومة بلخير ذهبية بتاريخ 2011/08/14 على الساعة الحادية عشر ليلاً بقرية بودشيشة، بلدية ودائرة واقتون ولاية تيزي وزو.. وكانت القصيدة من القاء جماعة الأخوان التي جاءت أسماؤهم في المدخل.

الله الله آله بلغ الثلاثة والستين
الله الله آله من كانت عمره طويلة

الله الله آله سيعيش أكثر من سبعين
الله الله آله إياك أن تلتطخ سفرك
الله الله آله كن كالكرام الكاتبين

الله الله آله الغني يحترمك
الله الله آله فلا يجوز عمل الشر

الله الله آله يا صاحب الثمانين سنة
الله الله آله فاعبد رب العالمين

الله الله آله فما أعظم غبن القبر
الله الله آله وهناك ستظهر أفعالك

الله الله آله يدمع القلب كلما تذكر
الله الله آله كم مر من المتزهدين

الله الله آله إذا رأيت الشيوخ ذوي الوجوه المنيرة
الله الله آله ينشؤون أصلح الإخوان

الله الله آله ها نحن أحياء شاهدون
الله الله آله للذين يعشقون البدع

الله الله الله علينا أن نعلم أن التوحيد
الله الله الله هو أن الله واحد لا شريك له

الله الله الله فنحمده ونشكره
الله الله الله فقد منحنا لذة الإسلام

الله الله الله اللهم آمناً من المصائب
الله الله الله ومن الأعداء

الله الله الله آمناً من الدنيا المغرورة
الله الله الله فهذه النفس الأمارة تضلنا

الله الله الله يا صاحب الرحمة الوافرة
الله الله الله سبحانه يا ربّي الحنين

الله الله الله أتوسلك بجامع الأزهر
الله الله الله وأتوسلك بالعلوم والعلماء

الله الله الله اجعلنا يوم الحشر
الله الله الله مع إمام المرسلين

الله الله الله أرزق الجنة لهذه المرحومة
الله الله الله وأرزقها لجميع من يسمعنا

القصيدة¹ 06:

سأموت بدون شك
وسأكون وحيداً في القبر
رباه هبني خيراً
كي أجدّ ملك القبر
سأموت وبأخذونني
سيعجلون المسيرة بي
انحنى من في المقدمة ليصلي
صلاة لا سجود لها
سيصلون ويرجعون

زكونني وحيداً يا حسرة عليّ
يا حسرتي على القبر
كلما ذكرته انفطر قلبي
أين هم الأولون ؟
لأحباب ومن هم في نفس سنيّ
لقد قاموا بالفرائض ورحلوا
ما أنا فأعدّ أيّامي الأخيرة
التقيت بضيف يمشي
أخذاً طريقاً بيضاء
سألته إلى أين أنت ذاهب ؟
قال: سأذهب إلى تحت التراب

¹ - سجلت هذه الأبيات تحت الطلب ألقته علينا السيدة خلوجة خليفة التي تقول بأنها قد حفظتها عن والدها لمّا كانت شابة. وتم التسجيل بتاريخ 2011/08/28 على الساعة السادسة مساءً بقرية خشابنة بلدية ودائرة واقنون ولاية تيزي وزو.

قلت: هل ستعود ؟

قال : هذا من المحال.

التقيت بضيف يمشي

آخذاً طريقاً جديدة

سألته إلى أين أنت ذاهب ؟

قال : سأغير الموطن

حرام عليك يا عيني

لميت لن يعود

يا حسرتي على القبر

لما ذكرته انفطر قلبي

هم الأولون ؟

باب ومن هم في نفس سني

ند قاموا بالفرائض ورحلوا

أما أنا فأعدّ أيّامي الأخيرة

كم هو موحش القبر الجديد

ياليت أجد من يضع له أعمدة

ويسقفه بالقرميد

ي لا يتبلل بالمطر

سنا خائفين القبر

نمّا خائفين أعمالنا

كم هو موحش القبر الجديد
 يا ليت أجد من يضع له أعمدة
 ويسقفه بالقرميد
 كي لا يتسلل إليه المطر
 لسنا خائفين القبر
 إنمّا خائفين أعمالنا
 يا حسرة عليّ سأموت
 في الفراش تمددت كعود القصب
 مٌحاطٌ بأحبّائي
 أعزائي يذرفون الدموع
 بعمق القبر توسّدت الحديد
 وفوقه سينبت الزعرور

 يا حسرة عليّ سأموت
 في الفراش تمددت كالحزام
 محاطٌ بأحبّائي
 نرائي يذرفون الدموع
 عمق القبر توسّدت الحديد

فوقه سينبت الوُزَّالُ

الموت حق لأبد منه

غدًا عليَّ سيردم القبر

رباه هبني خيرًا

وثبتني على الشهادة

فهارس البحث

- 1- فهرست الصّور.
- 2- فهرست الرّواة والمخبرين
- 3- فهرست المصادر والمراجع.
- 4- فهرست المواضيع.

فهرست الرواة والمخبرين

1- **بجعوط أگاي** : يقيم بتقويعين ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو ، وهو من مواليد الأربعينات ، سجلنا عنه مادة دراستنا عام 2011 وهو الرئيس الأول لجماعة الإخوان في - منطقة البحث- يمتاز بقوة ذاكرته التي تحمل آلاف الأبيات من الشعر الشعبي الديني كما يعد عضواً فاعلاً في تجمعات إذ يقوم لتسوية الخلافات وفك النزاعات عن طريق النصح وكم من مرّة سوى خلافات عائلية بمجرد ذكره لبعض الأبيات الشعرية التي تزعزع النفوس.

2- **حاجي ذهبية** : تقيم السيدة الفاضلة بقرية إيحديقاون بودة، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو ، وهو من مواليد الثلاثينات ، سجلنا عنها عام 2011 ، وهي من أكبر الحافظات للشعر الشعبي لولا المرض الذي يمنعها من إطالة الكلام .

3- **خليفة خلوجة** : لما سجلنا عنها لأول مرّة عام 2008 كانت تقطن ب : قرية إيحديقاون بودة، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو . وفي سنة 2011 انتقلت للسكن في مسكن جديد بقرية خشابنة حيث سجلنا عنها للمرّة الثانية. تعد هذه السيدة مربية فاضلة على درجة عالية من الذكاء وقوة الذاكرة إذ تتقن سرد الحكايات الشعبية ، وكذا مختلف الأنماط الشعرية الشعبية وهي من مواليد الأربعينات.

4- **رمضان أغمز** : كان يقطن بقرية إيحديقاون بودة، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو ، كان من مجاهدي ثورة نوفمبر يشهد له أهل قريته بالشجاعة وحبه للعدل ، كان رجلاً متديناً متقناً للشعر الديني والحكايات الشعبية الدينية، كما كان حافظاً لقصائد كثيرة تدور حول الثورة وإنجازات المجاهدين . تم التسجيل عنه عام 2008 وكان حينها في التسعين من عمره وتوفي في ماي 2009 رحمه الله.

5- رمضان أوديع : يقيم بقرية إيحديقاون بودة، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو، وهو شقيق " رمضان أعر " الذي سجلنا عنه عام 2008 ، وهو رجل حافظ للتراث الشعبي سجلنا عنه عام 2011.

6- سماعيل فروجة : تقيم السيدة الفاضلة بقرية لمشاتي ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو، وهي من مواليد الأربعينيات. تعد من النساء اللواتي يقمن بغسل الأموات والذكر في الجنائز وهي شاعرة مؤلفة لكثير من القصائد في مختلف المواضيع المتعلقة بالحياة تم التسجيل عنها عام 2011.

7-(ش) تسعديث : من قرية تازمالت ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو، وهي من مواليد الأربعينيات سجلت عنها مادة الدراسة عام 2010 ، وهي الساحرة الوحيدة في - منطقة البحث- التي تقوم باستحضار أرواح الأموات.

8- فرحات ذهبية : هي من مواليد الثلاثينيات بقرية زوجة، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو اقترنت بابن خالتها في الخامس عشرة من عمرها وبعد أن وضعت طفلها الأول استشهد زوجها في الثورة فترملت، وهي في عزّ شبابها . فتفرغت منذ ذلك الوقت لتربية ابنها الوحيد وانضمت إلى النساء اللواتي يقمن بغسل الأموات في العشرين من عمرها ولزالت إلى يومنا هذا تقوم بهذا العمل وهي الرئيسة الأولى لغسل الأموات في منطقة البحث إذ تعلمت على يدها نساءً كثيرات كما تقوم بالإنشاد في جماعة الأخوات أثناء حدوث جنازة . سجلنا عنها مادة دراستنا في صيف 2010

9- فرحات فاطمة : كانت تقيم بقرية بودشيشة ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو، كانت من أكثر حفظة الشعر الجنائزي وكانت تشارك في الإنشاد كلما حضرت جنازة ولم تكن يوماً منخرطة في جماعات الأخوات كما كانت من هوة المدائح النبوية سجلنا عنها وهي في التاسعة والثلاثين من عمرها عام 2010 وانتقلت إلى رحمة الله بعد شهرين من التسجيل.

وتعدّ هذه اللائحة من بعض الأسماء التي تحصلت عليها إثر التسجيلات الجماعية عن جماعتي الإخوان من الأخوات في الجنائز التي تسعى لي التسجيل فيها:

- جماعة الأخوات:

- 1- سماعيل ذهبية القطننة بقرية زوجة ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو .
- 2- شعلال خلوجة القاطنة بقرية تشلاواطي ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو .
- 3- فرحات ذهبية القاطنة بقرية زوجة ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو .
- 4- لعراس علجية القاطنة ثنسا الجمعا ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو .
- 5- مصباح علجية القاطنة بقرية مشروح ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو .

- جماعة الإخوان :

- 1- بلخير محمد الساكن بقرية خربة ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو .
- 2- بلخير محند الساكن بقرية بواذشيثة (89سنة) ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو .
- 3- بجعبوط أكلي الساكن بقرية تقوبعين ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو .
- 4- شرفوي السعيد الساكن بقرية ايحديقاون بوادة ، بلدية ودائرة واقتون ، ولاية تيزي وزو .

فهرست المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية:

الكتب السماوية:

القرآن الكريم برواية ورش.

المعاجم:

- 1- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- 2- أنيس (إبراهيم): المعجم الوسيط، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، بدون طبعة، 1972.
- 3- بونت (بيير): معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر "مجد"، ط1، 2006.
- 4- هولتكرانس (إيكه) : مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، ط1، 1972 .

الكتب

- 01- أحمد مصطفى(فاروق) ومحمد عباس إبراهيم: الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة، الأزاربطة، مصر، بدون طبعة، 2008.
- 02- ليفي ستروس (كلود): الإناسة البنيانية، ترجمة: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
- 03- الباشا (حسن) وتوفيق السهيلي (محمد): المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دار الجليل، دمشق، سوريا، ط1، 1988.
- 04- باقر (طه): ملحمة كلكامش، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة، 1997.
- 05- الدسوقي(ناصر): الحياة ما بعد الموت، جروس بورس، طرابلس، لبنان، بدون طبعة، 1993.
- 06- رشدي صالح (أحمد): الأدب الشعبي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة، بدون طبعة، 2002.

- 07- السواح (فراس): لغز عشتار، الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين دمشق، سوريا، ط1، 2000 .
- 08 - السواح (فراس): مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
- 09- سيرنج (فليب): الرموز في الفن-الأديان- الحياة، ترجمة: عباس عبد الهادي، دار دمشق، سوريا، ط 1، 1992.
- 10- شلحت (يوسف): نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، تحقيق: د. خليل أحمد خليل، دار الفرابي، بيروت لبنان، ط1، 2003.
- 11- شورون (جاك): الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، بدون طبعة، 1990 .
- 12- طراحة (زهية) : فضاء النوع بين تنظيم الخيال وتنظيم الواقع - دراسة أنتروبولوجية للحكاية القبائلية العجيبة، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2011 .
- 13- عبد الباري (فرج الله) : يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، دار الآفاق العربية، ط1، بدون تاريخ.
- 14- عبد الحكيم (شوقي): موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، بدون طبعة، بدون تاريخ.
- 15- عبد الخالق أحمد (محمد) : قلق الموت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، بدون طبعة، 1998.
- 16- عبد الغفار شعلان (سميح): الموت في المأثورات الشعبية، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط1، 2000.
- 17- فروم (إريك): الدين والتحليل النفسي، ترجمة: فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، دون طبعة، 2003.
- 18- فريزر سير (جيمس): الغصن الذهبي - دراسة في السحر والدين-، ترجمة : أحمد أبو زيد وآخرون، الجزء الأول، الهيئة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، دون طبعة، 1971.
- 19- ليفي ستروس (كلود): الاناسة البنيانية، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

- 20- ليفي ستروس (كلود): مداريات حزينة، ترجمة: محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، لبنان، ط1، 2003.
- 21- لومبار (جاك): مدخل إلى الإثنولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- 22- الماجدي (خزل): الدين المصري، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1999.
- 23- الماجدي (خزل): متون سومر، الأهلية لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998.
- 24- مرسل (دليلة): دراسات لسانية حول التراث والفلكلور الشعبي في الوطن العربي، ترجمة: سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
- 25- منير منصور (محمد): الموت والمغامرة الروحية، دار الحكمة، دمشق، سوريا، 1987.
- 26- نعمة (حسن): موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، دون طبعة، 1994.
- 27- هجرتي كراب (ألكسندر): علم الفلكلور: ترجمة رشدي صالح، دار الكاتب العربي، القاهرة، دون طبعة، 1967.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

- 1- A.Hanouteau et A.Letourneaux : La Kabylie et les coutumes Kabyles, édition Bouchéne, France, Tome 2, 2003.
- 2-Durkheim Emile: Les Règles de la méthode sociologique, presses universitaires, paris, France, édition 11, 1950.
- 3-Eliade Mercea :Sacre et profane,falio essai, edition Gallimrd, New york, 1994.
- 4- Malinowski Bronislaw : Les argonautes du pacifique occidental, traduit par : André et Simonne dévoyer, éditions Gallimard, New York, 1963.
- 5- Malinowski Bronislaw: Une théorie scientifique de la culture, traduit par: p.Clinquart, François maspro, Paul Painlevé, paris, France, 1968.

6- Maisonneuve Gean: Les rituels, prèsse universitaires de France, paris, 1er édition, 1988.

7- Thomas Luis Vincent : Rites de mort pour la paix des vivants ,Dupli-print ,France,2007.

8- Van Gennep Arnold: Rite de passage, picard , paris , France, 2011 .

فهرست المواضيع

إهداء

كلمة شكر

5..... مقدمة

8..... قائمة الأحرف الزائدة

مدخل: تحديد مصطلحات البحث

10..... 1- الأذكار: المفهوم العام، والإثنوغرافي

11..... 2- الطقس

12..... 3- طقوس العبور

13..... 4- الجنائز: المفهوم العام، والإثنوغرافي

15..... 5- تحديد الموقع الجغرافي لمنطقة البحث (واقثون):

19..... 6- منهج الدراسة

الفصل الأول : دورة الحياة وطقوس العبور

29..... 1- الزواج

35..... 2- الميلاد

44..... 3- الختان

47..... 4- الموت

52..... 5- أوجه الائتلاف والاختلاف بين طقوس دورة الحياة

6- أهم الطقوس المكرورة في دورة الحياة 54

الفصل الثاني : الأشعار والطقوس الجنائزية

1- الإحتضار وتوديع الحياة 59

2- إعلان الوفاة والسهر على الميت 60

3- بكاء الميت وتجهيزه 63

4- حمل النعش ودفن الميت 69

5- استحضار الأرواح 74

6- مناسبة الأربعين 81

7- الإخوان والأخوات 82

الفصل الثالث: وظيفة الأشعار والطقوس الجنائزية

1- الوظيفة الثقافية 88

2- الوظيفة الدينية 91

3- الوظيفة الاجتماعية 102

4- الوظيفة النفسية 108

خاتمة 127

مدونة الأشعار:

1- الأذكار الجنائزية النسائية 132

2- الأذكار الجنائزية الرجالية 170

فهارس البحث:

- 1- فهرست الصّور 199
- 2- فهرست الرواة والمخبرين 209
- 3- فهرست المصادر والمراجع 112
- 4- فهرست المواضيع 216